

جولة

في ادب الجاحظ

بفلم

عادل الزواتي

وهي الرسالة التي قدمت للدائرة العربية في الجامعة  
الامريكية ببيروت في ٢٥ / ٥ / ٤٥ لنيل درجة استاذ في العلم

## الاهـدا

" الى الذين لا يعملون ،  
" ووذيقهم ان يعمل الناس ،  
" أهدى رسالتي هذه ،  
" لعلها تثير همهم إن كانت فيهم هم ،  
" أو لعلها تُخجل ذمهم إن كانت لهم ذم ،  
" فيساعدونا أو يتركونا نعمل في هدوء ."

الزواتي

## الفهرس المجلد

### الفصل الاول في حياة الجاحظ

- ١- تحقيقات
- ٢- حياته العامة
- ٣- الجاحظ في معترك الحياة

### الفصل الثاني في كتب الجاحظ

- ١- تعدادها
- ٢- تحقيق في ذلك التعداد
- ٣- وصفها
- ٤- تقديرها

### الفصل الثالث في اسلوب الجاحظ

- ١- اسلوبه التاليفي
- ٢- اسلوبه الانشائي
- ٣- اسلوبه العلوي

### الفصل الرابع في مادة الجاحظ

- ١- فن الجاحظ
- ٢- علم الجاحظ
- ٣- دين الجاحظ
- ٤- نظرة وتقدير

### الفصل الخامس في فهارس متنوعة

- ١- مصادر الدراسة
- ٢- مصادر الجاحظ نفسه
- ٣- شجره
- ٤- الذين اخذوا عنه

## الفهرس المفصل

### الفصل الاول في حياة الجاحظ ٤٩-٤٩٠ظ

=====

#### المقالة الاولى تحقيقات - ..... ٤٩-٤٩٠

( في اسمه ) ما هي كنية الجاحظ . ترى ابو عثمان ام ابو عمران . ثم مله هو اسمه . ترى عمرو ام عمر . ثم ما اسم ابيه . ترى اهو بحر ام محبوب ام يحيى ام الجاحظ . ثم ما اسم جده . اهو محبوب ام نزاره ام غير ذلك . وسعد هذا ما هي ألقاب الجاحظ . ولماذا لُقّب بالجاحظ . ولماذا بالحدفي . واخيرا ما هي انسابه . لماذا هو الكثاني . ولماذا اللبني . ولماذا النقيمي . ولماذا البصري . وبالتالي ما هو اسم الجاحظ الكامل المحقق . هذا ما سنعالجه في هذا القسم .

( في نسبه ) ترى هل كان عربيا . ولماذا . ام كان فارسيا . ولماذا . ام كان حبشيا . ولماذا . ام كان زنجيا . ولماذا . ام كان غير كل هاته . فان كان لماذا كان . ولماذا كان ..

( في تاريخيه ) متى ولد الجاحظ . واين . وكيف . ولماذا . متى مات الجاحظ . واين . ولماذا . ما هي التواريخ المعطاة لكل . وما هي قيمتها من حيث الصحة .

#### المقالة الثانية نظرات في حياته العامة - ..... ٤٩٠-٤٩٠

( في بدء حياته ) كيف كان . في اى الظروف تغليب . واى الصعوبات قاسى .

( في ثقافته ) ما هي مدارسه . الكتاب . المسجد . المرید . دكاكين المرافين . مجالس الادب . الرحلة في علب العلم . مدرسة الحياة . ومن هم اساتذته " الانصارى . ابو عبيدة . الاخضر . النظام . غيرهم " . ثم ما هو

نوع الثقافة التي نغفها " العربية . الفارسية . اليونانية . الهندية . غيرها " .  
واخيرا ما هو وزن هذه الثقافة من حيث قيمتها العلمية .

### المقالة الثالثة الجاحظ في معترك الحياة - ٤٥٠-٤٩٩

( من كبار الدولة ) مع المأمون . مع ابن الزيات . مع ابن ابي دؤاد . مع  
ابنه . مع الفتح بن خافان . مع غيرهم . ثم أثر هذا عليه .

( نصيبه من الحياة ) المال . ماذا اصاب منه . والجاه . لاي حد اظله .  
والمركز الادبي . لاية درجة صعد فيه . وأخيرا ماذا أفاده كل ذلك .

( اخلاقه وشمائله ) قبل هذا . ما هو وصفه الشخصي . وما الروايات الواردة  
فيه . ولماذا اضاف اليه السندوقي لحيّة . — ثم لماذا هو عادل . ولماذا كريم .  
لماذا احب الحياة . وماذا قال الغير فيه . ثم واقعيته . ما القول فيها . والى  
اي حد اثرت في ادبه وعلمه ونظراته في الدين . واخيرا ما القول في جدّه . وما الرأي في  
هزله . والى ايها هو في طبعه أميل . وهل كان له غير هذه من اخلاق يمكن الاشارة  
اليها .

### الفصل الثاني في كتب الجاحظ - ٥٠٠-٥٥٨

=====

### المقالة الاولى في تعداد كتبه - ٥٠٠-٥٦٦

وفي هذا التعداد راعينا إثبات وجود الاسم للكتاب . سواء بذكره . او  
بوجود مخطوطة له . او بكونه مطبوعا . او باجتماع اكثر من عامل من هذه الثلاثة .  
فكان لنا ٢٨٥ كتابا .

### المقالة الثانية في تحقيق هذا التعداد - ٥٦٦-٥٦٩

( هو باسم غيره ) ترى هل كتب هو باسم غيره . ولماذا . ثم من هم الذين كتب  
باسمهم . وما هي الكتب التي كتبت بهذه الصيغة .

( كتب مفردة باسماء متعددة ) ماهي هذه الكتب . وما هي اسباب ذلك الالتباس

" التصحيف . التحريف . تبديل ماسية الكلمات . تبديل اماكن الكلمات . نقل المعنى دون التفيد بنس المبنى . اشياء اخرى " . وبعد هذا ما الرأى في كل التباس من هذه . وما تعليله الحاسر بعد الدام .

( غيره باسمه ) ترى هن كتب غيره باسمه . ولماذا . وما هي الكتب المنسوبة اليه ولماذا نرى نحن ذلك في كل منها .

( التي ضاعت ) لماذا ضاعت وهل نعرف عنها شيئا .

( والخلاصة ) كم كتابا نستطيع ان ننسب للجاحظ . ( ١٥٢-١٦٤ ) .

### المقالة الثالثة في وصف كتبه - ..... ٩٠-٩٩

( الرئيسية ) الحيوان . نم البيان . نم البخل . ذكر كل منها . مخطوطاته . طبعاته . ما قيل فيه وما كُتب عنه . وصف مادته حسب اجزائه ببعض التفصيل . نظرات وخصرات على هامشه .

( الثانوية ) رسائله المختلفة مرتبة حسب الترتيب الأبجدي . وقد كان لنا منها اربعون رسالة تختلف كل منها عن الاخرى من حيث اهمية النظرة اليها . ( المنسوبة ) خصوصا التاج والحاسن .

### المقالة الرابعة في تقدير كتبه - ..... ١١٥-١١٧

( سعة انتشارها ) مع أدلتها واهميتها .  
( غمزاات اعدائها ) مع امثلتها وقيمتها .  
( خطرات انصارها ) مع امثلتها وقيمتها .  
( والنتيجة ) " كتب الجاحظ تُعلم العقل اولا والادب نانيا " .

### الفصل الثالث في اسلوب الجاحظ ١١٨-١١٩

=====

### المقالة الاولى في اسلوبه التالي - ..... ١١٨-١٤٢

( النظرى ) اعرف كفاءتك . وضع فكرتك . اختر ساعتك . ابدأ بالكتابة

مبسلا ومحمدا . لكن حذار من الغرور . والخَجَر . والانانية . ونقدات فارت .  
وتعدّها اعرض متوجك على من عركوا الحياة . وشاورهم في الامر .

( العملي ) كان يختصر لثلا يُمل . ملخص ليجمع المتباعد . ويكرر لكي  
يُرسخ الفكرة . وشرح لكي يجلو الغامض . واستطرد لبنوع . ومنح ليرطب الجد .  
ومعد لينسوق . مسائل قارئه ليُبقية منتبها . ومخاطبه ليُبقئ منه على صلة . واحيرا  
كان يُحجج عن ابداء رايه الخاص خوفا من نهر الفارئ .

كل هذا بالاضافة الى مسائل ميكانيكية لم يستغن عنها مثل " البسطة  
والحمدلة . والدعاء للفارئ . وذكر غرض الكتاب . وسرد قسم من مادته . والتنويه  
بكتبه السابقة واللاحقة في جزئيات الكتاب . بالاضافة الى نثائية لم يتخلص منها  
برزت واضحة في كل ما كتب .

( أثره ) من هم الذين تأثروا به . وابن + وكيف . ولماذا .

#### المقالة الثانية في اسلوب الانشائي - ..... ١٤٤ - ١٦٩

( اسلوبه الخاص ) ونعني التوازن . ما هي مقوماته " الفاظ رشيقة . جمل  
قصيرة . نفس طويل . جمل مترادفة . كلمات مكرره . اطناب . ايجاز . قم توازن  
يختلف باختلاف المقام " . ما هي مواضعه / مراعاته " فلة الحسنات . مطابقة القول المقول .  
الوحي والاشارة . بروز الشخصية " . ما هي مواطنه " الرسائل . المقدمات . المواقف  
العاطفية . المواقف الوصفية " . رواد التوازن " من هم . وفي اي المراجع " . فضل  
الجاحظ فيه " انه بلوره وسواء اسلوبا " . أتباع التوازن " من هم . وفي اي المراجع " .  
واخيرا نقد التوازن " من حيث هو اسلوب قائم بذاته " .

( الجاحظ والأساليب الاخرى ) الجاحظ و السجع " لماذا احبته العرب .  
لماذا كرهته . ما هو موقفه الخاص منه " . الجاحظ والترسل " لماذا لم يحجم عنه . وابن  
كان يترسل " . الجاحظ والرمزية " هل عرفها . وما هي رمزيته . وما قيمتها " .

( فلسفته في الاسلوب ) الاسلوب هو الرجل . الاسلوب هو الموضوع . لا

بل هو مزيج من عنصرين فويين هما الذاتية والموضوعية .

## المقالة الثالثة في اسلوبه العلي - ١٧:١٨١.....

- ( كان يحقق ) ما هي الادلة . وما هي البراهين . النظرية العامة . والعملية الخاصة .  
( لم يكن ) كذلك . لماذا .  
( كان يعرج ) لماذا كان هذا صحيحا .

### النصل الرابع في مادة الجاحظ ١٨٤-١٨٦ =====

## المقالة الاولى في فن الجاحظ - ١٨٤:١٨٦.....

- ( النقد عنده ) نقد اللفظة بحد ذاتها . نقد علاقتها بالمعنى . نقد علاقتها  
بالبيئة . نقد علاقتها باخواتها في الجملة . ثم ما هي المفاتيح او الخطرات النقدية التي  
يمكن استنتاجها من اشاراته الكثيرة . وهل هناك غير " الوضع والايجاز وعدم التكلف" .  
( الجاحظ واللغة ) مظاهر اهتمامه باللغة . سعة اطلاعه عليها . مع بحث في  
معرفة الجاحظ للفارسية او عدمها .  
( الجاحظ وفقه اللغة ) هل عرفه . ما قوله في أصل اللغة . ثم في بدئها .  
ثم في جذورها وتطور تلك الجذور . وعلم الاصوات ماذا قال فيه . واللهجات ما رايه في  
تلاقيها . ودراسة القوم بدراسة لغتهم الى اى حد بروز فيه .  
( الجاحظ والشعر ) هل قال الشعر . وما القول في شعره . ثم ما رايه  
هو في تعريف الشعر . وفي قدميته . وفي ترجمته . وفي سرقة . وفي التوليد فيه .  
بالاهانة الى وحدة القصيدة وضرورة انتظام عقد ابائنها .  
( باقي الفنون ) الخطابة . ما شروطه في الخطيب . وما نقداً للخطبة .  
ثم القصة . ما ميزات قصته . وهل نستطيع ان نسميه قصاصا . ثم حكاية هزله وادبه  
المكشوف . ما القول فيهما . لماذا اغرم بهما . واولع بدروسهما . هل من سبب . وما  
قيمة ذلك السبب في ميزان النقد الصحيح .

## المقالة الثانية في علم الجاحظ - ١٨٦:١٨٧.....

- ( علم الحياة ) ما رايه في النشوء والارتقاء . وما قوله في مجانية البيئة .



والتعاون بين الحيوانات<sup>منحرفه</sup> . هل لاحظته . والتهجين في الرأفة<sup>منحرفه</sup> . هل أدركه . والتوالد<sup>Parthenogenesis</sup> العذرى . هل تكلم عنه . وسنة تنازع البقاء<sup>منحرفه</sup> . ما قوله فيها . وعلم الحياة الترتيبي<sup>منحرفه</sup> . ترى هل عره الجاحظ . وبعد هذا ما فضل الجاحظ في كل من هذه . وما معيار يمكننا ان نرتبها .

( علم النفس ) . وحب شيء الى الانسان ما منع . وشبه الشيء<sup>منحرفه</sup> . منجذب اليه . والعز<sup>منحرفه</sup> . يجهل عيب نفسه . الى جانب ميل الانسان للتأله . وضعفه النفسي . وغيرها كثير كلها قواعد نفسية عرفها الجاحظ . وتكلم عنها . لكن ترى ماذا قال<sup>منحرفه</sup> .

( علم الاجتماع ) الجاحظ والرأفة . الجاحظ والأمامه . الجاحظ ونظام الطبقات ترى ماذا قال فيها . وبأية عين نظر الى كل منها .

( علم الاخلاق ) ترى ايريدها دنيا تبدل . ام دنيا تَزُمّت . ولماذا .

( علم التاريخ ) الجاحظ لا يريد التاريخ وصفا لاعمال الرجال بقدر ما يريد تحليله لنفسياتهم وتبيينا لعلاقاتهم ببيئاتهم . يريد تاريخا اجتماعيا انسانيا . فلماذا . ( تقديره كعالم ) ...

### المقالة الثالثة في دين الجاحظ - ١٨٩٨-١٩٠٠

( موقفه من القرآن ) كيف ماذا قال في خلفه . وكيف نظر الى تفسيره . وكيف عالج مسألة اعجازه ...

(- من الحديث ) لماذا اسلم بالوضع وعدم التحقيق . بماذا دافى عنه انصاره . واخيرا ما حقيقة الامر في موقفه من الحديث .

(- من الفقه ) ما رأى الجاحظ بالمرأة . ومحبته بها . ومزواجها . وباختلاطها . ما قوله في الغنا . ثم بمسألة المشروبات الروحية . ثم بمسألة اكل اللحم . واخيرا ما قوله في الرقيق تلك المشكلة التي لعبت دورا هاما في العصر الوسطي . ثم ما رايه بالفلسفة الدينية . حرية الطبائع القضا<sup>منحرفه</sup> . والقدر . نبات الجواهر . المعارف . واخيرا عن اى الطرق وماى الوسائل وكيف كان يحاول الجاحظ التوفيق بين الدنيا والدين . العقل<sup>منحرفه</sup> .

## المقالة الاولى - تحقيقات

ان عظيمًا مثل الجاحظ تعاورت اسمه كثير من الافلام وتداولت ذكره اكر اللسان ، وتقلب هو نفسه في ظروف جداً متغايرة ، لا يُستغرب عليه ان تكرر التحريفات في اسمه او الاراء في نسبه ومثلها الاقوال في تاريخي ميلاده ووفاته . ولهذا خَصَصنا هذا المقال لاطهار كل من هاته على حقيقتها جهداً المستطاع .

### اولا تحقيق في اسمه

تكاد تُجمع جميع المصادر التي رجعنا اليها في هذه الدراسة على انه ( ابو عثمان عمرو ابن بحر بن محبوب - الجاحظ الحدي - الكاني الليثي الفقيهي البصري ) . لكن سوء النسخ تارة وحسب السرعة اخرى عملتا كثيرا في هذه التسمية فحرفناها بحرف التحريف مما لا نستطيع معه الا ان نشير اليه .

١ - كنيته = روى ابن عساكر في تاريخه ان الجاحظ قال ( نسيت كنيتي ثلاثة ايام . وعندما سألت عنها . قالوا لي انك تكي ابا عثمان<sup>٤٦٠</sup> ) . وقال الجاحظ نفسه في مواطن متعددة من كتبه عندما كان يحب ان يشير الى نفسه اما براى خاص او بمناسبة خاصة ( قال ابو عثمان<sup>٢</sup> ) . وعلى هذه التكنية اكثر التابعين من امثال السعودي في مروجه<sup>٣</sup> وماقوت في معجمه<sup>٤</sup> وابن خلكان في وفياته<sup>٥</sup> وغيرهم كثير .

الا ان الوحيد الذي كان قد هذ عن هذا الاجماع هو ابو الفداء في تاريخه<sup>٤٩</sup> ومن ثم ابن الوردي في مختصره<sup>٦</sup> . اذ كياه بابي عمران بدل ابي عثمان .

اما نحن فلا نرى في هذه التكنية اكثر من تحريف نسخي مفضح للتكنية الاولى . وذلك لاسباب . منها إجماع كل المصادر التي طالعناها على التكنية الاولى وانفراد ابي الفداء وحده بهذا . الثانية . ومنها شدة الشبه الشكلي بين التكنيتين ( ابو عثمان وابو عمران ) مما يُعيننا على الاخذ بمنظورية التحريف النسخي . ومنها ايضا تأخر ابي الفداء في الترتيب الزمني وانفراده بهذا الخلق الجديد ما يضعف روايته .

٢ - اسمه = هذا من حيث كنيته . اما من حيث اسمه فقد قال هو بنفسه وأجمعت اغلبيه المصادر على ان اسمه كان "عمرو" . وقد قيل ان الجاحظ كان يحبه وتشيع له وعز به . حتى انه كتب رسالة كاملة "في من يسمى من الشعراء عمروا" <sup>١٩٥/٤</sup> . لينبئ وجهه الاسم <sup>١٩٥/٤</sup> ويرغب الناس بتسميته به فيصرونهم عن "الجاحظ" الذي قيل انه كان يكرهه ومفته وأنف من سماع الناس بنادونه به <sup>١٩٥/٤</sup> .

نقول على هذا اكرية المصادر . الا اننا وجدنا اثناء البحث ان ابا الفداء <sup>١٩٤</sup> يسميه "عمرا" بحذف الواو ومثله ابن الوردى <sup>١٩٤</sup> . كدنا نري بهاتين الروايتين عرض الحائط ونتمهم صاحبيهما بسوء النسخ ثانية لولا اننا وجدنا ان نون فلوتن طابع "الحاسن والاضداد" يشير في هامش الصفحة الاولى منه الى ان مخطوطة "م.ب." من مخطوطات الكتاب شئت المؤلف "عمر" ايضا بحذف الواو . فعدلنا عن السرعة وعدنا نحقق وندقق ونقارن ونقابل بين كل ما وصل اليها عن اسمه .

لكن الوقت لم يطل حتى عدنا والايمان يعمر قلوبنا بالنتيجة الاخيرة وهي ان طرّح الواو كان خطأ نسخيا لاسيما وان ابا الفداء ومثله ابن الوردى كانا متأخرين وان مخطوطة م.ب. هذه متأخرة في نسخها كما يدل تاريخها . هذا اذا ثبت وصح ان الكتاب نفسه للجاحظ . وعلى هذا فاسم الجاحظ هو "عمرو" ولا شيء سواه .

٣ - اسم ابيه = هذا عن كنيته وعن اسمه . اما اسم والده فقد عرفناه بـ "بحر" . وعلى هذا هو نفسه في المواضع التي تعرض فيها لذكر اسم والده نبي كسبه <sup>١٩٥</sup> . وعليه ايضا اكر المصادر التي تجد سردها في مكان اخر .

الا ان هناك تغييرات حدثت بخصوصه لا بد من اثارها لانارتها . فالبغدادى في توفه سماه "يحيى" <sup>١٩٥</sup> . والسيوطي في بغيته سماه "محبوب" <sup>١٩٥</sup> . في حين اتفق كل من ابن حزم في مله <sup>١٩٥/٤</sup> وحاجي خليفه في كشف ظنونهم <sup>١٩٥</sup> انه "الجاحظ" . وهكذا تتفرق المصادر وتتغاير التسميات .

اما نحن فلا يسعنا امام الاجماع الاول الا ان ننكر "يحيى" الذي اتانا به البغدادى ونقول عنه انه ليس اكر من تحريف غير مقصود "لبحر" لاسيما وان وجه الضيق

الشكلي بينهما قريب جدا . وننكر الى جانب ذلك ان " محبوب " ايضا ومنله " الجاحظ " ~~على~~ انهما امكانيتان لاسم والد صاحبنا . ذلك لانه يكاد يكون واضحا لكل ذى عينين ان الاول اسم جده . أو على الأقل ليس اسم ابيه ، في حين ان الثاني هو لقبه الذى عُرف به وقلب عليه . إنما كانت السرعة وحسب الاختصار في سلسلة النسب هما السبب في مثل هذا التشويه . ومثل هذه السرعة وذاك الاختصار معروف ولا يزال متداولاً حتى اليوم مما لا يحتاج لطول شرح .

٤ - والان نتنقل " لمحبوب " هذا الذى قيل عنه انه كان اسماً لجد الجاحظ عسانا نبين ما فعلت به يد الايام .

يقول الجاحظ في اكثر من مكان من كتبه ، وتتفق اغلبية الذين كتبوا عنه فيما بعد ، على ان " محبوب " بهذا الشكل وهذا الرسم ، كان جده .

لكن هيهات لعقد ان يتم انتظامه . ففي حين تجمع هذه الاكثوية الساحقة على هذه التسمية ، يقول يموت بن المزعج - وموت اقرب المقربين الى الجاحظ <sup>بما ذكره</sup> والعلم الناس بذخائله (ان جد الجاحظ كان اسمه نزاره وكان جمالا لعمره ابن قلع الكثاني<sup>١</sup>) . في حين يحذف هذا الاسم ولا يأتي له على اى ذكر كل من ابن حزم وابي الفداء والسيوطي وحاجي خليفة . وهكذا نفع في مشكلة تحقيق اسم جده بعد ان كدنا نمر عليها بسلم .

لدينا الان ثلاثة احتمالات = اولها ان اسم جد الجاحظ هو " محبوب " . وثانيها انه كان " نزاره " . وثالثها انه لم يكن له جد . اذ لم يذكر له اسم . لكن ما لا شك فيه انه كان له جد . وان لذلك الجد كان اسم . فما هو اسمه .

لحل المشكلة لدينا ثلاثة اقتراحات = أولاً الاول فهو ان محبوبا ونزاره ، كانا اسمين صحيحين لجدى الجاحظ من ابيه واه . على ان يكون الاول هو اسم جده لايه . اما لماذا ذكر جده لاه . فنقول ان يموتا هو ابن اخت الجاحظ . ولهذا لا يُستغرب منه ان لا ينسى ذلك الجد . هذا هو الاقتراح الاول اما الثاني فهو انهما اسم ولقب لاحد جديه . أما لايهما . فلا نعرف . لكننا نرجح ناحية الاب لاختذ اكثر العرب بها . اما الثالث فهو انهما اسمان لجدين متواليين من اجداد الجاحظ من جهة ابيه ايضا . اما ترتيبهما التسلسلي

نحشي" لا نعرفه ولا نستطيع ان نتأكد منه . إنما نرجح ان يكون " محبوب " جده الاول لتواتر الروايات . في حين ينبغي ترتيب " فزاره " مجهولا .

واخيرا نخلص من كل هذه المحاولات في توضيح اسم جده ونحن على شبه يقين من ان اسمه كان " محبوب " لا غير .

٥ - لقبائه = بعد كل "دوشة" الراس هذه تنتقل لخطوة اخرى وهي التحقيق في ألقابه . للجاحظ لقبان هما " الجاحظ والحفي " . غلب عليه اولهما وعُرِفَ به وله فيه حكايات وعليه اجمعت جميع المصادر التي رجعنا اليها دون شذوذه .

سبي صاحبنا بالجاحظ لجحوظ عينيه اى بروزهما اكثر من المعتاد . وقد قيل ان حديقتهما كانتا كبيرتين ايضا ، ولذا لقب بالحدتي . قال الجاحظ ( اثبت منزل صديق . نظرت الباب ، فخرجت الي جاريه سنديه . نقلت قولي لسيدك الجاحظ بالباب . فقالت افول الجاحد بالباب . على لغتها . نقلت لا قولي الحدتي بالباب . فقالت افول الحلقي بالباب . نقلت لا تقولي شيئا . رجعت ) . وهكذا حَكَرَتْ هذه الجارية لقبى صاحبنا بعد ان سلما من تحريف الكتاب والنساج . وكانه عز عليها ان يبقى له اسم واحد بدون تحريف .

الا انه قيل ان الجاحظ لم يكن على رضا من هذا اللقب . اذ كثيرا ما انتفض عليه وتذمر منه وسماه " الاسم المظلم " . وراح يكتب رسالة كاملة " في من يسمى باللقب الشعراء " عروا . وكانه يريد ان يقول للناس ادعوني بهذا لا بذاك . وما درى ابو عثمان ان لقبه هذا الذى تبرم به سيكون في يوم من الايام لقب " سيد كتاب العربية بلا مدافع " رئيس اوبائها بلا منازع<sup>٣</sup> . وان ابن العميد مع فدره وجلاله سيفتخر اذ يناديه المقربون منه " بالجاحظ الثاني " . وان ابا زيد البلخي سيكون اعز ما يحرم عليه لقب " جاحظ خراسان " . في حين ان ابا حيان التوحيدي سيتبنى لو كان له من ابي عثمان ولو هذا الاسم الذى شرّق وغرّب في العالمين<sup>٤</sup> .

٦ - انسابه = واخيرا تنتقل لثالثة الاثاني ( نعمني انسابه ) اذا كانت اسماءه والقباه الاولتين . أول نسب نسب اليه الجاحظ هو " الكاني " . وقد اشار هو بنفسه الى ذلك في الترييح والتدوير عندما قال مخاطبا ابن عبد الوهاب ( فوالله لئن رميتني ببجيله لارمينك

بكثاته<sup>١</sup> . وذكره بذلك ايضا باقوت وغيره كثيرون . اما هل كان هذا النسب لكثاته نسب دم ام نسب ولا<sup>٢</sup> - فهو ما سنحاول ان نوضح غامضه فيما بعد .

هذا اول نسب . اما الثاني فهو " اللبني " . الذي انفرد بذكره الجبري في الكامل<sup>٣</sup> دون ان ياتي له باى تعليل او شرح او تفسير . وقد بحثنا كثيرا لنجد له اصلا فلم نوفيق الا لما قاله الاستاذ كرد علي في امثاله من حيث انه كان نسبة لليت بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة<sup>٤</sup> . اما من اين اتى بهذا الاستاذ كرد . او ما نصيبه من الصحة . فمسائل لا نستطيع الخوض فيها الآن نظرا لانعدام المصادر الاولى من بين ايدينا . لكننا اثبتناه تنمة للبحث .

وقبل الاخير يأتي نسب ثالث هو " الفهيري " الذي لحقه نتيجة لولائه في ال فقيم لطن من كثاته كما قال باقوت في معجمه<sup>٥</sup> .

اما الاخير فهو " البصري " . لقد لصق به هذا النسب لانه ولد في البصرة وامره من الوضع بحيث لا يحتاج لفسير شرح حتى . لكن الغريب بخصوصه ان يورده ابن حزم بشكل " الفصري " ويورده صاحب فهرس كوبرلي زاده بشكل " المصري " . ووجه الخطأ في هذا بَيِّن لا يحتاج لكلم . انما الذي يحتاج للكلام وتنبيه مستمر . هو الحذر كل الحذر من الاغلاط النسخية التي وقع تحت رحمتها كل ما يتعلق بالجاحظ تقريبا .

٧ - الخلاصة = بعد هذا وليس قبله ، نستقيم لنا كية الجاحظ واسماؤه والقابه وانسابه على الشكل التالي = ( ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب - الجاحظ الحذفي - الكثاني اللبني الفهيري البصري ) . وبعد هذا وليس قبله ايضا ، يستطيع الجاحظ وانصار الجاحظ ان يحمداوا الله على ان لم يوقعهم بين يدى الدكتور طه حسين فينكر وجوده كما انكر وجود امرئ القيس من قبله ، حينما ضاق ذرعه بتعدد اسمائه وكناه<sup>٧</sup> .

## ثانياً تدقيق في نسبه

بخصوص نسب الجاحظ - / أعربيا ام غير ذلك - تنقسم جمهرة المهتمين بالامر الى ثلاثة مخيمات = افراد الاول يقولون ( كان عربيا وعربيا قحا ) . وافراد الثاني يقولون ( بل كان كل شيء الا عربيا ) . في حين يقف افراد الثالث على شبه حياد يقولون ( لقد كان مولى ولا علم لنا باكثر من ذلك ) . واليك تفصيل هذا الاجمال .

اما الجماعة الذين يقولون بانه كان مولى ولا علم لنا بحقيقة ذاك الولا = اكان عن طريق الخدمة او عن طريق الدم ، فهم الاكثية الساحقة من المؤرخين والادباء الذين كتبوا عنه مثل ياقوت في معجمه والمسمودي ثم روجه وابن خلكان في وفياته وغيرهم وغيرهم كثير . وحجتهم في موقفهم انه هكذا ورد عنه ولا علم لنا باكثر منه . حسبنا انك لاحظنا هذه الحقيقة وكنا انا ودناها كما حصلنا عليها . لم الخلف يستفيد منها .

اما الفريق الثاني الذي دافع عن عروته فابرز افراده من المحدثين الاستاذ كرد علي الذي قال في امرائه ( هو كثاني صليبة خالص النسب )<sup>١</sup> ثم اضاف في مكان غيره ( وان كثر اطلاقه على اداب الاجانب لم تفسد عروته )<sup>٢</sup> . ثم الاستاذ حسن السندوي في ادبه اذ خصص فصلا كاملا للدفاع عن وجهة نظره هذه<sup>٣</sup> . اما النقاط التي يعتمد عليها هؤلاء في اتجاههم والبراهين التي يقدمونها لدعم مدعاهم فاشهرها واهمها ما يلي =

١ - انه دافع عن العرب - في وقت اشتداد الازمة بينهم وبين غيرهم . وكان باستطلعت ( لو لم يكن عربيا ) ان ينضم للفئة الاخرى المناوئة ، مُكْرَمًا مُبْجَلًا من جهتها ، ومدعوما مسنودا من قبل الكثيرين من رجال الادب والسياسة الذين كانوا يعطفون على تلك الفئة . لكنه لم يفعل - وليس هذا فحسب بل راح يؤلف الرسائل الطوال في الدفاع عن العرب والظعن في اعدائهم مثل " فضل العرب على العجم " . ولم يكتف بهذا بل راح ينتقم من فرصة للرفع من شأن العرب والحط من اعدائهم وقد اتخذ هذا ديدنه طيلة حياته . حتى انه اراد ( لو طأه القلم الجمي )<sup>١٧٤ ١٧٥</sup> أن يخصص جميع الجزء الثاني من البيان والتبيين الذي ألفه في أخريات أيامه لنصرة هذا المبدأ .

٢ - ان ولاه لبني كئانه كان ولاه صليبا دموا - وليس ولاه خدمة وأسار<sup>كرد</sup>.

والادلة على هذا ليست معوزة . فالتساب من جهة لم يذكروا واحدا من عائلته وقع في رق او اسر او عبودية . واللخميون من ناحية يقولون إن العرب كثيرا ما استعملت الولا . بمعنى الخلعة والصحة والمجبة وعلى هذا فلا يستبعد ان يكون ولاه<sup>١</sup> للكناني ولاه صبة ومجبة لا ولاه خدمة وعبودية<sup>٢</sup> .

٣ - كل هذا بالاضافة الى ان الجمار عندما غضب منه وحاول أن يهجمه . لم يجد على لسانه اشئ لغليل قلبه من مهاجمته بما كان يدين به نفسه فقال =  
قال عمرو متأخرا نحن قيم من العرب<sup>٢</sup> يا قرة<sup>١</sup> لا  
وعمره هذا ، لو لم يكن من العرب لما جشم نفسه مؤونة هذا الفخر .

٤ - قد تكون رواية الجمار ضعيفة فيتمحل لها المتحللون الاعذار ويخلفون المطلاعن لأضعافها ، لكنهم لن يستطيعوا ذلك اذا قرؤوا في الحيوان الذي خَطَّه الجاحظ بقلمه قوله بصراحة ودون اية مواربة ( ... ولكي اخذت بوجه اهل دعوتي وملتي ولغتي وجزرتي وجيرتي - وهم العرب<sup>١</sup> ) . مما لا يستطيع الطعن في عروته بعد قراءته الا كل مكابر من ضياع الوقت إعالة الحجاج معه .

هذا ملخص رأي الفريقين الاولين ومُجمل لأهم حججهما . اما الفريق الاخير فيرى أن الحقيقة فانت كلا القومين وأن الجاحظ في الحق كان كل شيء الا عربيا . وحججه في هذا اولا سلبية للرد على اقوال السابقين وثانيا ايجابية لزيادة توضيح ودعم ما يقولون به . واليك أهمها =

(١) - إن دافع الجاحظ عن العرب لا يُعد حجة لعروته . ذلك لانه في الوقت

الذي دافع فيه عن العرب وطعن في اعدائهم كما ذكروا ، كان قد دافع عن الموالي وطعن في العرب ايضا كما بظهر من رسالتيه ( فضل الموالي على العرب وفضل الفرس على العرب ) . هذا من جهة ، اما من اخرى فان الجاحظ رجل عرف بمهارته في سوق الاضداد واقتنام حوادث البيئة ومجريات الافكار ، وقد كتب في مدح النبيذ كما كتب في ذمه وكتب في الهزل كما كتب في الجذ ، وكتب في غيرها كثير . ومن الغريب ان كلا الفريقين يتخذ اقواله حجة على الفريق الآخر . وعلى هذا فلا يستبعد ان تكون كتاباته في هذا الموضوع من هذا النوع " الضدى " . ولهذا لا نشق بها



كما انه يجب ان لا يُعتمد عليها - وما لنا نبعد كثيرا وهو نفسه يقول في مقدمة الحيوان ما معناه " لا تحكموا علي بما اكتب والا كت نصرانيا عندما قلت في حجج النصارى . وكنت شيعيا عندما فصلت مذاهب الشيعة . وكنت مغنيا عندما أفضت في المغنين وَفَضَّلْتُ صُنْعَتَهُمْ ، في حين اني ابعد الناس عنهم اجمعين<sup>٧٨</sup> " .

وعلى هذا فدفاع الجاحظ عن العرب لا يجوز اتحاذه حجة لعروته .

٢ - أما مسألة ولائه لكتانة . أدوميا كان ذلك أم للخدمة . فامر لم يستطيعوا إثباته علميا . ولذا راحوا تارة يتشبهون بأقوال سلبية من النساب واخرى يستجدون بتفسيرات ملتوية من اللغويين . مما لا يُثبت حقا ولا يُقيم حجة في باب البحث العلمي الصحيح . - والا فلنفرض ان النساب لم يذكروا واحدا من اهله قد أسر . لكن هل يضمن لنا القم = أولا ان هو لا النساب قد قالوا كل ما يتعلق بالجاحظ . وثانيا انهم هم أنفسهم قد اطلعوا على كل ما قال اولئك النساب أنا كليل بأن شيئا من ذلك لا يُمكن الاجابة عليه ايجابيا . هذا من جهة ، أما من أخرى فان اللغة وخصوصا المطاطة منها لا وزن لها في ميادين مثل هذه ما لم تدعمها أدلة قوية أخرى يُعتمدُ بها مثل المنطق على الاقل .

لهذا نقول ، ان مسألة الولاء التي حاولوا ان يستعينوا بها خانتهم اذ نهبت الفرق المناوي اليها فاستفاد منها اكثر منهم . فجميع المصادر التي استعنتنا بها على ان الجاحظ كان مولى ، وان والده كان مولى ، وان جده كان مولى . واذا اضفنا الى هذا ، ان مصدر هذه الروايات جميعا هو ابن اخت الجاحظ وتلميذه المقرب اليه وعرّف الناس به ( يعني يموت بن المززع ) . سهّل علينا ان نتصور الى اي حد كان نسب صاحبنا في الخدمة عريقاً والى اية درجة كان تسلسله في الولاء قديماً . وسهّل علينا ايضا ان نتصور انه ما من عربي قح يستطيع ان يبقى في ذل الولاء ثلاثة اجيال متوالية ليخرج بعدها ويقول بكل قحة " انا عربي صليبة " .

لقد حاول العروبيون كما مر معنا ان يفسروا الولاء بالحب والصداقة ... السخ لكهم نسوا او تناسوا ، ان ما كان صحيحا وفيها من جهة اللغة ليس من الضروري ان يكون كذلك من ناحية الواقع . ولو كان كذلك لكان مهزلة يحرض الجاحظ على البعد منها كل الحرص . ان من غير الواقع ، بل من غير التعارف عليه ان يُحب الكتاني جد الجاحظ وُخْلِصَ له الخلة وتتوثق بينهما



احفظه نسبا حتى حفظه وهذه هذّا . نقلت له = الان لا تتع علينا . فقال سبحانه  
الله ان فعلت ذلك اني اذن <sup>سأعذب</sup> دعي . فاذا كان هذا صحيحا وهو الصحيح - لانه رواه بذاته ،  
للملأ فلماذا يصنع للغير وترك نسبه تتناوشه اللسن . ترى ايقال = لانه كان علمه في  
رأسه نار . وهو في الحقيقة لم يكن . ام لانه كان اضعف من ان يصن به . وهو الظاهر .

في الحيوان قال الجاحظ = ( ان العرب تفضل البرابرة والزنج السود لرعاية  
ابلهم ) . وسكت عن كل لا او نعم بخصوص جده . وهو يعلم كل العلم بل كان ادرى الناس ،  
بان هذه الجملة ستثير حول نسبه شبهات كثيرة . لا سيما وان جده كان اسود اللون وكان  
جمالا لعروب بن قلع الكفاني . لكه مع ذلك سكت . في حين انه عندما ذكر هجاء لشخص  
اسمه الفقيمي في البيان لم يتمالك الا ان يقول ( ولا عبرة بهذا الهجاء لان بني فقيم كانوا قد قتلوا  
اباه غالبا ) .

بالطبع نحن لا نفوز ان منذ هذه الاشارات تثبت عدم عروقه بمفردها . انما نقول  
اولا انها اشارات قوية . وثانيا انها بالتعاون مع اخواتها تكون برهانا قويا على ان الرجل كان ممنومز  
العرومة من ناحية التبعية وكان جدا ضعيفا من ناحية الدم .

ه - هذا ونحصر ان لا يفوتنا قبل الفراغ من هذا القسم ان نفهم اولئك القم  
ان ما ذكره من قول الجمار على لسان الجاحظ ، وما اردوه من كلام الجاحظ نفسه في الحيوان ، وما  
أستطيع ان اورد لهم الكثير من امثاله مما غفلوا عنه وقد حلفه الجاحظ - نقول نجيب ان نفهمهم  
ان هذا لا يعتد به البتة . لانه مادام من كلام الجاحظ ، في هذا الموضوع ، فهو اما ان يحمل على  
محمل الجد ، اى ان الجاحظ قاله وانه كان جادا فيما قال . سواء صحت روايته او اخطأت  
واما على محمل الهزل ، ان صحت أو اخطأت كذلك . اما الاول فمن نوع دفاعه عن العرب الذى  
اردوه سابقا وثبتا بطلانه . واما الثاني فلا قيمة له بالمرّة ، لاننا " بالكاد " نقبل الجد فما القل  
في الهزل خصوصا في مسألة خطيرة مثل هذه . اى اثبات نسب الجاحظ .

من هذانوى ان الجاحظ لم يكن عربيا ، كما انه لم يكن فارسيا لان الفرس كالعرب ليسوا  
من الجنس الاسود انما كل ما نعرنه عنه انه كان اولاد اسود وثانيا مولى . لكن من اى سود الموالي  
كان او بالاحرى اين وطنه الاصلي الذى جاء منه . فامر سنحاول ان نبين غامضه فيما يلي =

نحن نعتقد ان الجاحظ لم يكن عربيا للأسباب التي مر ذكرها . كما اننا نعتقد  
ايضا انه لم يكن فارسيا لذات الاسباب تقريبا . بالاضافة الى اعتقادنا انه لم يكن حبشيا  
لانه ذم الاحباش مَلِكًا وجنسا في البيان والتبيين حيث قال ( قال حكيم بن عياش الكلبي

الم يك ملك ارض الله طرا لارعة له متميزنا

لحمير والنجاشي وابن كسرى وفيصر غير قول الممترينا

فما ادرى باى سبب وضع الحبشة بهذا الموضع . اما ذكره لحمير فان كان انما ذهب الى تَبَّح نفسه  
في الملوك فهذا له وجه . - وأما النجاشي فليس هو عند الملوك في هذا المكان . ولو كان  
النجاشي في نفسه قوى تبع وكسرى وفيصر لما كان اهل مملكته من الحبش في هذا الموضع . وهو  
لم يفضل النجاشي لمكان اسلامه ، يدل على ذلك تفضيله لكسرى وفيصر ، وكان وضع كلامه على  
ذكر الممالك ثم ترك الممالك واخذ في ذكر الملوك (١) . كما نعتقد ايضا انه لم يكن زنجيا لانه سخر  
بالزنج في الحيوان اذ ضمهم الى الكلاب في قوله ( اطيب الانواء نكهة واشدها عذوة واكرها ريقا  
انواء التونج . والكلاب من بين السباع اطيب انواها منها )<sup>٥٧٢</sup> . فانظر كيف قرن التونج بالكلاب .  
وفي مكان اخر ذم بلاغتهم وفي ثالثهاجم تركيب اجسامهم<sup>(٢) ١٩/٤٢</sup> . ومن كل هذا نستنتج انه لم يكن  
عربيا ولا فارسيا ولا حبشيا ولا زنجيا . اذن من اى سود الموالي هو .

لدينا اقتراح نحب ان نلقي به في معترك الاخذ والرد لتظهر قوته على البقاء  
وقدرته على الحياة . وهو ان الجاحظ بربري من برابرة افريقيا الذين نزحوا الى الجزيرة واقاموا  
مدة في اليمن او في الجنوب على العموم . ثم نزحوا الى الشمال بعد ان عمرت الاقاليم . ودليلنا على  
انه بربري من افريقيا اولا سواده . وثانيا باقى وصفه الشخصي الذى وصلنا من حيث احمرار عينيه  
وغلظ شففيه وتجعد وجهه وقصر عنقه وغيرها وغيرها . وثالثا أن افريقيا هي اقرب الامكانيات  
وذلك لغربها من الجزيرة جغرافيا ولتاكدنا من انه كان بينهما تجارة من قديم الزمان . ولهذا  
نلا يُستغرب ان يكون أحد اجداده قد جاء واقام في اليمن مدة . اما لماذا اليمن . فلانه مع  
حرمة الرسول ومع استغرافه مرته في مدحه ومع وضعه ايساه فوق الجميع ، لم يستطع عندما احتدمت  
المصيبة في راسه الا ان يكتب رسالة كاملة يفضض فيها الفحطانية على الكنانة وسائر العدنانية .  
وهذا لا يكون من ابي عثمان الا بوازع قوى .

على كل - هذا ما توصلنا اليه بخصوص نسب الرجل . فتأكدنا أولاً من انه كان اسود وثانيا من انه كان مولى . وثالثا من انه لم يكن عربيا . واخيرا ملنا الى القول بانه كان من اسود افريقيا النازحين . والله اعلم بالصواب .

### ثالثا نظرة في تاريخه

روى ياقوت وفات جميع المصادر التي اطلعنا عليها ان وفاة الجاحظ كانت في يوم لم يُعرف تاريخه . من شهر المحرم ، سنة ٢٥٥ في البصرة لا في غيرها كما قال البعض <sup>بأنه في سنة ٢٥٨</sup> كان هذا الاجتماع جميلا من ناحية لانه يدل على أهمية الرجل عند موته وتقدير القوم له بحفظ تاريخه بدون تغيير او تبديل . ومفيد من أخرى لاننا بحك باي الروايات عليه ، سنستطيع في الفقرات التالية من تعيين تاريخ ميلاده الذي تضاربت فيه الروايات وكثر فيه الحس والتخمين ، حتى اضحى ضربا من الحس والتخمين .

روى ياقوت في معجمه ان الجاحظ قال ( انا أسن من ابي نواس بسنة . ولدت في أول سنة ١٥٠ وولد في آخرها ) <sup>بأنه في سنة ١٥٠</sup> . وعندما قرأ الاستاذ السندوي هذه الرواية بهذه الصراحة والوضوح ، وضع القلم وقال ( اذن هذا هو الصحيح وليس بعده نمر ) <sup>بأنه في سنة ١٥٠</sup> .

لقد خُدد الاستاذ السندوي بظاهر القول . ولو كلف نفسه قليلا من مشقة البحث لما اطمأن الى مثل هذا التاريخ المغلوط ولما قيلَ بهذه السرعة - قال الجاحظ (على فرض صحة الرواية ) انه اشترك مع ابي نواس في تاريخ الولادة . وقال ايضا ان ذلك التاريخ المشترك كان سنة ١٥٠ . والآن نضع الشك الثاني ( اي سنة ١٥٠ ) . على الرو ، لناخذ في تحقيق الاول ( اي اشتراكه مع ابي نواس في تاريخ الولادة ) لنرى الى اي حد - و صحيح .

قال الانباري ولد ابو نواس سنة ١٣٦ . وقال طاب<sup>٥</sup> ديوانه علي<sup>٦</sup> بل ولد سنة ١٤١ . وقال ابن خلكان<sup>٦</sup> لا بل سنة ١٤٥ . وحاول الاستاذ السندوي<sup>٧</sup> ان يتغاضى عن كل هذه التروقات الواسعة فقرر انه ولد سنة ١٥٠ <sup>بأنه في سنة ١٥٠</sup> . لكن المبرور منه ان الجاحظ ولد . وانه

انه ولد مرة واحدة . وطبعاً في سنة معينة . ناية سنة هي لاسيما والروايات متضاربة ! -  
 اما نحن فندرس سماعنا إزاء هذا التضارب إلا أن نضرب بجمهورتها عرض الحائط بعد أن نظهر  
 خطئها ، ثم نسعى من جديد في تعيين تاريخ ميلاد الرجل .

لو سألنا بصحة الروايات الواردة اعلاه جميعاً ، لكان عُمر الجاحظ كما يظهر  
 من رواية الانباري ١١٩ سنة . وكما تقتضي رواية عابح الديوان نحو ١١٤ سنة . وكما يستنتج  
 من رواية ابن خلكان ١١٠ . وكما يجب أن يكون حسب تول السندوبي ١٠٥ . أي ان الجاحظ  
 حسب اقلها قد جاوز القرن . وهذا من الضعف بحيث لا يصح الأخذ به ولا الاضئنان اليه .  
 اولاً لان هذا العمر شاذ ومع ذلك لم يُشَرَّ اليه احد . مما يُشير <sup>١٠٧/١٤٦٠</sup> التشبهات حول صحته . وثانياً  
 لان هناك رواية أخرى تنافض الرواية التي كانت سبب هذا التشميش . اوردتها ياقوت <sup>١٠٧/١٤٦٠</sup> نفسه وايدته  
 فيها ابن خلكان <sup>١٠٧/١٤٦٠</sup> . هي التي تفور ان مولد ابي نواس كان غير معين لكن بتحديدات عامة وقع بين ١٣٠-١٤٠  
 وعلى هذا اولاً لا يمكن ان يكون قد اشترك ابو نواس والجاحظ في ميلاد واحد ، وان كانا قد اشتركا فان  
 ذلك التاريخ قد يكون كل شيء الا سنة ١٥٠ . اذن متى ولد الجاحظ .

اذا نظرنا في الروايات الواردة اليها بخصوص مرضه ومن ثم وفاته ، وجدنا ثلاثاً  
 متسلسلة . اولها تقول انه قال عندما زاره الخولي المتطبب " ان اكر ما يشكوه <sup>١٠٧/١٤٦٠</sup> التلغين " .  
 وثانيها انه قال عندما زاره <sup>١٠٧/١٤٦٠</sup> رسول المتوكل " ان اكر ما يشكوه <sup>١٠٧/١٤٦٠</sup> التسعين " . وثالثها " انه توفي  
 عن ست وتسعين سنة " . - الا اننا لسوء الحظ لا نعرف متى زاره الخولي تلك الزيارة .  
 ولهذا خسرنا مفعول الرواية الاولى . اما الثانية فقد عرفنا ان رسول المتوكل زاره قبيل وفاة الاخير  
 يدعوه اليه في الوقت الذي اشتد فيه المرض عليه [ اي على الجاحظ ] . واخر تاريخ يمكن تعيينه  
 لهذه الزيارة هو سنة ٢٤٧ اي السنة التي مات فيها المتوكل . وعلى هذا يكون ميلاده نتيجة  
 مسالة حسابية بسيطة . ( ٢٤٧-٩٠=١٥٧ ) . لكن الرواية الاخيرة مع مساعدة حواشي الثانية اي انه  
 نيف على التسعين تقرب التاريخ من الصحيح . اي من سنة ١٥٩ .

والخلاصة هي ان الجاحظ ولد في سنة ١٥٩ . ومات في سنة ٢٥٥  
 وانه على هذا قد سلح في الحياة الدنيا ستاً وتسعين سنة كاملة .

## المقالة الثانية حياته العامة

انه لمن الغريب حقا ان يصل الجاحظ الى كل ما وعد اليه من المراكز الممتازة في عوالم الادب والعلم والدين ، ثم يَتَوَقَّى <sup>١</sup>سوارك التراب ولا يقوم واحد من انصاره او اعدائه وهم كثر ، او على الاقل واحد من طلابه وهم ائمة القلم حيث حلوا - ليكتب لنا شيئا ينير امامنا جوانب هذه الحياة العامرة لهذا الرجل العظيم .

نقول بكل اسف لم يفهم احد حتى جاء المسمودي فَحَطَّ في موجهه بضعة اسطر لا تُسَمِّن ولا تغني عن جوع . وبقي الامر طلسمًا يعتمد على الحسد والتخمين اكثر من اعتماده على العلم واليقين ، حتى بدأ ياقوت معجبه في سِرِّ الادباء فخصص عددا لا بأس به من الصفحات لحياته الجاحظ تُعد بالنسبة لغيرها احسن واصدق المراجع . وتعد ياقوت جاء كيرون بين مقرظ ومقرض كل منهم كتب عن الرجل اسطرا حسب ميله وهواه . فان كان من مشايخه ربه للسماء كما نرى في تغريظ ابي حيان<sup>٢</sup> ، ومقاييس التوحيد<sup>٣</sup> . وان كان من مناوئيه انزله الحضيض وحرمه من كل مكرمة كما راينا في نوق البغدادي<sup>٤</sup> وزوايع بن شبيب<sup>٥</sup> . وهذه المصادر - التي يشق النفس تسميها مصادر - قليلة في عددها هزيلة غامضة في مادتها . فرواياتها في كثير من الاحيان ضعيفة ان لم تكن غير معقولة . وفي كثير غيرها تكاد تكون شبه متناقضة . واستخلاص اقل شيء ثابت منها يحتاج "لجهود العقاريت" .

### اولا - في بدء حياته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نقول بكل جهد جهيد وتحقيق شديد وتدقيق عنيد استطعنا ان نستخرج من هذه المصادر القليلة في كهها الهزيلة في نونها ، انه ولد في البصرة سنة ١٥٩ كما مر تحقيقه . وانه كان دميم الخلقة كما سنرى في وصفه . وان ابيه كانا فقيرين في حَسَبِهِمَا ونَسَبِهِمَا كما يُسْتَنْج من رواية ابن المزعز<sup>٦</sup> . وان والده مات في صغره فحرمه عطفه وحنانه كما قال كرد علي<sup>٧</sup> . ولهذا رثه امه ووقع في كف بخيل تكفل برعايته كما حكى هو بنفسه في البخلا<sup>٨</sup> . واخيرا اضطر لکسب قوته مبكرا نباع الخبز والسك بسبحان كما روى المرزباني<sup>٩</sup> . الا ان الله هداه فاتجه للعلم بکليته خلاصا من هذا المحيط الجائر كما تتفق كل الروايات .

هذا كل ما ابقت لنا عليه يدُ الايام . اما من ابوه . او من كانت امه . او في امه

سنة ولد . او على الاقل كيف قضى ايامه الاولى في البصرة . او شيئاً عن ميله في صغيره . والى  
اي حد اتلفت او اختلفت عما عُرِف عنه في كبره . الح . . الخ . . . فامور على الرغم من اهميتها  
صنعت عنها جميع المصادر صنفاً رهيباً يكاد يذكرنا بسكون الاموات . وصنعت المصادر هذا لم  
يقف عند حد طفولته بل تداها فنشر ظله البهيم وجهاًه المخيف على معظم حياة الرجل حتى  
جاوز به الاربعين . ولم يفلت من تلك المغازة المفكرة سوى ثلاث قصص هزيلة غامضة تلخصها  
فيما يلي لعلها تلقي بعض ضوءاً نحن في مسيس الحاجة اليه .

اما الاولى "نقصة الكلب" وملخصها ان العوام تقول ان من عضه الكلبُ الكلبُ اُثر عليه  
فياخذ بالنباح . قال الجاحظ وقد رايت كلباً عض ولداً من الكُتاب الذي كت فيه فلم اشاهد  
الأعراج التي قالوا بها . وعلى حد تعبيره " رأيت بعد ذلك بشهر وقد عاد الى الكُتاب وليس في  
وجهه من الشر الا موضع الخيط الذي خيط به . فلم ينبج الى ان برئ ولا دعا بما حتى  
اذا راه صاح رده . ولا بال جروا ولا علقا ولا اصابه مما تقول العوام قليل ولا كبيراً .

اما الثانية "نقصة الكرايس"<sup>(١)</sup> وملخصها انه جاء <sup>(لامه)</sup> ذات يوم وسالها طعاماً فقدمت له  
طبقاً عليه كرايس وقالت له كل . فقال ما هذا . فقالت هذا الذي تخيع به وقتك . فعاد للكُتاب  
ثانية ناعطاه بعضهم شيئاً . وعندما عاد لامه قدمه اليها وقال كلي من هذا الذي اضيع به وقتي<sup>٢</sup> .

اما الثالثة "نقصة الخفاش"<sup>(٣)</sup> وملخصها انه رأى الخفاش يصير في الليل ويعتدى على  
بعض الحيوانات ومعامل اولاده معاملة خاصة انكرها العوام فجاء الجاحظ يكذبه<sup>٤</sup> .

ومن هذه الثلاثة نستنتج انه كان دقيق الملاحظة في الاولى ولنه استقبل حياة  
عميسة في الثانية وانه كان مولعاً في تحقيق اقوال العامة في الثالثة . وهي في مجموعها كما  
ترى ضئيلة قليلة عديمة الجدوى . اردناها لانها ابرز القليل الباني من حياته الاولى .



## ثانيا - في ثقافته

الا ان لسان هذه المصادر يتحرك وبيانها ينطلق وسكونها ينقطع عندما نسألها لتخبرنا عن حياته العلمية فتروح تحدثنا بكل ما دق وأثاد . لكنه يُستحسن ان نُنبّه قبل الخوض في الموضوع الى ان اكر هذه الاحاديث روايات مفككة غير متصلة . اكرها غامض ومتناقض وافيها يدر على محر واحد ووتر لا يتغير هو وتر "حبه للعلم" . اما بعض الشيء عن حياته المدرسية او عن احتكاكه باساتذته او عن اتجاهاته المبكرة فلم تتعرض له البتة ولذا كان علينا ان نستنتج من بين السطر او من وراء الكلمات . وانها لعمري مهمة تجسّسناها على صعوبتها وقلة الاطمئنان الى نتائجها حبا واملا في ايجاد شبه صورة واضحة للرجل .

ولذا سنتكلم عن المدارس التي التحق بها ثم عن الاستاذة الذين اخذ عنهم واخيرا نلقي نظرة عامة في نخب هذه الثقافة التي تغفها صاحبنا .

١ - مدارسه = لقد درس الجاحظ ونال علومه واخذ ثقافته من مدارس كثيرة ليست واحدة منها تنسبه مدارس اليوم . ولكي تتكون عندنا صورة متكاملة عن تلك المدارس نسردها فيما يلي - متكلمين عن حياته في كل منها وعن اثرها فيه وعن المادة التي تلقاها فيها .

الكتاب كمادة الفهم في تلك الايام ابتدا الجاحظ حياته العلمية بالتردد على ضج الكتاب . وفي هذه المدرسة تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ جانباً من القرآن والشعر واطلع على بعض الشيء على الحساب وجود الخط . وقصة الكلب التي مر ذكرها تكاد تكون الوحيدة التي بقيت لنا من ذلك العهد . وهي ترينا بوضوح مقدراً تَوَقَّد ذهن الجاحظ وتطلعه الى كشف نقاب الحقيقة عارية كما هي . ونحن لا نشك في ان هذه الميزة ( اي حب الوقوف على الحقيقة ) قد رافقته طيلة حياته تنهوا مع السنين وتشتد بالتجارب حتى كان ما كان منه في كتاب الحيوان من تحقيق وتدقيق لم يُعمرنا قبله . وملاحظة اخرى نحب ان نقولها عن هذه الفترة وهي ان حياة الكتاب كانت مرهقة وان معاملة شيخه كانت خشنه زرعت كره الكتابيب ومعلميها في قلبه . ولم تضعف تلك الفكرة في صدره بل على العكس ازدادت قوة ونشاطا مع السنين ولذا كان يهاجمها في كل مناسبة . ومن جملة تلك المهاجمات اولا ما جاء في البيان والتبيين حيث قال لا تستشر معلم اولاد ولا راعي غنم ولا كبير القعود مع النساء ١ . وثانيا رساله كامله ألفها في السغريه بالمعلمين سماها نوادر

المسلمين موجودة الان في المنحف البريعاني ومطبوع قسم منها في هامش الكامل الاول .

المسجد اما المدرسة الثانية او الابتدائية ( اذا كان الكتاب هو بستان الاطفال ) فهي

المسجد . والمسجد في تلك الايام كان المنتدى الواسع او الجامعة الرحبة التي يتقاطر اليها ائمة العلم كل ياخذ قرنة او سارية من قرنه وسواره . يلتف حوله الراغبون في علمه ثم ياخذ يلقي عليهم ما تَجَمَّع في صدره من دقائق ذلك العلم . وكان لاي كان الحق في حصر اية حلقة والاستماع الى اى شيخ . حتى اذا ما تكونت عند احدهم فكرة واضحة عن علم ما ومال اليه بقلبه لان شيخه حتى ينال منه ما يريد . وعندها يقال " تخرج فلان على فلان او اجاز فلان فلانا " . نفول جا . الجاحظ الى المسجد بعد ان استعد في الكتاب . وجلس الى اكثر حلقاته واستمع الى اكثر مشايخه ولهذا كان له في علم الادب باع وفي علم الدين ذراع وفي علم الكون صاع اكمال به اكثر من غيره . وعند الكلام على نوع نفاقته والكلام على اسانذته سنعرِّف الشيء الكثير عن هذه الانواع والابواع والصاعات . لقد اغرم الجاحظ بالمسجد كثيرا وهام بمجالسه حتى انه نسي اكله وشربه ونسي كل شيء عداه . بالرغم من فقره وبالرغم من انه <sup>كان</sup> مطالبا بمساعدة أمه على مهام الحياة . وقصة الكرايس التي اردها السندوبي في مقدمة البيان والتبيين شاهد صادق على ما نفول .

اما اثر المسجد فيه فقد كان عظيما لانه في الحق كان المدرسة الاولى التي كَوَّنَ فيها عقله "وثائق" فيها ميوله وحدد فيها اهدافه رآى فيها نور الحق من بعيد . وقد تكلم عن ذلك في البيان والتبيين فقال ( ادركت المسجديين والمريديين واخذت عن اكثرهم <sup>١</sup> ) الا انه لم يكن اعنى بل كان واسع العينين يربط الطبع والفيج وكان فيما بعد حر القلم يدون كل شيء . فلما انه مدح جماعة المسجديين في البيان لم يفته ان يسخر من بعضهم في البخلاء . فعقد فصلا كاملا بعنوان قصص المسجديين <sup>٢</sup> . سماهم فيه اصحاب الجمع والجمع <sup>٣</sup> وحكى عن بخلهم ونظرياتهم في الدناغ عنه ما ينير الضحك "في نفس من نقد اباه" .

المريد المرید مكان بظاهر البصرة كانت تزد اليه جمهرة العلماء وكثير من الاعراب الذين لم تفسدهم الحضارة . فيتبادلون الاشعار ويتدارسون اللغة ويتسامعون اللهجات وتدرج بينهم المناقشات في موضوعات اكثر من ان تحصر <sup>حصرها</sup> في الادب وفي الدين . واذا كان الكتاب هو بستان الاطفال والمسجد هو المدرسة الابتدائية ، فاننا نعتبر المرید مدرسة الجاحظ الثانوية التي التحق بها لينال فيها العلم من مصادره اى من الاعراب <sup>حضرها</sup> الحضر . نفول اكثر الجاحظ من

من التردد على المرید مدة من الزمن استفاد فيها الكثير مما كان الحصول عليه صعبا في الیهیم المسجد . خصوصا رواية الاشعار الجاهلية ونوادر الاعراب الطريفة وحكايات اخرى لا تدخل تحت حصر ما استعان به فيما بعد . في استطراده الكثيرة في اليان والحيوان التي قال ان غرضه من ايرادها ترويح نفس القارئ وازالة السأم والمَلَل اللذين قد يعتريانها من طول الاستصاف بالمجد . اما اثر المرید في كتاباته فأكبر من ان يُؤتى على جرئاته . الا اننا نعتقد ان فيما ذكرنا الكفاية . لكي يسمح لنا الوقت بالانتقال الى مدرسة اخرى من مدارسه .

دكاكين اليراقين هذه هي المدرسة الرابعة او بالاحرى هي الجامعة التي اطمأن اليها الجاحظ . وليست جامعات ايم مثلها او على الاقل تمنح على منوالها في حرية الدرس وفق البحث وتوفر المصادر وخلق الرغبة الحققة في نفوس التلاميذ . على كل ما لنا وهذا . أُحِبَّ الجاحظ هذه الدكاكين واولع بدروسها حتى رُوِيَ عن غرامه بها الروايات . قال ابو هفان كان الجاحظ مولعا بدكاكين اليراقين يتر ينام فيها طول الليل . هكذا كان " يكتري دكاكين اليراقين وهو المفلس ينام فيها يطالع . ومنقب وهو بحاجة للراحة من تعب النهار " . بهذه الدكاكين اطلع الجاحظ على ما لم يكن في الكتاب لانه صعب وما لم يتوفر في المسجد لانه كثر وما لم يسمع به في المرید لانه ليس من بضاعة الاعراب . هذا الشيء هو " فلسفة اليونان " . فلسفة اليونان العميقة في الالهيات وطرقهم القوية في الكلام ونظرياتهم " المخيفة " فيما وراء الطبيعة . في الكتاب كان مثل هذا صعبا لا طاقة للصغار به . وفي المسجد كان حراما الخير كل الخير في تحاشيه . وفي المرید ليس للاعراب به دخل . الا ان الوحيد الذي كان يُلجج به وُحِش الناس عليه في المسجد هو النِّظام . وقد جلس الجاحظ اليه وسمع منه واحبه وتلذذ عليه خصيصا . ولهذا نقول ان النظام زرع بذرة حب الفلسفة والكلام في الجاحظ ايام المسجد وبعد ذلك سهر الجاحظ عليها يرعاها ويغذيها في دكاكين اليراقين . ولم تكن فلسفة اليونان هي الوحيدة التي طالع في تلك الدكاكين . بل تزود من ادب الفرس وحكمة الهند بفراة كل ما وقعت عليه يده . اما اثر هذه الثقافات في نفسه فقد كان واضحا في كل ما كتب تقريبا = فأكبر مصدر من مصادره في الحيوان كان ارسطو . وكتابه فيه . بالاضافة الى افلاطون وجالينوس وغراف . . . . . وحيث قرأت في البيان وجدت امثال " فان حكيم الهند " . اما المفردات الفارسية فحدث عن انتشارها في تأليفه ولا حرج . ولم يشأ الجاحظ الا ان يسطر ولو وفات يذكر الناس بها بعد موته اختبارات الجمة في تلك الدكاكين ولهذا كتب رسالة في " مدح اليراق " واخرى في ذمها . لسوء الحظ ضاعتا معا .

مجالس الادب = هذه المجالس كانت خاصة فردية . اشبه بما يعقده بعض ادباء اليوم في دورهم من حفلات واجتماعات لا للرقص وشرب الكأس وانما للبحث والمذاكرة والدرس . من امثال ما كانت تعقده الانسة مي في بيتها او كانى يدعو اليه احمد زكي باشا في مكتبته الزكية . نقول الى هذه المجالس تحول الجاحظ لا لياخذ منها بقدر ما يعطي اليها . وفي الاجتماعات كان يلتقي بالحسن بن وهب ومسهل بن هرون وبالحسن بن سهل وابي العينا ومنيرهم كثير . يتذاكرون العلم ويتداولون الاراء ويتناقشون في شتى الوان المعرفة . وقد احب الجاحظ هذه الطلقات واجتهد في حضور اكثرها ولهذا كثر تردده على بغداد مبكرا . وعندما سأل احداهم عن اثرها فيه قال ( لقد استفدت منها اكثر مما استفدت في المسجد )

الرحلة في طلب العلم = الرحلة مدرسه عمليه لا غنى لحسب علم عنها . وقد تشبه العرب الى هذا في قديمهم فكانت "الرحلة في طلب العلم" تكاد تكون المدرسة الاخيرة لكل من احب التبهر . وعرفها الاجانب ايضا ورحلات شبلي وبايرون وغيرها معروفة للجميع . نقول جريا على العادة وحبا في اخذ العلم من مصادره ، رحل الجاحظ الى اماكن كثيرة نوه اليها في الحيوان<sup>٢</sup> . منها بغداد<sup>٣</sup> والموصل<sup>٤</sup> واسط<sup>٥</sup> وانطاكية<sup>٦</sup> والشام<sup>٧</sup> واخيرا الى فيل انه رحل الى مصر<sup>٨</sup> . وهذا الاخير ضعيف لا نأخذ به اولا لحكاية السروكي ونانيا لان مثله مستبعد على الجاحظ . اما ما استفاده من هذه الرحلات نصعب الكلام عليه لانه اختبارات شخصية عديدة ومتنوعة واطلاعات ذاتية كثيرة ومتفرقة . جمعها من السنة الناس ومن مشاهدات العين ومن دفاتر الوراقين . الا ان الكلام على اثرها في كتاباته يكون اسهل . وابرز تلك الانار اولا كتابه "البلدان" الذي تكلم فيه عن كثير من البلدان التي زارها . الا انه لسؤ الحظ قد ضاع ولم يبق منه الا ما يتعلق بعمكة والمدينة والكوفة والطائف . نانيا هذه المعرفة الدقيقة في طباع البشر مما لا يمكن ان يعمره دون اطلاع سابق او احتكاك مباشر مثل قوله ( قال الغنى اسكن مصر فقال الذل وانا معاك<sup>٩</sup> ... )

مدرسة الحياة = هذه المدرسة التي لا يَحُدُّها الكثيرون مدرسة عندما يعددون المعاهد التي تلقى فيها رجل من الرجال ثقافته . لانهم يظنون انها ضيقية ولازمة . ونسوا انها هي اهم واحدة يجب عليهم ان يذكروها وان يطلبوا التشرح في آثارها التي تركتها فيه لانها في الحق اقوى المدارس واكثرها مفعولا . يعني الجاحظ في مدرسة الحياة ستا وتسعين سنة كما بينا . تَعَلَّمْ فيها علوما مختلفة ولفن اقوالا متعددة واختبر اختبارات متنوعة . وبالاختصار قُرِبَ فيها

كثيرا من حقيقة الاشياء وعرف اكثر طرق الحق للوصول اليها . اما الدروس التي استعان بها للوصول الى هذه الغاية فثلاثة . الاول الاحتكاك بالناس على اختلاف طبقاتهم ومشاهدتهم في اعمالهم وسؤالهم عن خفايا تلك الاعمال . والثاني التجربة النفسية والعملية والتطبيق الذاتي المحض لكثير مما كان يرى ويسمع . واخيرا التفلسف العقلي واستخراج قوانين عامة وحكم جامعة لكل مظاهر الحياة هذه . اما اثر هذه المدرسة وهاته الدروس فابعد من ان يوصل الى قراره . فالاحتكاك <sup>ب</sup> وسع معلوماته فكان دائرة المعارف والتجربة قرينه من الحقيقة في كثير من الامور فكان العالم الحق والتفلسف قاده للحكمة فكان صاحب القدح المعلى في النظر العقلي . واقره في الجاحظية واضح .

هذه مدارس الجاحظ وهذه معلوماته فيها وهذه انارها عليه . فالى نظرة في اساتذته تنحول .

٢ - اساتذته = ان تعداد اساتذة الجاحظ يطول لانه في الحق لم يترك مخلوقا يمكن الاستفادة منه ولم ياخذ عنه او يجلس اليه سوا <sup>ب</sup> بسؤال خطي او استفهام شفوي او رواية اقوال . الا اننا في هذه العجالة سنقتصر على اشهرهم بل على اهم ما يمكن ان يقال عن ذلك ~~الاشهر~~ الاشهر .

الاصمعي = كان صاحب لغة ونحو واخبار ونوادر وفرائب وملح . قال اسحق الموصلي ( لم ار الاصمعي يدعي شيئا من العلم فيكون ان احد اعلم به منه ) . وقال الشافعي رضي الله عنه ( ما عبر احد عن العرب باحسن من عبارة الاصمعي <sup>٢</sup> ) . جمع شتيت اللغة في الشجر والنبات والاشاء والوحوش وغير ذلك قالوا انه كان يحفظ <sup>ب</sup> تلك اللغة . ولد سنة ١٢٢ وتوفي سنة ٢١٦ . على اختلاف في الروايات . سمع عنه الجاحظ في المسجد ولازمه مدة طويلة . اما اثره فيه فقد كان ابين من نور الشمس في رابعة النهار . وابرز مظاهره حب الجاحظ للغة وولعه بها بتعلق بها . فاورد كثيرا من الغريب ومن التفسير وغير ذلك في اماكن سنطلع عليها عند البحث في لغته . ومن مظاهره ايضا كثرة محفوظه من الاخبار والنوادر خصوصا عن الاعراب مما نراه موردا هنا وهناك خصوصا في البيان والتبيين .

ابو عبيدة = قال ابو نواس ( ذاك اديم طوى على علم <sup>٣</sup> ) . وقال الربيع ( هذا علامة اهل البصرة <sup>٤</sup> ) . وقال الجاحظ ( انه جماع العلم <sup>٥</sup> ) . وقد بلغ من العلم درجة كان الاصمعي فيها يخانه . ولد سنة ١١٠ ومات سنة ٢٠٩ على اختلاف في الروايات . صنف في البازي والحمام والمقار <sup>ب</sup>

والحيات والزرع . وكان الغريب اغلب عليه واخبار العرب وايامهم على لسانه . كان يرى رأى الخوارج . ويشجع للشعوبية . وقد كتب كثيرا في الدفاع عن وجهة نظر اصحابها . اما الجاحظ فقد جلس اليه واستمع له وروى عنه كثيرا في مختلف فنون المعرفة من علم " وخصوصا علم الحيوان " لادب " وخصوصا اخبار الاعراب ونوادرهم " لغير ذلك مما تعودت ان نراه يملا صفحات وصفحات من البيان والحيوان على وجه التخصيص . الا اني الجاحظ لم يتأثر بتأثيرين من نواحي استاذاه هما التعصب للشعوبية ومظاهرة الخوارج . ولعل لذلك اسبابا لما نقف عليها لحد الان .

ابو زيد الانصاري = كان صاحب لغة ونوادر وغريب . حدث ابو عثمان المازني قال ( رايت الاصمعي وقد جاء الى حلقة ابي زيد المذكور فقبل راسه وقال انت رئيسنا وسيدنا من خمسين سنة ! ) . ولد سنة ١٢٢ وتوفي سنة ٢١٥ على اختلاف في الروايات . الد في القوس والتوس والقضيب والابل والوحوش وخلق الانسان والمطر والنبات . اما اثره في الجاحظ فواضح اولا بكثرة الاشعار التي نقلها عنه وثانيا في بكثرة النوادر التي نسبها اليه والتي كان يجعلها مطية يستطرد بها ليرج عن فاركه مله

الاخفش = كان من اكابر ائمة النحو في البصرة . حدث عن نفسه فقال ( ما كتب سيوفه شيئا الا عرضه علي ) . وروى انه قال حينما دخل الفراء عليه ( جاء سيد اهل اللغة وسيد اهل العربية . فما كان من الفراء الا ان قال اما مادام الاخفش يعيس فلا ) . ولعمري لقد نطق الفراء بالصواب لان الاخفش في الحق كان امة في النحو . ولد في سنة لم نعرف تاريخها ومات في سنة ٢١٥ كما تقول الروايات . ولقد اخذ عنه الجاحظ كثيرا وتأثر بروحه لدرجة انه كان في كثير من الاحيان ~~يكرر~~ يترك الكلام على الديك والثلث الذي هو بصدده ليحدثنا عن النحو وضرورة افامته وتهجين اللحن والهجم عليه مما سيأتي الكلام عنه في باب اللغة . وقد كان هذا منه في اكر من موضع خصوصا في الحيوان والبيان رسالة ذم اعمال السلطان .

النظام = كان النظام رئيسا من رؤساء المعتزلة ومدرسا بارزا في المسجد . صحبه الجاحظ مدة وتأثر به كثيرا خصوصا في علم الكلام ورائه في المعتزلة حتى تغفلت هذه في صميم نوادر الجاحظ فاجبها حبا جما وصار من غلاة المعتزلة فيما بعد . روى العتري ان الجاحظ قال ( ان الله يبعث في الناس كل الد سنة رجلا يهديهم سواء السبيل . هاس هذه الالف هو النظام ) . وفي موطن اخر قال عنه ( هو اعلم الناس فاطبة بالفقه والكلام . هو مصدرهما واليه يرجع في حل مشاكليهما ) . وفي مقام ثالث قال ( كان مأمون اللسان قليل التؤلل والزنج في بابي الصدق والكذب ) . وفي رابع قال ( لا نرتاب بحدينه اذا حكى عن سماع او عيان ) . هذا هو النظام وهذا هو موقف الجاحظ منه .

اما اثر الاول في الثاني فواضح لا يحتاج لطول شرح . فما الجاحظية الا فرع من العتلة ولعت بالمنطق واعنت بالكلام واعتمدت على العقل <sup>واعتمدته</sup> اعتمادا اظهر تطورها في اعين الكبرين .

هو<sup>١</sup> هم اشهر اساتذة الجاحظ ونعم النخبة هي الا ان الجاحظ اخذ عن كثيرين غيرهم ممن لا فائدة من تعدادهم مثل صالح بن جناح اللخمي وعروبن كركه وعروبن العلاء وغيرهم كثيرين .

٣ - نوع ثقافته = من هذا نرى ان الجاحظ اخذ عن اكر واشهر اساتذة عصره شفاها ومدايسة بالاضافة الى ما استفاده من كتب دكاكين الوراقين ولقاء الاعراب الخلف . وعلى هذا تكون قد اجتمعت له عناصر الثقافة العربية كاملة من لقاء الاعراب في المريد والاستماع للاساتذة في المسجد وصحبة ائمة الدين في الحلقات المختلفة . وتكون قد اجتمعت له عناصر الثقافة الفارسية ايضا من مطالعة ما كان قد ترجم الى وقته ومقابلة الجماعة المهتمين بذلك النوع من الثقافة خصوصا المترجمين او الذين هم من اصل فارسي مثل ابن المقفع وماسرجويه . ويكون قد توفر لديه قسط لا بأس به من الثقافة اليونانية وخصوصا الجانب الفلسفي والفلسفة الطبيعية على وجه التخصيص . اما مصادره او بالاحرى طريقه لهذه الثقافة فكان ما وقع عليه مترجما في دكاكين الوراقين وما سمعه شفاها من الطلعيين على تلك الثقافة مثل حنين بن اسحق وغيره . أشهر الفلاسفة الاغريق الذين طالع لهم الجاحظ فارسطو وافلاطون وجالينوس هذا بالاضافة الى ديمقراط وديموس وتومقراط وفليمون وميريسطوس وماسرجوس وارسخانس وغيرهم مما تجد اسماؤهم منتشرة في كتبه ومنقولاته عنهم . حتى لقد قال البخدادي ان الحيوان الذي قال الجاحظ انه من تاليفه لم يحد في الحقيقة اكثر من نسخ عدة مواضع من كتاب ارسطو فيه ضم اليها تحبا من مختارات ما عرف واتسع له عقله من خرافات واحاديث قال بها المدائني . الى كل هذا اطلع على جانب كبير من الحكمة الهندية . تفهمها أولا وتذوقها ثانيا وسطر منها الكثير في كتبه اخيرا .

وانه . ليحسن بنا قبل الفراع من هذه الناحية ان نذكر بعض مواضع <sup>كتبه</sup> التي ركز درسه عليها في الادب والعلم والدين . أشهر هذه الكتب كتاب ارسطو في الحيوان وكتاب الفراسه لافليمون وكتاب طباع الالبان لما سرجويه وكتاب الهندسة لافليدوس وكتاب المنطق لارسطو . هذا بالاضافة الى منقولات كثيرة دون تسمية كتب من بختيشوع وحنين بن اسحق وجالينوس وغيرهم كثير منهم سترد اسماؤهم في فهرس المصادر .

### ثالثا - نسي وفاته

لقد مات الجاحظ. لكن كيف مات . لقد وزر ابن ابي دواد للمامون سنة واحدة بعدها مرض بالنالج فاضطر لاعتزال الوظيفة . لكنه قبل ان ينتحى بالكليّة اوصى <sup>ابنه</sup> ~~ابنه~~ من بعده بالجاحظ خيرا . وهكذا كان . لكن الابن لم يكن كالأب ولهذا لم يطل عهد الجاحظ مع الابن طويلا . ولا لتتكرر المتوكل للمعتزلة وثانيا لتغير الابن عن الاب وثالثا للاستيلاء المرض والهزم على الجاحظ نفسه . فاضطر تحت هذه العوامل المتعددة أن يعود الى مسقط راسه في البصرة .

في هذه الفترة الاخيرة - بين اهله واخوانه القدماء - عاش الجاحظ مدة من الزمن هي التي نسميها في تاريخ حياة المرء بفترة الشيخوخة - شغلها ثلثة اشياء . اولها الكتابة وثانيا التعليم واخيرا مداراة المرض الذي كاد يطبق عليه من جميع الجهات.

اما في سبب ذلك المرض فقد رُويت روايات . اشهرها تلك التي تقول إنه اجتمع ومعض اصحابه على مائدة بلبل الوزير حيث قدم لهما سمك ومضيرة . قال صاحبه الطبيب (انضحك يا ابا عثمان ان لا تاكل منهما معا . لان الجمع بينهما مضر . فضحك ابو عثمان وسأل لماذا . الا ان الطبيب اكفى بهز راسه وتاكيد ضررهما . اما ابو عثمان فابتسم وقال اسمع يا هذا لا بد ان يكون السمك واللبن اما ذوى اثر واحد او ذوى اثرين مختلفين . فان كانا من نوع واحد ناكل من كليهما ونفرض اننا اكلنا من واحد وشبعنا . وان كانا من نوعين فكذلك ناكل من كليهما فيبطل مفعول احدهما مفعول الآخر . فسكت الطبيب ثم قال لقد قلت ما قلت عن علم اما المنطوق فمالي في دروسه قدم<sup>١</sup> . وكان ان اكل الجاحظ مات ليلته وفي الصباح اعتراه النالج<sup>٢</sup>!

لقد رويت في اخبار مرضه روايات كثيرة كلها تدل على ان المرض كان قد اصابه حوالي سنة ٢٤٧ الا انه كان موجودا بالفعل قبل سنة ٢٤٧ لذكرو ذلك في الحيوان . والحيوان قدم لإخيه/ محمد ابن الزيات الذي توفي حوالي سنة ٢٤١ .

هذا عن سبب العلة وعن تاريخها اردناه كما جاء في الروايات . اما عن انواعها فقد قيل أن النالج والنفرس وحصر البول كانت بعض نواحيها . والروايات على هذا متوافرة ولمطالعمتها بالتفصيل راجع قصصها في ملا مواضعها الاصلية مثل ياقوت وابن خلكان وابن ابي اصيبعة وغيرهم .



بعد اجتماع هذه الملل لا نبه "نام" الجاحظ . وبعد تكاتفها جميعها عليه انزوى في البيت لا ليصبح او ينوح او يندب حظه المشؤم وياخذ في فلسفة سلبية كما كان من امر ابي الملا المعري - بل ليتابع رسالته الادبية والعلمية والدينية التي وقف نفسه من اجلها . فكان في هذه الفترة تحت هذا الضغط اولا يعلم تلاميذه وثانيا يستقبل زواره وثالثا يتابع كتاباته في شتى ميادين المعرفة . اما ما ينبت التعليم ففصة الاندلسي الذي سمع به وجاء يطلبه من الاندلس<sup>١</sup> . واما ما ينبت كثره زواره واستقباله اياهم بالترحاب وافادته اياهم بكل ما لديه ففص المبرد<sup>٢</sup> والخولي<sup>٣</sup> ورسول المتوكل<sup>٤</sup> والبرمكي<sup>٥</sup> وغيرهم مما لا يمكن التغاضي عنهم . في حين ان كتاب البخلاء<sup>٦</sup> الذي كتبه في شيخوخته وكتاب الخيوان كذلك تشير الى انه لم يتخل عن الكتابة حتى النفس الاخير .

بقي يعاني مفعول هذه الامراض ثمانى سنوات على الاقل . حتى انهالت عليه رفوف الكتب التي كان يرصفها امامه ولى جوانبه . نemat في البصرة لا في غيرها كما قيل سنة ٢٥٥ . ومما يوئد هذا قول المهلبى ( فلان لابن المعتز ورد الخبر بوفاة الجاحظ يا يزيد . نقلت لامير المؤمنين طول البقاء<sup>٦</sup> ) .

### المقالة الثالثة - الجاحظ في معترك الحياة

بعد ان اجتمعت كل هذه العوامل الثقافية والتيارات العقلية لديه تشربته روحه وتفاعلت في نفسه - اخذ يصهرها في اتونه وقولها في دماغه واخيرا بدأ يخرجها للناس كائنا جديدا ومخلوقا فريدا هو ما عرف به بإدب الجاحظ . لقد بدأ الجاحظ الكتابة بالبصرة وفعلا طرح هناك للسوء بعض الشيء الا ان القوم لم يكونوا قد تعودوا على مثل هذا الأدب الصريح في لهجته المتخلي عن كل تصنع في لفته . وبعبارة مختصرة وقفوا وقفة المرتاب من هذا الاديب الواقعي لاخر حدد . ولهذا لم ترح كنبه الرواج الذي انتظره . ولم تأت الاموال دفانا كما تأمل . ولا عجب ، فبالبصرة ليست بالسوق الذي يتسع لمنزل عرض الجاحظ . فليفتش عن سواها .

في هذه الفترة كانت معركة الامين والمأمون قد انتهت . وورى الامين التراب وقدم المأمون ببغداد ليتبوأ العرش ويتولى ادارة دفة السفينة . نقول في هذه الفترة على العموم وفي سنة ٢٠٤ على الخصوص قدم المأمون ببغداد . فتقاطرت اليها الوفود لتبني . وتوافدت اليها الشعراء لتقول ما يقال في مثل هذه المناسبات . وبالطبع قدم الجاحظ ليقول كلمة الادباء . واية كلمة هي ... كانت كتابا كاملا هو كتاب العباسية او امامة ولد العباس على اختلاف في الرواية . سلمها للمأمون وغاب ينتظر . وما هي الا ايام حتى جاءه الامر بالحضر والمنول بين يدي الخليفة الجديد قال له لقد ارى العيان على السماع<sup>١</sup> . ومن هنا بدا نجم صاحبنا بالارتفاع .

ولم تطل المدة بعد ذلك حتى اخذ ينردد على ديوان الصولي بين الفينة والفينة يساعدهم في هذا ومرشدهم في ذاك حتى كان أن شغرت رئاسة ديوان الرسائل . طلبه المأمون ليعملها فاعتذر لكثرة اضطر للقبول نزولا عند ارادة امير المؤمنين<sup>٢</sup> . وتقول الرواية انه بقي في الديوان ثلاثة ايام فقط بعدها استقال فاقبل. أما لماذا ؟ فالجواب لا يزال سرا من الاسرار . الا ان الظواهر تدل على ان عاملين قويين عملاهما المسألة اولهما حسد اعداء الجاحظ وثانيهما كبر نفسه وحبه للحرية . اما الاول فيجسم من /سهل بن هارون عندما سمع بامر التعيين ( اذا بقي الجاحظ في الديوان فقد اقل نجم الكتاب<sup>٣</sup> ) . واما الثاني فيستنتج من كتابه الذي كتبه بعد ذلك في ذم اخلاق الكتاب حيث وصفهم تارة بالذل والخضوع والطق واخرى بالرياء والخباء والخفلة ؟

الا ان الجاحظ لم يعتزل ديوان الرسائل المأموني الا ليتعرف الى كاتب من اعظم كتاب عصره ومنشي من اقوى منشي ايامه نعتي ابن الزيات الذي صار مؤخرًا وزيرًا للمأمون .  
لقد ازداد التعارف بين الرجلين فتطهر الى صُحبة واستدت الصحة فادت الى رنع التكليف حتى قيل انهما كانا ياكلان على مائدة واحدة<sup>١</sup> وحكاية السمك والمضيرة التي فلج الجاحظ على انرها قيل انها كانت على مائدة ابن الزيات . نقول باختصار ان كلا من الرجلين احب صاحبه واغرم به وتحسين الفوص لارضائه واعلاء كلمته وتوفير سبل الهناء والمز له . فابن الزيات من ناحيته كان يجزل العطايا للجاحظ ويقدمه في المجالس وسمع كلمته في كثير من الامور حتى قيل انه افطه ارمعانة جريب تدر عليه مالا وفيرا<sup>٢</sup> . وسر له سبيل الرحلة للضام<sup>٣</sup> لياخذ ما هو بحاجة اليه من مكاتبها وغير مكاتبها وتفرج على مجملها . في حين كان الجاحظ يقابله من ناحيته بما يملك الاديب فكسبه كتاب الجد والهزل<sup>٤</sup> وعنون باسمه رسالة الحاسد والمحسود<sup>٥</sup> واهدى اليه كتاب الحيوان<sup>٦</sup> غرة كسبه ورمز ادبه . هكذا عاش الرجلان كل منهما يحب صاحبه ويغرم منه حتى ارتفعت الكلفة كما قلنا وحتى استطاع الجاحظ ان يذكره في الحيوان<sup>٧</sup> بملا وفي البيان كذلك بدون اى لقب او كلمة تبجيل . وان يروى عنه الروايات التي اقل ما يقال فيها انها ( بلدية ) مثل حكاية الكلب<sup>٨</sup> الذي كان يانس بابن الزيات ويبشر له . وكان من نتيجة هذه الصُحبة ايضا ان تحسنت حالة الجاحظ المالية وارتفع مركزه الاجتماعي واضحا كاتبها تكاد تكون له الصبغة الرسمية كما سنرى .

لقد عرف الجاحظ ابن ابي دؤاد في صفوه كما قال في مقدمة المحاد والمعاصر<sup>٨</sup> . الا انه تجافى عنه في شبابه للعداوة او بالاحرى للمنافسة التي كانت بين احمد ومحمد . لكنه اضطر للعودة اليه عندما دارت الایهام على محمد وارتفع نجم احمد . وتفصيل هذا انه يموت الواقى واستلام المتوكل زمام الحكم نفي اليه ان محمدا كان من الفائلين بعدم نسح المجال للمتوكل لكي يكون وصي العهد<sup>٩</sup> . هذا بالاضافة الى ان ابن الزيات كان شديد الوطأة على المتوكل بذاته<sup>١٠</sup> . عندما كان الاول وزيرا نافذ الكلمة وكان الثاني شبيه ولي للعهد تتناوشه الاراء وتتلاقفه الارياح . نقول باستلام الواقى<sup>١١</sup> الحكم عزل ابن الزيات وارسل الى ابن ابي دؤاد يضعه في مكانه . اغتم هذا الفرصة وافهم المتوكل ان لا سلامة للدولة مع بقاء ابن الزيات حيا . وهكذا طارده الجواسيس وحاصرتهم الميون فاضطر للهرب . لكنه اخيرا وقع في الفخ وقبض عليه ونُج في التنور الذي كان قد اعدده لتعذيب من تقع عليه الشبهة من ذوى المظالم . تحت هذه الظروف لم يجد الجاحظ سوى

التستر والانتزاع والحزلة مهريا . لكنه لم ينجح بل قبض عليه اعوان ابن ابي دؤاد في مرموه في السجن اياما حتى تذكره القاضي وارسل في طلبه للمحاكمة فاقبل يزسوف في اغلال الحديد .  
سأله ابن ابي دؤاد لماذا هربت ؟ فقال لثلاث اكون ثاني اثنين اذ هما في التنورا . فضحك ابن ابي دؤاد وطلب من حداد ان يفك قيوده فنظر الجاحظ الى الحداد وقال اعمل عمل سنة في ساعة وعمل ساعة في دقيقة فان اطرافي تكاد تذوب ؟ فضحك ابن ابي دؤاد وامر له بكسوة واعطيه واقبل عليه يبتسم وقال له (هات حدثنا يا ابا عثمان ) ومعهها ضمه الى بطانته . بعد هذا لازم الجاحظ القاضي احمد طيلة السنة التي شغل فيها هذا الوزارة . الجاحظ يكتب له امانال المعاد والمعاش رسائل اخرى خاصة ويهدي له الإلهام البيان - الموسوعة الادبية المعروفة . وذاك يُغدق عليه المنح والعصايا وجزل له الهبات حتى مرض احمد واعتزل الحكم .

بالرغم من ان الجاحظ انضم لحاشية الوليد بن القاضي مدة من الزمن اكرمه فيها واحسن مقامه الا ان الايام كانت قد تغيرت والأصحاب تبدلت ولم تعد بغداد بدار مقام . ولهذا عاد الجاحظ للبصرة للاسباب التي مر ذكرها . لكنه قبل ان يعود كان قد تعرّف الى شخص له مكانته وصار فيما بعد والي الشام على عهد المتوكل نعتي الفتح بن خاقان . احب الفتح الجاحظ وقربه . وأتى الجاحظ بالفتح وأجلس له . الا ان الايام ابتت الا ان تفرق بينهما فعندما ذهب الفتح للشام اضطر الجاحظ " بالرغم من دعوة الفتح اياه لمرافقته " يقول اضطر للعودة الى البصرة . لكنه مع ذلك بقي على اتصال به ومن انار هذا الاتصال وذاك الولاء بقي لنا اولا اهداؤه له كتاب مناقب الترك وثانيا إرسال الفتح للجاحظ تلك العبارة التي تعبر بوضوح عن مقدار ما يكنه صاحب المخلص لصاحبه ٣ .

هو " هم اشهر من اتصال بهم الجاحظ من عظماء الدولة . لكنه يحسن بنا ان لا نترك الكلام قبل ان نشير الى ان هناك كثيرين اخرين اتصل بهم الرجل في مناسبات ولا اراض مختلفة . نذكر منهم سهل بن هارون صاحب بيت الحكمة والحسن بن سهل الكاتب المعروف والحسن بن وهب الذي استمع له في المسجد وابن رباح الذي كان على بيت المال وابراهيم الصولي الذي تولى الديوان مدة من الزمن وابنه محمد الذي ذكره ابن خللكان وآخر اسمه ابو الوليد الذي كتب له رسالة استنجاز الوعد ونجاح بن سلمه الذي قال فيه قصيدة نذكرها في الفهرس وارسل له كتابا خاصا تذكره في سرد كتبه . هذا بالاضافة الى كثيرين غيرهم من ممن لم يكن لهم بهم اتصال مباشر .

اما نتيجة هذا الاتصال فهو كما قلنا تحسين مركزه المالي وارتفاع مستواه الاجتماعي واخيرا اعطاه الصبغة الرسمية في الكتابة لانضمامه تحت لواء هؤلاء الكبار . فاستطاع ان يقول في خلق القرائ وفي حرية الطبع وفي الرد على كل الفرق الاخرى تقريبا بجلاء ووضوح وعناد وقوة نفس ايام المأمون .

### ثانيا - نصيبه من الحياة

كلما ذكرنا الحياة ونصيب الجاحظ منها ترتسم امامنا صورة الجاحظ الطفل الاسود المشوه الخلفة . الذي مات ابوه فاضحى يتيما والذي قل ماله فعاس فقيرا والذي جفاه اصحابه فانزوى وحيدا والذي كر عاد من المسجد وليس في بطنه شيء الى بيت ليس فيه شيء لا يحمل الا كتابا في يده ولا يملك الا ثوبا خلقا على جسمه والله يعلم ما اذا كان قد احتذى شيئا في رجليه - نقول ترتسم امامنا صورة على هذا الشكل وقد دخل على امه يطلب منها ما ياكل فتقدم له طبق الكواريس وتقول له كل/م/بدا لك .

هذا الطفل المسكين البائس ، الاسود ، المشوه ، الفقير ماليا ، الحفير اجتماعيا ،

الضعيف نسبيا ، العاشي في مهب الريح - هو الذي سستدور به الايام ومعلو به النجم ويتغير به زحل الى سعد فيصير بجراً وابتسامة أمل ( لا ينقصني الا ان تكون الخلافة بيدي وان يعمل ابن الزيات بامرئ ) . لهذا الحد وصل الجاحظ والى بعض الشرح في كيفية ذلك التغير نتحول

١ - مالىته = لقد ظل رزق الجاحظ قليلا ومورده ضئيلا . تارة يعتمد على بخيل واخرى يبيع السمك وثالثة يلون بالأصفر ، حتى بلغ سن الرشد على ما نظن ، وحتى أنس من نفسه الكفاة للكتابة . فاحذ يستعمل قلمه ويخط اولى رسائله ويبعث بها للملوك عساها تعود اليه بما يتبلغ به ويساعده على مهام الحياة . الا ان القوم كما قلنا قد تنكروا له وجمهرتهم اعرضت عنه واكثرهم راح يطمئن قلمه ويغمر كعبه . ولعل للحسد الذي فُطر عليه اكثر الناس نصيبا في ذلك وقد اشار الى كل هذه المضايقات في اول كتاب الحيوان حيث سرد جانبها لا بأس به والقي نورا مفيدا على غُيَاب كُتُبِه ومتنقصي ادبه . وصرح بان سياسته ازاها لم تزد على سياسة " انهم

فم جهال علينا يقع عبء تعليمهم ولذا يجب علينا ان لا نغضب .

الا ان سعة الصبر وطول البال وكثرة العلم اضرت بالرجد . فأثم لم تعد تُجده  
والبخيل قد ازداد شدّه والأمال التي كان يبنيها على كُتبه لم تتحقق . والبصرة كما يبدو ليست  
بالبلد الكبير . لهذا رحل لبغداد حوالي سنة ٢٠٤ لغرض لا نعرفه الا اننا نرجح انه لم يـُـخرج  
يخرج عن نطاق ثلاثة : إما لطلب العلم الذي اتى علي كثر مصادره في بلده . وإما لطلب الجاه  
والمال اللذين يسمى لهما كل مخلوق اجتماعي . وإما لاعطاء العلم والتدريس في بغداد بعد  
ان شعر بان في وظائفه شيئاً . ونحن نرجح ان الثلاثة قد عملت متأزرة في نقله من البصرة  
لبغداد . على كل حال جاء بغداد واحتك بالمامون فاعطاه وكرمه . واحتك بابن الزيات فآخذ منه  
خمسه الا في كتاب الحيوان واربعمائة جريب هبة لسوابق وغيرها وغيرها كثير . ثم التحق بابي  
دواد فاعاده خمسة الاف على كتاب البيان وامده بما لا نعرف على وجه التاكيد الا اننا نستنتج  
من تلميحاته اليه في المعاد والمعاس . ولا ننسى ابراهيم الصولي الذي وهبه ضيعة كاملة<sup>(١)</sup>  
اما النعمان بن خاقان فقد كاد يقطع لسان الجاحظ عن كل سؤال . بالاضافة الى التعيينات التي  
كان يقبض من بيت المال والهدايا التي كان يستلم من اماكن مختلفة والهبات التي كان  
يستقبل من المعجبين بلاديه . وان نسبنا فلن ننسى مورداً من اهم موارده خصوصاً في  
هذه الفترة خصوصاً بعد ان ذاع صيته وتناقلت الناس اقواله نعني مبيعات كُتبه .

هذه هي الموارد التي حسنت حاله المالية . اما مظاهر ذلك التحسن فاليك اخباره  
بشكل اختصار منقولة لا عن غيره وبماخوذة لا عن سواء بل منسوخة بالحرف من كُتبه المختلفة  
قال الجاحظ كان لي غلام<sup>(٢)</sup> و غلام آخر<sup>(٣)</sup> . وقلت لنفيس غلامي<sup>(٤)</sup> . وكان لي خادم خدام اهل التروة  
واليسار واشباه الملوك<sup>(٥)</sup> . وكان لنزج<sup>(٦)</sup> ان رُم لي غلامي<sup>(٧)</sup> . كل هذا عن الغلمان . اما عن  
الجواري فقال انما انا جارية وجارية تخدمها<sup>(٨)</sup> فاسمع بالله . اما عن المظاهر الاخرى فقال  
كجان لي نجار<sup>(٩)</sup> وكان لي ملا<sup>(١٠)</sup> وكان لي بستان زرعت فيه الاراك<sup>(١١)</sup> . هذا بعض ما استطعنا ان  
نهمتي اليه ونستفطه في كُتبه وهو ما لا نشك فيه جانب بسيط مما كان عليه الجاحظ . ولو  
لم يكن له الا خادم خدام الملوك ، او لو لم يكن له جارية عادية وانما جارية لتخدم الجارية او  
بالاخرى "سرية" لكفى اشارة الى المركز المالي العظيم الذي وصل اليه ذلك الطفل الاسود  
المشوه الذي اشرنا اليه . ولكي يؤكد لنا بجلالة لا يشوبه شك بهجلاً صحة ما استنتجنا

قال بلبهجه التي طالما عرفت ، وصدق الدلالة ، والقصد الى المعنى الواقعي فيها ، جوابا على سائل سألته كيف حالك يا ابا عثمان ( انك انا جارية وجارية تخدمها . اهديت الحيوان لابن الزيات فاخذت عليه خمسة الاف دينار واهديت البيان لابن ابي دواد واخذت عليه خمسة الاف اخرى . فعدت الى البصرة ولي ضيعة لا تحتاج لتسميد وانا الان بانتظار الفرج . قال وما الفرج يا ابا عثمان قال ان تاتيني الخلافة وان يتكلم باسمي ابن الزيات<sup>(١)</sup> . الى هذه الدرجة وصـ ابو عثمان والى هذه الغاية امتدت به الاحلام . ونحن نحمد الله على ان لم يات الفرج والا ضاع علينا الكثير من درره . الا انه يحسن بنا ان نذكر الى جانب هذا ان الجاحظ مات فقيرا وهذا مستنتج من جوابه لمن سألته في مرضه كيف حالك يا ابا عثمان فقال

مريض من مكانين من الافلاس والدين

وقبيل ذلك اضطرر لتعليم الاولاد في كتاب . بعضهم قال انه كان يُعَلِّم ليفيد وبعضهم قال بل ليكسب قوة يومه . ونحن الى الثاني اميل . والسبب في ضياع كل هذه الثروة على ما يظهر لنا من مجمل اطالعنا على سيرته اولا حبه للتمتع بالحياة . والتمتع لا يكون " ~~لا~~ ببلاش " فالذي يقتني جارية وجارية تخدمها لا يمكن ان يقال عنه انه احجم عن الحياة . ثانيا كرهه وسخاوه واحتقاره للمال فهو في حين يقول قائل الله الطمع واخذ الحرص يروج يكتب رسالة كاملة في ذم البخل وكتابا طويلا يعد من درره في الهز بالبخلاء .

٢ - مركزه الاجتماعي = هذا عن الناحية المالية . اما الاجتماعية فحدث عن البحر ولا حرج . فالجاحظ وان لم يتبوأ مراكز رسمية بد على العكس استقلال منها بعد ان نالها - نفول بالرغم من ذلك كان صاحب كلمة في اكبر المحافل وذا رأى لدى اكبر الناس . ولالقاء ضو على هذه الناحية نورد لك اولا رسالة الفتح اليه ثم نذكر ان كثيرين من الناس كانوا يتشفعون به لدى الولاة<sup>(٢)</sup> واخيرا نرجع القارئ الكريم ثانية ليقرأ ويعيد النظر فيما قال هو بنفسه<sup>(٣)</sup> على جـوال السائل الذي مر ذكره بخصوص حكاية الخلافة وابن الزيات .

اما رسالة الفتح اليه فيستنتج منها اولا انه يحبه كثيرا . ثانيا ان الخليفة ييسر اليه نالنا ان كبه كانت تقدم للعظماء اولا رابعا ان له اعطيات معينة لدى الخليفة . وللتفهم وللتحقيق في هذا راجع رسالة الفتح المنشورة في معجم ياقوت .

اما حكاية الشفاعة فهي وان كان لا يعنيننا نصها في هذا المقام الا انها تشير بوضوح الى انه وصل المركز الذي اضطرَّ الناس في ايامه الى ان يرجعوا اليه ليشفع لهم او يبريهم عند الولاة . والجاحظ وان لم يكن قد قِيلَ ان يتشفع، الا ان الرجل لم ياتهِ عذوا بل عن سابق ارشاد وتدبير . ولعل السبب في رفضه هو انه كان يفضل ان يعيش حرا من فيود الشفاعة والوساطة ولاقف الناس المتشابهة التي تبعده عن درسه من ناحية وتُقلق راحته من اخرى . وانا اعرف كثيرين من هذا النوع همهم الدرس والكتاب وكل ما عداها فعلى الهامس . —

اما جوابه على السؤال الذي وُجِّه اليه فما لا يحتاج لشرح . لقد قال السندوبي ان تصريحه بخصوص الخلافة لم يكن معنيا بالحرف ان كان حقا قد صرح به وانما على سبيل المبالغة والدلالة على مقدار توتر اسباب الدنيا لديه . ولعمري لقد اصاب السندوبي كبِد الحقيقة . فاجتماع الجاحظ لا يدلي على امال من هذا النوع قط . نعم لقد كتب في الامامة وتحدث عن الادب السلطان واصر الخلفاء وله في كل هذه اراء جليلة الا انه لم يعرف عنه مثل هذا القصد في يوم من الايام انما نعتقد مع الاستاذ السندوبي انها لم تكن مقصودة بالحرف وانما كان لحامل النكته وخفه ارجح التي عرف بها الجاحظ نصيب كبير في الموضوع .

ولنذكر قبل ان نختم هذه اللوحة ان الجاحظ اضطرَّ أخيرا للانزواء في بيت حقير في البصرة بعيدا عن كل الناس . الا انه لحسن التَّخَصُّص لم يفكر في العزلة والانزواء والحبس ولم يكره البشر ومسيء الظن في كل شيء كما كان من امر ابي العلاء المعري . بل على العكس فتح بابَه ووسع بيته و«لم تلاميذه» واستقبل زواره الذين توافدوا اليه من كل الاقطار حتى من الاندلس . رروا ان احدهم صرق الباب عليه ودخل . فوجده في زمرة حوالي عشرين طفلا . فالتقى السلام وقال ايكم الجاحظ . وميل بل دخل عليه في بيته مع امراته فالتقى السلام وسال ايكم الجاحظ . فتطلع فيه الجاحظ وقال ممن الرجل . فقال من الاندلس فقال طينة حمقاء وما تفصد قال علم ابي عثمان . فقال الجاحظ انتصحك ان تعود مسرعا لانه لا خير فيك .

٣ — مركزه الادبي = هذا عن المالية وعن اجتماع الجاحظ . اما عن الناحية الادبية فحدث عن المحيط ان كنت فيما قبل حدثت عن البحوث ولا حرج . لقد خلُق الجاحظ لكي يكون ادبيا ولهذا فعقله بالفطرة متقد . وحسه بالطبع موهب . وقلمه بحكم الظروف كان سيالا . كتب



في كل شيء تقريباً واصفاً تارةً وناقلاً أخرى وموصياً باراً من أجل ما يكون في عدة أماكن .  
 للعلم في أدبه جانب وللدين آخر وللحياة العامة والخاصة زوايا وقرن . ليست مادته هي التي  
 جذبت إليه الناس فقط بل للطريقة الواقعية البسيطة التي اتخذها واسطة لعرض تلك المادة اثر  
 في نفوس الناس ووقع في قلوبهم محبتهم به وفرتهم اليه . لقد انقسم الجمهور الى عدو وصاحب .  
 لكن هذه سمة من سمات العظمة وواسطة لا بد منها لنشر اسم الرجل ومعه فضله . ولكي  
 نشير الى ( ولا نقول نشرح ) مرثىه الادبي الذي وصل اليه نهر القصص التاليفه مكثفين بها دون  
 تعليق ( رروا ان كعبه وصلت الاندلس وان احدهم قد اتى الى بغداد خصوصاً ليستفيد من  
 الجاحظ شخصياً واخذ عنه شفاهاً<sup>(١)</sup> . رروا ايضاً ( ان ابن الاخشاد مع فضله وعلو كعبه في  
 الادب ارسل من يبحث عن كتاب الفرق بين النبي والعتبي في عرفات<sup>(٢)</sup> . وقال احدهم ( الجاحظ  
 ذاك رئيس ادباء العربية بلا مدافع<sup>(٣)</sup> ) . وقال هو نفسه في التريخ والتدوير مخاطباً ابن عبد  
 الوهاب ( <sup>معرض</sup> يا هذا من تطاول<sup>(٤)</sup> ) وقال ابو هفان عندما فير له لما لا تهجو الجاحظ ( امثلي  
 يُخدع عن عقله فوالله لو كتبني رسالة لما اذحت الا وذكرها في الصين . ولو قلت فيه اله  
 بيت لما طن منها بيت واحد في الف سنة<sup>(٥)</sup> ) كل هذه قصص روايات واقوال ان كانت لتدل  
 على شيء فانما على الدرجة التي وصل اليها الرجل من العزة والمنعة وسعة الانتشار .

### ثالثاً - اخلاقه وشماله

كان الجاحظ مربواً<sup>(٦)</sup> . فيه ميل للقصر كما دافع عن نفسه في التريخ والتدوير ضد  
 هجوم ابن عبد الوهاب على القصيرين<sup>(٧)</sup> . وكان اسود البشرة . كما قال عنه اكثر مؤرخي حياته  
 مثل ياقوت<sup>(٨)</sup> وكما اكده ابن المزع في رواياته عن سواد جده فكانه اراد ان يقول " والسواد لون  
 متأصل في اسرة الجاحظ وليس طارئاً عليها " . وكان جاحظ العينين كبير حدقتيهما<sup>(٩)</sup> . كما حدث  
 هو نفسه مما مر ذكره وما الصوبه هذا اللقب الذي كان يحقته ويكره سماعه . والى جانب هذا  
 كان صاحبنا دقيق العنق صغير الرأس والاذنين<sup>(١٠)</sup> . كما صرح بلسانه في التريخ والتدوير ايضاً  
 اما السندويي من المحدثين فقد زاد على هذا فتصوره بلحية عريضة كبيرة كثة<sup>(١١)</sup> هي رمز القبح في  
 اى مخلوق التصفت به . وكانه عز على السندويي ان يفوت هذا النوع من القبح الجاحظ او صعب  
 عليه ان يفوت مؤرخي حياته ذكره نجاء متأخراً يلصقه به ولو في رسم تخيله له . اما من اين اتى

بهذه اللحية فلا نعرف . إذ ان واحدا من المصادر لم يذكرها . لكننا نظن ان السندوي تخيل ضرورة وجودها لان ارخاء اللحي كانت " الموضة " السائدة في تلك الايام . فاحب ان لا يحرم جاحظنا من لحيته . الا ان غيره كان اجمع منه ( اي من السندوي ) في وصفه للجاحظ  
 إذ قال لو يمسح الخنزير منخا ثانيا ما كان الا دون فبح الجاحظ  
 رجل ينوب عن الجحيم <sup>برحمته</sup> وهو الفذلي في كل طرف لاحظ

كل هذا ما استمعنا ان نجتمع من صفات الجاحظ سواء من كتبه ورسائله او من كتابات من جاء بعده عنه . وهي كما ترى ملاحظات قصيرة مقتضبة الا انها مع ذلك تعطينا فكرة عامة عن صورة الرجل الشخصية يستطيع الفنان الماهر بمساعدتها ان يصنع له رسما يدل لا على شخصه فقط بل وعلى روحه ايضا . اما هذه الفكرة العامة فهي ان خِلقة الرجل كانت في غاية الفبح والدماة . وقد توارثت الروايات على هذا حتى لم يعد هناك اى مجال للشك فيه . ومن احسن ما بقي لنا من هذه الروايات او الحكايات او النوادر او سمعها ما شئت ما يلي

اولا اجتماع رجلين يتحدثان عن هذا الفبح . وبعد ان اتفقا على انه كان في الذروة منه قال احدهما ليته يعود الى بطن امه لعل الله يصلحه ثم يخرج من جديد . فما كان من الثاني الا ان قال وهل تظن ان الله بحاجة الى ارشادات . انه لن يفعل هذا ابدا لانه يعلم ان خ لقه من جديد اسهل عليه من محاولة اصلاحه .

ثانيا قال هو عن نفسه ما اخجلني الا امرأتان ادولى طلبت مني ان اتبعها في احد اسواق البصرة . فتبعتهما حتى اتينا دكان صانع تماثيل . فاشارت الى الرجل وقالت : مثل هذا وانطلقت من فورها . سألت الرجل الخبير فقال جاءتني تطلب مني ان اصنع لها تمثال شيطان فلما قلت لها لا اعرف جاءتني بك . واما الثانية فطولة جميلة تطلع فيها وقل لها انزلي الى عالمنا يا هذه . فقالت ما لك لا تصعد فترى وجه الله ؟

ثالثا وقال هو عن نفسه ايضا : قابلت طويلا فنظر الي شزرا وقال  
 كانك صعوة في أس حشر اصاب الحشر طش بعد رش  
 وسكت . فصعدت فيه وقلت له اما انت . فقال ماذا . قلت اما انت ز  
 كانك بعرة في ذيل كبش تدل دل هكذا والكبش يمشي

فضحك الطويل وضرب على كتفي وقال غلبتني يا ابن الخبيثة<sup>(٤)</sup>.

رابعاً - روي ان احدها من أعجبت بعقله فحاولت ان تراوده عن نفسه باعتراضها اياه في الشارع إثر خروجه من الكتاب . قالت له ما رايتك يا ابا عثمان لو نتزوج فننجب ولداً يجمع بين جمال جسي وكمال عقلك فيكون اعجوبة عصره . فسكت الجاحظ واعرق قليلاً ثم امسك بلحيته فترة بعدها تطلع فيها وحدهما بنظرة عابرة وقال وهو يعبر الطريق . كفاك يا هذا وما يدريك : لعله يأتي بقبح خلقي وكمال غرورك . ثم سار فما رآه بعد<sup>(٥)</sup>.

كل هذه الحكايات تدل دلالة واضحة على قبح خلفه سواء في الوجه او في الطول او في مجل التكوين . بعضها قالها بنفسه وبعضها حاكه حوله للناس . والان ننقل الى وصفه الخلقي بعد ان القينا نظرة على وصفه الخلقي .

كثيرة الاخلاق التي اتصف بها الجاحظ والتي برزت واضحة جلية في كتبه رسائله وما كتبه عنه المحققون . ولو حاولنا الاتيان على جميعها بالسرد والشرح والتعليق لإحتجنا بكلاماً لكثاب كامل . لكننا مراعاة للظروف التي نحن تحت حكمها في هذه الرسالة سنذكر اهم تلك الاخلاق ونقول اهم ما يمكن ان يقال عن ذلك ادم نقط .

١ - عدل الجاحظ = اول خلق نحب ان نقول فيه هو العدل . هذا الخلق الذي كاد يسم بميسمه كل ما ترك الجاحظ من ادب سواء في الدين او في العلم او في غيرها ومطبع بطابعه كل ما ورد عنه من روايات سواء في السخرية او في الجد او فيما بينهما . حتى لقد اصبح يخيّل الي انه لا يمكن الفصل بين السنطين " الجاحظ والعدل " - في نفسه كان عادلاً . فقد نقل عن اعدائه منذ الخواص وفرطهم في كثير من الاحيان كما نقل عن اصحابه وفرضهم عندما رأى ضرورة لذلك . واحسن مثال يمكن اخذه على هذا هو مثال استاذة النظام . والنظام انسان معرض للخطأ كما هو معرض للصواب . عند الخطأ يجب ان يلام وينبه الى خطاه وعند الصواب يجب ان يشكر ويغار الى صوابه . لا ان يتغاضى عن جانب ميوّخذ بعين الاعتبار جانب واحد وقع من قلب الكاتب موقع هو . والا كان ذلك الكاتب ظالماً لا عادلاً . وسعيه عن الجاحظ وصف الظلم . فهو عندما رأى في النظام جيلاً لم يتوان ثانياً عن منحه رفعه الى عنان السماء .

وفي حين انه عندما وقع له على ما لا يجوز من الغلط لم يحجم عن<sup>١</sup> يسلسل سيفه<sup>٢</sup> السيال<sup>٣</sup> ويقول انه لم يكن ثقة. هذه كلمة في عدله في النقل الادبي. اما في العلم فلك من تحقيقه الدقيق وقصده للحقيقة العارية دون سواها ما يبهر العقل خصوصا اذا عرفت ان منذ هذا التحقيق لم يعرفه احد من سابقه او معاصره. ولولا ان لتحقيقه بابا كاملا لافضنا في جزئياته. هذا عن عدله في الادب وفي العلم اما في الدين فيمكن ان نقول انه كان من المعتزلة الذين يسمون اصحاب العدل والتوحيد ويكنون ان يكون رئيس الجاحظية تلك الفرقة لا المعتزلة. فحسب بل والمتطرفة في الاعتقال. سئل احدهم لماذا تسمون انفسكم باصحاب العدل. قال لاننا ننفي القضا<sup>٤</sup> والقدر. قال وما شان ذاك بالعدل. قال لانه لا يجوز ان يقال كما تقول الفرق الاخرى ان الله قدر علينا المعاصي ثم يعود ليعاقبنا عليها. لان هذا لا ينجيه من تهمة الظلم. اما نحن فنقول ان اعمال الانسان من خلقه وانه حر في تصرفه بل انه ليس مسؤولا عن كثير من اعماله غير الارادية ولهذا كان اذا ما اخطأ هذبه الله كان الله عادلا ولم يكن له على الله حجة في انه ظلمه. لقد اعتنى الجاحظ الاعتزال وتطرف في عقيدة العدل حتى لقد كره من اجلها الكثيرون من الفقهاء<sup>٥</sup> ورموه في الزندقة. والذي يطالع البغدادى في روقه يرى من انواع السباب والشتائم ما يتنزه القلم الاديب عن تكراره.

الا انه يحسن بنا ان نذكر ان عدد الجاحظ لم يكن نظريا سطره في الكتب وروقه في الرسائل ليطلع عليه الناس من بعده وهو عنه في عزلة انما كان عمليا عاشر فيه طول حياته. وروا ان احدهم جاءه ليشفع به عند حاكم فرفض. وعندما سئل لماذا لان الشفاعة لا تخلو من قول زور. والزور لا شك فيه ضرب من الظلم واخفاء الحقيقة. وروا الى جانب هذا حكايات كثيرة اخرى نسكت عنها لان الغرض ليس التعداد بقدر ما هو الاستشهاد.

٢ - كرم الجاحظ = هذا ثاني خلق يبرز جليا في كل حياته. الكرم بالرغم من فقره. والكرم بالرغم من كره مصروفاته. طبع على الكرم والسخاء فليس له عنهما احجام. لقد قلنا فيما سبق انه ولد فقيرا. ثم قلنا انه غنى بعد ذلك. فكان علينا ان نسميه من الجماعة الذين يغنون دفعة واحدة. وكان علينا ايضا ان نستنتج كما هو المعروف انه كان بخيلا. لكن الحقيقة غير ذلك. فقد كان كريما وكان يكره البخلاء واليك بعض الشواهد. في اخر رسالة استنجاز الوعد قال ( قاتل الله الحرص واخفى الطمع ) وهذا ان دل على شيء فليس الا على نورة كامنة في نفسه على هاتين التريعتين عبر عنها بكل هدوء وبساطة بهاتين الجملتين. قد يقول البعض ان هذا كان

ان هذا كان نظرياً في حياته وليس له من العملية نصيب . انوكيرا ما اوسى الجاحظ بامر كان هو ابعد الناس عنها - لكن هذا يفسقظ عندما يعلم هؤلاء البعيران الالوف المولدة من الدنانير التي جمعها من هدايا كتبه وان الضيعة الغناء التي زرع فيها الاراك هاتر فيها مع جارية وجارية تخدمها . وان الخادم الذي خدم ذوى اليسار واشباه الموك كلها ضاعت هباء - ولكن كيف ضاعت لمست ادرى . الا انني ادرى انه عندما مات مات فقيراً . وانه قبيل ذلك اضطر لان يكتسب قوته من عرو جبينه بالتعليم في كتاب . وانه عندما سأل احدكم في اواخر ايامه والعرض يحزني ضلوعه والمه يسرى في عظامه فيكاد يهددها = كيف حالت يا ابا عثمان لم يكن من جواب الا مريض من مكانين من الافلاس والديس .

لم يمت الجاحظ فقيراً نحسب . وانما كان مديوناً ايضاً مديوناً والله اعلم بكم . ولو كان بخيلاً لما وصل الى هذه الدرجة . قد يُقال إنهُ اُنْصَلَ واقوال تُضرب وتقال في مناسبات . يَعتمد عليها من يريد ومنكر صحتها من يشك في الار . فهاتوا لنا غيرها . الا اننا قبل ان نأتي بغيرها نقول اننا قد تاكدنا من صحة نسبة كل ما مر عن كرمه ومع ذلك خذوا هذا الدليل الثالث . احسن كتب الجاحظ على الاطلاق واقربها الى روحه وادلها على نفسه هو كتاب البخلاء . فالى هؤلاء المنكرين نقدم هذا الكتاب . لا للناقض وتجاوز ونبرهن ان الرجل كان كريماً بر لتتركهم يفرونه لو حدهم وغيروا ارائهم بانفسهم . كتاب البخلاء هو اعجوبة الدهر في ذم البخير والسخرية من اهله . كتاب البخلاء هو السيف الناطع الذي يمحى شهره في وجه كل بخيل ليسكت عن ترثرته ويترك الدفاع عن نعمة ان لم يتحوّل كريماً . اقروا كتاب البخلاء .

٣ - حُب الجاحظ للحياة = نال ناحية من نواحي خلفه . نحب ان نتكلم عنها هي - ناحية حبه للحياة . وهي كما يظهر غامضة يمكن وضع نواحي كثيرة تحتها والكلام عنها جميعاً ضئلاً . منها مثلاً ما بينة الزمان ومنها كذلك الميل للتحلل ومنها ايضاً الانانية بالاضافة الى المفهوم الواسع من التمتع بالحياة . ومن الاسطر القليلة التالية سنحاول ان نلقى نظرة على كل من هذه وان كانت جميعها يجمعها قولنا = حُب الحياة .

اما ميله للتحلل - وان كانوا لا يقولون تحللاً كاملاً - فهو خلق رماه به اعداؤه لما رآوه من حلمه وسعة صدره واتساع افاق عقله . فهو اذا نفى تحريم انواع الشراب في رسالة النبيذ ولم ير بأساً من شره قالوا هو متحلل من الفيرد الدينية . واذا سجن الى الجوارى واكثر منهم / قالوا / / متحلل / من / اربيد

منهم قالوا هو متحلل من القيود الخلقية . واذا سحر وتهكم قالوا لا وزن للاجتماع وحدوده عنده . وما دروا ان كل حكيم متزن يقول بما قال الجاحظ يرى بما رأى . هذا من ناحية تحلله اما ملابسة دهره فهم اذا راوه ساير السلطان وتبويؤيده قالوا ليس بغريب فهو متعلق . واذا جرد قلعه يقول في الحامة قالوا هو مداهن ~~وكأنه لا شيء~~ وما دروا ان الحيلة ليست وجها واحدا بل ذات وجوه وان على الاديب الحق ان يقول فيها كلها . وكأن الاستاذ السندوبي لم يتكف بكل هذه المطاعن حتى راح "يضيف الى الحروف نقطها" فيتهمه بالانانية . اما من اين اتى بهذه الانانية او من ماذا استنتجها او كيف اهتدى اليها فلآن بالرغم من اننا طالعنا اكثر ما بقي لنا من ادبه وما قيل فيه لم نجد لمثل هذا رائحة . لكننا نقول ان هذا كان استنتاجا شخصيا استنتجه السندوبي من ابتعاده عن الناس وخلوده للخلوة . فهو لم يقبل وظائف الدولة وهو لم يوافق على استئفاع من استئفع به وهو الى جانب ذلك كان ناثرا على اكثر النظم ~~ولا~~ ينتقدها وكأنه لا يرى الا نظامه . نفوس لعن هذه الظواهر ~~التي~~ فادت السندوبي الى استنتاجه . ولو علم صاحبنا ان العالم الحق هو الذي يفعل ذلك واكثر منه اى يبتعد عن الناس ليخلوا الى كبه لما استنتج ما استنتج ولما قال ما قال . والجاحظ كان عالما وكان اديبا وكان الى جانب ذلك نقيها له في الفرق فرقة مشهورة . فكيف يكون كذلك وهو اناني . كيف يتبعه اصحاب فرقته وهو اناني . وكيف تكون فيه صفة العدل وهو اناني . بل كيف يكون كريما وهو اناني . الجاحظ لم يكن انانيا اولا لان المظاهر لا تدل على انانية وثانيا لان احدا لم يذكر ذلك واخيرا لان عندنا دلائل كثيرة تدل على العكس .

انما يقال باختصار ان الجاحظ كان يحب الحياة . لكنه لم يكن يحبها كما يحبها غيره الكيرون . اى بتضحية كل شيء في سبيلها . او لم يحبها لانه اضعف من ان يقام مغرباتها انما احبها لنزعة فيه تالية تحكمت بعقله واستبدت بكل ما فعل . احبها لانه كان واقفيا . خياله ضعيف ولذا لم يحلم بمدينة فاضلة . وهفله حفيف ولذا لم يتطرق كثيرا للنظريات البعيدة . هنا نعيش . وحسب هذا يجب ان نتكف . لا انا نعيش جسما في عالم روحي في ~~الوجود~~ اخر .

#### ٤ - واقعية الجاحظ = هذه الواقعية جاءت الرابعة في العدد الا انها

في الحق الاولى عندى في الاهمية . وقد سخر الجاحظ كل ما لديه من جسم وهنل روح للعيش بحسبها . وقد هيمنت هي عليه فطبعتم كل حركة وسكة منه بطابعها . الواقعية هي كل شيء

عنده وهي الخاتم الذى تجد اثره على كل ما ترك . في الدين كان واقعيًا ولهذا بطلت عنده اولا النظريات الخيالية والافوال الهوائية التي تعود غيره الصافي بالدين وحل محلها تعاليم جديدة عملية يتفهمها من يحاول مطالعة تعاليم الجاحظ . وبطلت عنده ثانيا تلك الشرق العقيمة في اثبات الدين والدفاع عنه بما كان يسميه ( مناترات ) وحل محلها المنطق والعقل واستعمال القوى المميزة. والذى يطالع لا كتاباته في الدين فحسب ( حجج النبوة ) بل وحتى الحيوان وما قيل فيه يتأكد من صدق ما ذهبنا اليه . ادبه كان ادبا واقعيًا وعلمه كان علما واقعيًا ودينه كان دينًا واقعيًا وحياته في كل جزئياتها كانت كذلك . اما لماذا فلاعتقد لانه سبر الحياة في جحيمها ونعيمها واطلع على كل خفاياها .

هـ - هزله وجدّه = على هذين ~~نقطتين~~ نظر الجاحظ . ومن الغريب

انهما متناقضان وقلّ ان يجتمع في واحد ما لم يكن من الذين يجمعون بين المتناقضات . الا ان الجاحظ كان صاحب اعداد وقد جمع بينهما . وعلى هذا فليس من الغريب ان يجمع بين المتناقضات انما الغريب فيه ان يكون مبرزًا في كليهما . فنكتة الجاحظ لا يكاد يعدلها نكتة وحكمة الجاحظ لها في المناسبات وقع كبير . ونحن نرى ان الجاحظ في طبعه قد رُكِبَ على الجد والعبوس . لان حياته الاولى لا تولد ولا توحى بغير ذلك . لكنه غني ونعيم فيما بعد فجاءته الابتسامة والفرح وعندما تطورت به الايام وعمرته السنون وتجمع لديه العنصران صهرهما في اتونه ثم خلق منهما كيانا جديدًا هو الكيان الادبي الخاص بالجاحظ الذى يبرز فيه هذان العنصران واضحين . والدليل على هذا ان رسائله الاولى مثل العباسية مثلاً كلها جادة رزينة لا عبث فيها ولا مداعبة . في حين ان رسائله الوسطى قد طففت عليها هذه النعومة طغيانًا عظيمًا مش رسالة الجد والهزل . واذا تقدمنا الى ما الف في شيخوخته ونعني البخلاء والحيوان والبيان وجدنا النوعين معا قد دمجتا واحسن دمجهما . كثيرون الذين قالوا ان جانب الضحك في خلق الجاحظ اقوى من الجد . واكثر منهم الذين راوا العكس . الاولون يستشهدون بهذه النكات الكثيرة الواردة عنه . ومذكرون هذه الرسائل المضحكة التي خلفها اذا ما طُلب ذلك - في حين ان الاخرين يستشهدون بمجمل حياته وهذه الرسائل الدينية الجامدة التي خلفها ايضا اذا ما طلب ذلك . اما نحن فاننا نميل الى الراي الثاني وهو ان الجاحظ كان في مجمل طبعه جادًا لكنه كان في كثير من الاحيان ( وهو يرفب الناس في برجه العاجي ) كان يرى سيرهم على غير هدى وكان يلاحظ حماقاتهم دون ان يدركوا ، فما كان يملك من ان يعود الى دفتره ويسطر هذه السخافات ومضحك من هذه الحقايق حتى يكل .

ثم يحسن هذه الكتب فيضحك لها من بعده جميع الناس .

٦ - اخلاق اخرى = مثل حلمه ومثل دهائه ومثل اعتداده بنفسه وشروده  
ذهنه ومثل تواضعه ومثل غيرها كثير نمسك عن الافاضة فيها ونكفي بالتلميح اليها اولا لان الظروف  
لا تساعد وثانيا لانها لم يكن كبير اثر في حياته الخاصة واخيرا لانها لم تبرز واضحة في اديبه  
لدرجة تضطرننا معها أن نتكلم عنها باسمها .

هذا هو الجاحظ . الفقير الغني . الحفير العظيم . المحبب المكره المحبوب  
الجاهل العالم الذي بكل اختصار جمع المتناقضات ووفق بين الاضداد بعد حتى اصطلحت عليه  
حتى اضداد الامراض . نعمت رحمه الله محمد بن عبد الله بن يوسف .



لظروف فنية قاهرة اضطررنا لاتباع هذا الأسلوب في الإشارة الى المراجع التي رجعنا اليها في كتابة الفصل الاول من الرسالة . فمعذرة والسلام .

صفحة	رقم	مراجع	صفحة	رقم	مراجع
١١	١	سندوي ١٧٢	١٥	١	مج ١٢٦
	٢	ح ٥٤/٧		٢	كامل ٢٨٣/١
	٣	مج مسعودي ٣٨/٨		٣	كرد ٣١٥
	٤	ياقوت ٥٦/٦		٤	ياقوت ٥٦/٦
	٥	وفيات ٥٥٣/١		٥	ابن حزم ١٩٥/٤
	٦	ابو الفداء ٤٩/٢		٦	كويرلي زادا ٨٣
	٧	ابن الوردي ٢٣٣/١		٧	طه حسين في " الجاهلي "
١٢	١	ياقوت ٧٨/٦	١٦	١	كرد ٣١٥
	٢	سندوي ١٥		٢	كرد ٣٢٤
	٣	ابو الفداء ٤٩/٢		٣	سندوي ١٩٧/١٠
	٤	ابن الوردي ٢٣٣/١		٤	بيان ١٨/٢ ١٥/٣
	٥	بيان ٢٤٢/١	١٧	٥	كرد ٣١٥
	٦	البغدادى ١٦٢		١	سندوي ١٣
	٧	السيوطي ٢٥٤		٢	ياقوت ٦١/٦
	٨	ابن حزم ١١٥/٤		٣	ح ١١٤/٣
١٣	١	ياقوت ٥٦/٦	١٨	١	ح ٦/١
١٤	٥	وفيات ٥٥٣/١	١٩	١	سندوي ١٢
	١	ياقوت ٦٢/٦	٢٠	١	سندوي ١٦٩
	٢	سندوي ١٥		٢	ح ١٣٤/٣
	٣	مقدمة البيان ٢/١		٣	ح ٢٠٢/٢
	٤	مقاييس ١٢	٢١	١	ب ٢٤٣/١
	٥	مقاييس ١٤٨		٢	ح ٥٦/٢
	٦	مقاييس ١٢		٣	ح ١٥/٢

صفحة	رقم	مراجع	صفحة	رقم	مراجع
٢٢	١	ياقوت ٨٠/٦	٢٩	١	كرد ٣١٢
		ونيات ٥٥٥/١		٢	ح ١٥/٢
	٢	ياقوت ٥٦/٦		٣	ح ١٠١/٣
	٣	مقدمة البيان ٦/٢		٤	ح ٤٥/٢
٦/٤		شفيق ٠٠٠١٠		٥	ح ١٠٠/٣
	٧	مقدمة البيان ٦/٢		٦	ح ٥١/٤
٢٣	١	ياقوت ٧١/٦		٧	ح ١١٣/٥
	٢	ونيات ٥٤٤/٨		٨	ح ٥٦/٤
	٣	عصر العامون ٤٢٨			صبح ٣١٨/٣
	٤	ياقوت ٥٦/٦		٩	ونيات ٠٠٠
	٥	ونيات ٥٥٤/١	٣٠	٥/١	شفيق ٦٧ ٠٠٠
٢٤	١	سندوبي ١١	٣١	٤/١	شفيق ٦٧-٣٨
	٢	مقابسات ٠٠٠١٠		٥	مرتضى ٣٠
	٣	البغدادى ١٦٢		٦	ح ٨٣/٢
	٤	ابن شهيد في مبارك		٧	ح ١٠٦/٤
	٥	ياقوت ٥٦/٦	٣٣	١	مقدمة البيان ١٦/١
	٦	كرد ٣١٥	٣٤	١	ياقوت ٧٥/٦
	٧	بخ ١١٤		٢	ياقوت ٧١/٦
	٨	ياقوت ٥٦/٦		٣	سندوبي ١٨٩
٢٥	١	ح ٥/٢		٤	ياقوت ٧٤/٤
	٢	مقدمة البيان ٧/٢		٥	سندوبي ١٩٢
	٣	ح ١٦٧/٣		٦	ياقوت ٨٠/٦
٢٦	١	ب ٧٠/٢	٣٥	١	ب ٢١١/٣
٢٧	١	٢٢٤/٣		٢	ياقوت ٥٨/٦
	٢	بخ ٥٠		٣	ياقوت ٥٨/٦
٢٨	١	ياقوت ٥٦/٦		٤	فنكل ٤٣ ٠٠٠

صفحة	رقم	مراجع	صفحة	رقم	مراجع
٣٦	١	ابن عساكر ٥٢/٦	٤٠	١	سندوي ٣٣
	٢	مرتضى ٣٨		٢	ياقوت ٦٢/٦
	٣	مرتضى ٣٩		٣	ياقوت ٦١/٦
	٤	كراوس ٦١	٤١	١	ياقوت ٧٥/٦
	٥	مج ٢	٤٢	١	ياقوت ٧٤/٦
	٦	سندوي ٣٣		٢	ياقوت ٧٣/٦
	٧	حيوان ٠٠٠		٣	ادباء البكريا " جاحظ"
	٨	كراوس ٢		٤	مج ١٢٦ ٠٠٠
	٩	كرد ٣١٨		٥	ياقوت ٧١/٦
	١٠	نفسه		٦	مج ٨٨
٣٧	٢/١	ياقوت ٥٨/٦		٧	ياقوت ٥٦/٦
	٣	ياقوت ٧٢/٦		٨	مج ٩٠
٣٨	١	سندوي ٣٣		٩	ابن خلكان ٣٨٨/١
٣٩	١	ياقوت ٧٦/٦		١٠	اول " ابى الجاحظ"
	٢	ب ٢٢٢/٣	٤٣	١	دائرة البستاني " جاحظ"
	"٢"	ح ١١/٢		٢	نفس المرجع
	٣	ب ٢٢٦/٣		٣	سندوي ١٦٦
	٤	ب ٢٣٠/٢	٤٤	١	سندوي ١٧٠
	٥	ح ٤٦/٢		٢	ادباء البكريا " جاحظ"
	٦	سندوي ٣٣			
	٧	ح ٨٥/٣			
	٨	ب ١٣٥/٢			
	٩	كرد ٣٨٢			
	١٠	ح ٨/٣			

المهندسين : كتب الجافة

١. سرد كتب
٢. تحقيق في زمن الرد
٣. وصف الباقيات . ونظرة تقدير

## المقالة الاولى في تعداد كتبه

- ١ - الابل - مذكور في ياقوت ٧٦/٦ . لا مخطوطة . لا مطبوعة . شعاع
- ٢ - ابو النجم ( رسالة الى - وجوابه ) = ذكره السندوي ٤ . لا مخطوطة . لا مطبوع.
- ٣ - ام السكر ( رسالة في - ) ذكره ياقوت ٧٨/٦ .
- ٤ - احالة القدرة على الظلم = ذكره ياقوت ٧٢/٦ .
- ٥ - احتجاج البخلاء = ذكر في الحيوان ١٢/٢/١
- ٦ - الاحتجاج لنظم القرآن = ذكر في الحيوان ١ / ٥ / ١ - وطبع في هامش الكامل الثاني بين ١٢٢ و ١٤٦ . قال السندوي ان الباقلاني طعن فيه في الاعجاز .
- ٧ - احذنة العالم = ذكره السندوي ٢ .
- ٨ - الاخبار = ذكر في الحيوان ١ / ٥ / ٦ وفي ياقوت ٧٢/٦ .
- ٩ - الاخبار وكيف تصح = ذكره ياقوت ٧٦ / ٦ .
- ١٠ - الاخطار والرائب والصناعات = ذكره السندوي ٩ .
- ١١ - اخلاق الشطار = ياقوت ٧٨ / ٦ .
- ١٢ - اخلاق الفتيان ونسائل اهل البطالة = التلج ٢/٣/٠ .
- ١٣ - اخلاق الملوك = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٤ - الاخلاق الحمودة والاخلاق المذمومة = لم يذكر . توجد منه مخطوطتان الاولى في الموصل رقم ٣/٢٦٤ والثانية في دمام رقم ١٤٩ / ٢ .
- ١٥ - الأخوان = ياقوت ٧٢ / ٦ .
- ١٦ - الادب = العقد الفريد ١ / ٣١١ / ٢٥ .
- ١٧ - الاستبصار والمشارفة في الحرب = ياقوت ٧٨ / ٦ .
- ١٨ - استحقاق الامانة = لم تذكر . منها مخطوطة في الملحق البريطاني رقم ١١٢٩ / ٢٠ نشرت في ثاني الكامل ٢٢٠/٢١٢ و ٢٦٩ / ٢١١ . وفي رسائل السندوي ٢٦٠/٢٤١ وفي ريشو ١٦٨ / ١٧٩ .
- ١٩ - الاستطاعة وخلق الاعمال = ياقوت ٧٢ / ٦ . والسندوي ص ١١٨ .
- ٢٠ - استطالة الفهم = خفاجي ١٠٤ . منشور في الخفاجي ١٠٤/١٠٤ .
- ٢١ - استنباز الوعد = لم يذكر . منه مخطوطة في الملحق البريطاني ١١٢٩ / ٢١

- ٢١ - منشور في المجموعة ١٧٣ - ١٧٧ وفي ثنائي الكامل ٢٢٠ - ٢٢٧ . وفي ريشر ١٩٥ - ١٩٩ . ومخصوصه راجع ص ١٧٥ و ١٧٦ منه .
- ٢٢ - الاسد والذئب = ياقوت ٦ / ٧٨ .
- ٢٣ - الاسماء والكلى = بيان ١ / ٢٢٢ وكذلك بيان ١ / ١١١ .
- ٢٤ - الاسم والحكم = حيوان ١ / ١٤٩ / ٧ .
- ٢٥ - الاشجار ( كتاب في ) = كرد على ٤٠٣ .
- ٢٦ - اصحاب الالهام = حيوان ١ / ٥ / ٥ .
- ٢٧ - الاصنام = حيوان = ١ / ٣ / ٥ . راجع السندوي ١١٩ .
- ٢٨ - اصول الدين = ابن خلكان = ٣٨٧ / ١٠ .
- ٢٩ - اصول الفتيا والاحكام ( في - ) = حيوان ١ / ٤ / ٢٣ .
- ٣٠ - اطعمة العرب = المدائني ٢ / ٤٩ / ٢١ .
- ٣١ - الاعتزال وفضله = السندوي ١١٩ .
- ٣٢ - افتخار الشتا والصيف = ياقوت ٦ / ٧٦ .
- ٣٣ = افعال الطبائع = سندوي ٢٤ .
- ٣٤ - اقسام فضول الصلغيات ومراتب التجارات = حيوان ١ / ٢ / ٢٠ .
- ٣٥ - الامامة = بيان ٣ / ٢١١ .
- ٣٦ - الامامة على مذهب الشيعة = ياقوت ٦ / ٧٦ .
- ٣٧ - امامة امير المؤمنين معاوية = ياقوت ٦ / ٧٦ .
- ٣٨ - امامة بنى العباس = سندوي ١٢١ / ٧ .
- ٣٩ - امامة ولد العباس = مروج ٦ / ٥٥ / ٧ .
- ٤٠ - امامة الرؤانية = مروج ٦ / ٥٧ / ٢ . راجع ياقوت ٦ / ٧٦ والسندوي ١٢١ . وبروكلمن ١
- ٤١ - امتحان عقول الاولياء = ياقوت ٦ / ٧٦ . وهي رسالة لأبي الفرج .
- ٤٢ - الامثال = ياقوت ٦ / ٧٧ .
- ٤٣ - امر الحكيم = لم يذكر . منه مخطوطة في ميلانو امبروزيانا ن ١٢٩ راجع بروكلمن ١٥
- ٤٤ - الامصار = سندوي ٧ .
- ٤٥ - الامصار وجانب البلدان = مسعودي ١ / ٢٠٦ . راجع بروكلمن ب ١٠ وسندوي ١٢٤ .

- ٤٦ - الامل والامل = ياقوت ٧٨/٦
- ٤٧ - امهات الاولاد = سندوبي ٣٣
- ٤٨ - الانس والسلوة = سندوبي ٣٤
- ٤٩ - الاوطان والبلدان = ملحق البريطاني ١٥/١١٢٩
- ٥٠ - الاوقاف والرياضات = حيوان ٢١/٣/١
- ٥١ - اى القران = ياقوت ٧٧/٦ - راجع السندوبي ص ١١٧
- ٥٢ - البخلاء = مرج ١٠/٣٤/٨ وكذلك ياقوت ٧٦/٦ . طبع باشراف الساسي ثم في دمشق ثم في دار الكتب ثم في لايدن وترجمه ريشر ٢٧٦-٢٨٨ . راجع كرد علي ص ٤٣٠ واحمد امين في ضحى الاسلام ص ١٠٧ .
- ٥٣ - بصيرة غنام المرتد = حيوان ٦/٥/٢ وياقوت ١٠٠/١٦ والطبرى ٨/١٣٠٢/٣ . راجع رسالة الفتح ابن خاقان اليه في ياقوت ٧٥/٦ وكذلك بروكلمن نكرة ١٧ ب .
- ٥٤ - البغل = ياقوت ٧٥/٦ . قال انه ملحق
- ٥٥ - البلاغة والاعجاز = ملحق البريطاني ١٦/١١٢٩
- ٥٦ - البلدان = ياقوت ٧٧/٦ وكذلك بلدان ياقوت ٧/٥٩٣/٢ وكذلك سندوبي ١٢٥ .
- ٥٧ - بني امية = زبدان ٤/١٦٩/٢ منشورة في رسائل السندوبي ٢٩٢-٣٠٠ .
- ٥٨ - البيان والتبيين = مرج ٧/٣٤/٨ وياقوت ٧٦/٦ وابن خلكان ١٣/٣٨٨/١ ونغية السيوطي ص ٢٩٥ . من مخطوطاته في الاسكوريال ٧٢٨/٢ ثم لنيينغراد ١٥٨ ثم داماد زادى ١٥١٤ ثم في فاس ١٢٥٢ ثم في الموصل ١/١٥/٢٠٨ . منشور في نسخة ١٣٠١ ، ١٣٢٢ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٣ . راجع السندوبي ١٢٦ وروكلمان نكرة ١
- ٥٩ - بيان مذاهب الشيعة = المجموعة بين ١٢٨ - ١٨٥ ثم ريشر ١٩٧-٢٠٤ .
- ٦٠ - بين الصديق والكذب = حيوان ١٣/٢/١
- ٦١ - التاج = فهرس العقد الفريد ل احمد شفيح ١٢/٢٦/١ . الا ان العقد بذاته لابن عبد ربه ذكره ! لغيره ١٣/٢٨٧/٢ . وهذا الخصوص راجع مقدمة احمد ذكي باننا .
- ٦٢ - التبصر بالتجارة = منشورة في المجمع العلمي ١٢/٣٢٦-٣٥١ . وهذا الخصوص راجع الكرملى ١٣/٢٨١-٢٩٩ ثم كرد علي ص ٤٣٠ ثم مجلة المجمع العلمي بالشام ١٣/٣٢٦ .
- ٦٣ - تحسين الاموال = سندوبي ٤١
- ٦٤ - التريع والتدوير = ياقوت ٧٦/٦ . مخطوطة في المحلق البريطاني ٣/١١٢٩ . منشور في المجموعة ٨٢-١٤٢ وفي هامش اول الكامل ٤٠-٩٧ وفي مثلث فلوتن ٦٨-١٥٧ وفي رسائل السندوبي ١٨٧-٢٤١ وفي ريشر ٢١٢-٢٥٥ .
- ٦٥ - التسوية بين العرب والعجم = ياقوت ٧٧/٦
- ٦٦ - تصحيح الاخبار = سندوبي ١١٨ . راجع منية الامل ل احمد ابن يحيى ٢/٢٨٨٧/٢ وكذلك لغة العرب ١٧٤/٣/٩ وما بعدها راجع ايضا ريشر ٥٥٢ وما بعدها
- ٦٧ - تصويب علي في تحكيم الحكيم = ياقوت ٧٦/٦ . يوجد منه مخطوطة في ابرورنانيا في ميلانو نكرة ١٢٩ . وبخصوصه انظر المجلة الالمانية ٧٧/٦٩ وانظر مقالة جريفتي في مجلة القرن لذكرى المستشرق امارى ١/٤٠٢ - ٤١٥ . وقال السندوبي ص ١٢٨ انه وجد قسما منه . ونحن نقول ولعله " امر الحكيم ذاته الذى مر سابقا " .

- ٦٨ - التفاح = سندوبي ٤٤ . ولعله اشجار كرد علي الذي مر ذكره .
- ٦٩ - تفضيل الاعتزال على كل نحلة = حيوان ٢/٥/١ .
- ٧٠ - تفضيل البطن على الشعر = ملحق البريطاني ١٧/١١٢٩ .
- ٧١ - تفضيل صناعة الكلام = فهرست ٢٥/٣٠٠ . فان السعدي لعلها العاشية وهذا الخصوص راجع السندوبي ١١٢ .
- ٧٢ - تفضيل النطق على الصمت = ملحق البريطاني ٢٢/١١٢٩ . منشورة في المجموعة ١٤٨-١٥٤ وفي هامش الكامل الثاني ٢٢٧-٢٣٧ وفي ريشر ١٨٢-١٨٦ . راجع ص ١٤٨ منها . ونحن نقول ولعلها فصل من البيان والتبيين .
- ٧٣ - التفكير والاعتبار = ياقوت ٧٧/٦
- ٧٤ - التمثيل = ياقوت ٧٧/٦
- ٧٥ - تنبيه الملوك = زيدان ٢٣/١٦٨/٢ . السندوبي أسماء - والمكاييد ص ١٥٢
- ٧٦ - تنبيه الملوك والمكاييد = سندوبي ١٥٢ منه مخطوطة شمسية بدار الكتب ٢٣٥٤ .
- ٧٧ - تهذيب الاخلاق = رأيت في مكتبة الجامعة اليسوعية معنونا باسم الجاحظ .
- ٧٨ - الجد والهزل = ملحق البريطاني ١٣/١١٢٩ وداماد ٦/٩٤٩ والموصل ٩/٢٦٥ . نشره كراوس ٦١-٩٩ . اسماء السندوبي المن والجد ص ١٢٩ .
- ٧٩ - الجز الذي لا يتجزأ = سندوبي ٧٨ .
- ٨٠ - جمهرة الملوك = ياقوت ٧٧/٦ .
- ٨١ - الجوابات = حيوان ٥/٥/١
- ٨٢ - جوابات المعرفة = ياقوت ٧٧/٦ .
- ٨٣ - جوابات في الامامة = ملحق البريطاني ٢٦/١١٢٩
- ٨٤ - الجوارح = بيان ٨٠/١ .
- ٨٥ - الجوارى = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٨٦ - الحاسد والمحسود = ياقوت ٧٦/٦ . الملحق البريطاني ١/١١٢٩ . نشر في المجموعة ١٣٢ وفي هامش الثاني ٢-١٦ وفي ريشر ١٨٠-١٨٢ . راجع ص ٢ منه .
- ٨٧ - حانوت عسطار = ياقوت ٧٧/٦
- ٨٨ - الحجاب = طراز الخفاجي ٧٣ . مخطوط في داماد ١٢/٩٤٩ والموصل ١٠/٢٦٥ منشور في طراز الخفاجي ٧٣-١٦٥ وسائل السندوبي ١٣٥-١٦٨ وريشر ٥٣٣-٥٥٠ .



- ٨٩ - الحجاب وذمه = هكذا اسماء السندويي ١٥٥ .
- ٩٠ - الحجات = سندويي ١٢٩
- ٩١ - حجة او حجج النبوة = ملحق البريطاني ٨/١١٢٩ . منشور في هامر الاول ٢٩٦-٢٧٥  
وفي هامر الثاني ١-١٢٢ وفي رسائل السندويي ١١٢-١٥٤ وفي ريشر ١١٢-١٥٩ .  
ذكر في الحيوان باسم الحجة في تنسيت النبوة ١/٥/٥ . راجع كرد علي ٤٣٨
- ٩٢ - الحجر والنبوة = ياقوت ٧٢/٦ .
- ٩٣ - الحزن والعزم = سندويي ٥٨
- ٩٤ - حكاية سِرِّ قَوْلِ العثمانية والضرارية = حيوان ١/٦/٥ .
- ٩٥ - حكاية عثمان الخياط في اللصوص ووصاياه = موصل ١/٢٦٥ .
- ٩٦ - حكاية اصناف الزيدية = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٩٧ - الحلبة = سندويي ١٦٠
- ٩٨ - الحلبة = سندويي ١٣٠ .
- ٩٩ - الحلبة = ياقوت ٧٨/٦
- ١٠٠ - الحنين = فهرست ٢٣/١٥٥ . ذكره على انه لغيره . ٧٧٨
- ١٠١ - الحنين الى الاوطان = منشور في القاهرة سنة ١٣٣٣ . راجع ص ٤ منها .
- ١٠٢ - حيل صراق الليل = بخلاء ٢/١
- ١٠٣ - حيل لصوص النهار = بخلاء ٣/١ .
- ١٠٤ - حيل اللصوص = حيوان ١٠/٢/١ وخدادى ٨/١٦٢ . راجع ما قال البغدادى .
- ١٠٥ - حيل المكدين = بخدادى ١٣/١٦٢ .
- ١٠٦ - الحيوان = بيان ٦٠/١ + ١٣٨ . بيان ٧٣/٣ . مرج ١٠/٣٤/٨ . ياقوت ٧٥/٦  
ابن خلكان ١٢/٣٨٨/١ . بغية السيوطي ص ٢٦٥ . مخطوط في عاشر افندى ٥٨٤ وكذلك  
في عاشر افندى ٨٧٦ . ومنشور في القاهرة ١٣٢٥ . راجع ما قاله عنه هو٥٥ . بالاضافة  
الى ما قال السندويي ١٣١ وكرد علي ٤٢٣ و ٤٦٤ و بروكلمن نبرة ٢ .
- ١٠٧ - خلق القران = حيوان ٢١/٤/١ .
- ١٠٨ - الخراج = ياقوت ٧٥/٦ قال انه ملحق .
- ١٠٩ - خصومة الحول والعمور = ياقوت ٧٨/٦ . اسماء السندويي - الفول والخور .
- ١١٠ - دلائل النبوة = ياقوت = ١٦/١٠٩ . راجع حجج النبوة .

- ١١١ - الدلائل والاعتبار على الحل والتدبير = منشور . راجع بخصوصه كرد علي ٤٢٨
- ١١٢ - الدلالة على ان الامامة فرض = ياقوت ٢٦/٦
- ١١٣ - ذكر ما بين الزيدية والرافضة = ياقوت ٢٦/٦ .
- ١١٤ - ذم الكتاب = ياقوت ٢٨/٦ .
- ١١٥ - ذم اخلاق الكتاب = داماد ٣/١٤٩ والموصل ١٣/٢٦٥ منشور في فنكل ٤٠-٥٢ وفي ريشر ٦٢-٧٨ .
- ١١٦ - ذم الزنا = ياقوت ٢٧/٦
- ١١٧ - ذم العلم ومدحها = فاتح ٣٣٩٨ و ( م.ف.و.و ) ٥٠١/٥
- ١١٨ - ذم القواد = داماد ١٠/١٤٩ راجع صناعات القواد .
- ١١٩ - ذم اللواط = بغدادى ٩/١٦٢ منشور في هامر الاول ٣١-٤٠ . وفي ريشر ١٠٨ الح .
- ١٢٠ - ذم التبليذ = ياقوت ٢٧/٦ .
- ١٢١ - ذم الهراق = ياقوت ٢٨/٦ .
- ١٢٢ - ذم المرافقة = سندوبي ٧١ .
- ١٢٣ - ذم زور العاهات = ياقوت ٢٨/٦ .
- ١٢٤ - الرافضة = مجموعة ١٨١ . ولعله ذكر ما بين الزيدية والرافضة .
- ١٢٥ - الرجل والمرأة = حيوان ١٦١/١ .
- ١٢٦ - الرد على اصحاب الالهام = ياقوت ٢٦/٦ .
- ١٢٧ - الرد على الجهمية في الادراك = حيوان ٧/٥٠١ .
- ١٢٨ - الرد على العثمانيه = ياقوت ٢٦/٦ .
- ١٢٩ - الرد على القوليه = ياقوت ٢٨/٦ .
- ١٣٠ - الرد على المشبهه = حيوان ٢٢/٤/١ . ياقوت ٢٦/٦ .
- ١٣١ - الرد على من الحد = ياقوت ٢٧/٦ .
- ١٣٢ - الرد على من الحد في كتاب الله = سندوبي ١٣٣
- ١٣٣ - الرد على من رم ان الانسان جزء لا يستجزا = سندوبي ٧٨ .
- ١٣٤ - الرد على النصارى = ياقوت ٢٦/٦ منشور في هامر الثاني ١٤٨-٢١٩ وفي رسائل فنكل ١/٦٦ وفي ريشر ٤٠-٦٢ . ومخطوط في البريطاني باسم رد النصارى ١/١١٢٦ .

- ١٣٥ - الرد على اليهود - ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٣٦ - رسائل متعددة = حيوان ٢٢/٣/١ .
- ١٣٧ - الزرع والنخل = بيان ١٦٣/١ .
- ١٣٨ - الزرع<sup>نقطة</sup> والزيتون والأعشاب = حيوان ١٦/٢/١ .
- ١٣٩ - سحر البيان = زيدان ٢٥/١٦٨/٢ . مخطوط في كوبري ١٢٨٤ راجع (م. ١٠٩٠) ١٣٤/٧ .
- ١٤٠ - السلطان وأخلاق أهله = ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٤١ - سلوة الحريف بمفاخرة الريح والخريف = منشور بحلب .
- ١٤٢ - الشارب والمشروب = ياقوت ٧٦/٦ . ملحق البريطاني ٢٨/١١٢٩ . منشور في ثاني الكامل .
- ٢٥١-٢٦١ وفي رسائل السندوي ٢٧٦-٢٨٤ . وفي ريشر ١٦٣-١٦٨ .
- ١٤٣ - الشكر = صبح الاعشى ١٧٤/١٤-١٨١ .
- ١٤٤ - الشعوبية = بخار ٣٦٧ و ٣٧٤ . ولعلها تلحق لما جاء في البيان والتبيين الثالث .
- ١٤٥ - السرحاء والهجناء = مجموعته ٥٤ . حيوان ١٥/٢/١ . حيوان ١٢/١١٦/٣ .
- ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٤٦ - صناعات القواد = الخفاجي ٦٧ . منشور في الخفاجي ٦٧-٧٢ وفي رسائل السندوي .
- ٢٦٠-٢٦٦ وفي ريشر ٥٢٧ وما بعدها . بخصوصه راجع لغة العرب ٢١٤/٥ .
- ١٤٧ - صناعة الكلام = منشور في هامر الثاني ٢٣٨-٢٦٥ وفي ريشر ١٥٩-١٦٣ . قال بروكمن وتسمى أيضا في فضيلة - . وسماها المسعودي تفضيل - .
- ١٤٨ - صياغة الكلام = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٤٩ - الصوالج = ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٥٠ - الطب = فهرست ٢٤/٣٠٠ .
- ١٥١ - الطبائع = ياقوت ١٥/٩/٥ .
- ١٥٢ - طبائع الحيوان = بغدادى ١٦٢ .
- ١٥٣ - طبقات المغنين = زيدان ٦/١٦٩/٢ . ملحق البريطاني ٥/١١٢٩ منشور في أول الكامل .
- ١٢٠-١٣٠ وفي المجموعة ١٨٦-١٩٠ . وفي ريشر ٢٠٤-٢٠٦ .
- ١٥٤ - الطنيليين = مروج ١٠/٣٤/٨ . ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٥٥ - العالم والجاهل = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١٥٦ - العباسية = حيوان ١٤/٦/١ . منشورة في رسائل السندوي ٣٠٠-٣٠٣ . يقول

- ١٥٧ - العبر والاعتبار = ملحق البريطاني ١٨٤ .
- ١٥٨ - العثمانية = مروج ٠٨/٥٦/٦ منشورة في رسائل المسندوي ١٣/١ . راجع سندوي ١٣٤
- ١٥٩ - العداوة والحسد = نشرها كراوس ١٢٤-٩٩ . وطُبعت في لايدن .
- ١٦٠ - العرافة والزجر على مذهب الفرس = زيدان ٢/١٦٩/٢ . مطبوعة في لايدن سنة ١٢١٠
- ١٦١ - العرب والعجم = حيوان ٣/٣/١ .
- ١٦٢ - العرب والموالي = حيوان ١/٣/١ .
- ١٦٣ - العرجان = بيان ٤٢/٣ .
- ١٦٤ - العرجان والبرصان = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٦٥ - العرجان والبرصان والقرعان = بغية السيوطي ص ٣٩٥/٢
- ١٦٦ - العرض والعروس = سندوي ١٢٩
- ١٦٧ - العشق والنساء = ملحق البريطاني ٦/١١٢٩ منشورة في المجموعة ١٦١-١٦٩ .
- وفي هامش الثاني ٣٠-١٦٦ . وفي رسائل المسندوي ٢٦٦-٢٧٥ ويشر ١٨٨-١٩٤ .
- ١٦٨ - عصام العريد = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٦٩ - العقو والصنع = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١٧٠ - عمروا ( نيمن يسمى من الشعراء - ) = ياقوت ٧٨/٦ . ينسك بوكمن فيما اذا كان هو نفس كتاب محمد بن داود الجراح ص ٢٢٥ .
- ١٧١ - عناصر الادب = سندوي ٩٨ .
- ١٧٢ - غش الصناعات = حيوان ١٠/٢/١ . ياقوت ٧٨/٦ . بغدادى ٩/١٦٢ .
- ١٧٣ - الغيرة - حيوان ١٤/٢/١ .
- ١٧٤ - الغتيا = ياقوت ٧٦/٦ . بغدادى ١٦٢
- ١٧٥ - الغنيان = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٧٦ - فخر السودان والبيضان = داماد ٥/١٤٩ . الموصل ٦/٢٦٥ . منشور في المجموعة ٨٢-١٤٧ . ومثلث فلوتن ٨٦-١٥٧ ويشر ٢١٠-٢١٢ .
- ١٧٧ - فخر هاشم وعبد شمس = سندوي ١٠٢ .
- ١٧٨ - الفخر بين عبد شمس ومخزوم = ياقوت ٧٦/٦ . راجع سندوي ١٠١ .
- ١٧٩ - فخر الفحطانية والمدنانية = ياقوت ٧٦/٦ . سماها في المجموعة ص = ٨١ فخر عدنان على فحطان .

- ١٨٠ - فوط جهل يعقوب بن اسحق الكندي = ياقوت ٧٨/٦ :
- ١٨١ - الفرس على الهملج = ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٨٢ - الفرق ما بين النبي والمتنبي = حيوان ٨/٥/١ . سماها ياقوت النبي والمتنبي ٧٦/٦ .
- ١٨٣ - الفرق في اللغة = قروان فاسر ١٢٦١ . مجلة المعارف ٥٢/١٤ .
- ١٨٤ - الفرق ما بين الجن والانس = حيوان ١٨٧٣/١ .
- ١٨٥ - الفرق ما بين الحيل والمخارق = حيوان ٥/٥/١ .
- ١٨٦ - الفرق ما بين الذكور والاناث = حيوان ١٥/٢/١ .
- ١٨٧ - الفرق ما بين الملائكة والجن = حيوان ١٨/٣/١ .
- ١٨٨ - فضل اتخاذ الكتاب = سندوبي ١٠٧ .
- ١٨٩ - الفضل ما بين المداوة والحسد = موصل ٨/٢٦٥ . ولعلها المداوة والحسد .
- ١٩٠ - فضل الفرس = ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٩١ - فضل الفرس على الهملج = سندوبي ١١٠ .
- ١٩٢ - فضل العلم - ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٩٣ - فضل الموالي على العرب = عقد ج ثاني ٢٥/٧٤/٢ . وخدادى ٢/١٦٢ .
- ١٩٤ - فضل هاشم على عبد شمس = منشور في رسائل السندوبي . ١١٦-٦٧ .
- ١٩٥ - فضيلة المعتزلة = ياقوت ٧٦/٦ . قال السندوبي وهو الذى رد عليه ابن الرواندى بكتاب فضيحة المعتزلة ص ١١٩ . وقد ذكره ايضا الخياط في الانتصار ٦/١٦٤ .
- ١٩٦ - فضيلة الكلام = فهرست ٢٤/٣٠٠ . نامة لازي ديوان حيدرآباد .
- ١٩٧ - فضيلة صناعة الكلام = ملحق البريطاني ٢٣/١١٢٩ .
- ١٩٨ - فنون شتى مستحسنة = داماد زادى ١٢٥/٨٥ .
- ١٩٩ - القحاب والكلاب واللاطه = بخدادى ١٢/١٦٢ .
- ٢٠٠ - القحطانية والعدنانية في الرد على القحطانية = حيوان ٢٣/٢/١ . وخدادى ١/١٦٢ .
- ٢٠١ - القضاة والولاة = ياقوت ٧٨/٦ .
- ٢٠٢ - القلم ياقوت ٧٧/٦ .
- ٢٠٣ - القواد = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٢٠٤ - القواد واسباب الصناعات = سندوبي ١٣٩ .
- ٢٠٥ - القول في البغال ومنافعها = داماد ابراهيم ١٦/٩٤٩ . والموصل ١٤/٢٦٥ .

- ٢٠٦ - القيان = داماد ابراهيم ١٤/١٤٩ منشورة في رسائل فنكل ٥٣-٧٥ . ريشتر ٧٨-١٠٠
- ٢٠٧ - الكبير المستحسن والمستفيع = سندوبي ١١٩ .
- ٢٠٨ - كتمان السر = ياقوت = ٢٢/٦ .
- ٢٠٩ - كتمان السر وحفظ اللسان = داماد ٣/١٤٩ والموصل ٤/٢٦٥ . منشورة في كراوس
- ٢١٠ - الكرم = ياقوت ٢٨/٦ . راجع لغة العرب جليبي ٨ سنة ١٩٣٠ . بروكلمن ٤٣ .
- ٢١١ - الكيمياء = ياقوت ٢٨/٦ .
- ٢١٢ - اللاشي والمناشي = سندوبي ١٤٩ .
- ٢١٣ - اللصوص = ياقوت ٢٦/٦ . بلدانه ٢١/٢٣١/٤ . ويغدادى ١٦٢ .
- ٢١٤ - مئة امثال علي = برلين ٧/٨٨٥٦ . ثم برلين ٧/٨٢٥٧ يقول بروكلمن انه طبع في صيدا سنة ١٣٤١ . وانه املاه في اواخر ايامه لتلميذه احمد بن زاهر . وان محمد بن عبد الرشيد نقله للفرسية .
- ٢١٥ - ما بين الرجال والنساء = حيوان ٢٠/٢/١ .
- ٢١٦ - ما بين الخووله والعمومه = حيوان ١٩/٢/١ .
- ٢١٧ - الحاسن والاضداد = منشور في مصر واروبا .
- ٢١٨ - المخاطبات في التوحيد = ياقوت ٢٦/٦ .
- ٢١٩ - المختار من كلام ابي عثمان = برلين ٥٠٣٢ .
- ٢٢٠ - مدح التجارة ودم اعمال السلطان = ملحق البريطاني ٢٤/١١٢١ . منشور في هامش الثاني ٢٤٦-٢٥٠ . وفي المجموعة ١٥٥-١٦١ . وفي ريشتر ١٨٦-١٨٨ .
- ٢٢١ - مدح الكتاب = ياقوت ٢٨/٦ . اشك في التتبع
- ٢٢٢ - مدح الكتب والحض على جمعها = عاشر افندى ٧/١٤٤/٥ راجع المجلة الاسيوية الالمانية ج ٢٨٩ ص ٣٨٩ ثم راجع صفحة ١٤٤ من بروكلمن نكرة ٧ .
- ٢٢٣ - مدح النبذ = ياقوت ٢٢/٦ .
- ٢٢٤ - مدح النبذ وصفة اصحابه = بريخاني ٤/١٢٢٩ . قال بروكلمان انها رسالة الى الحسن بن وهب وانها منشورة في اول الكامل ٩٧-١٢٠ وفي رسائل السندوبي ٢٨٥-٢٩١ . وفي ريشتر ١١١ وما بعدها .
- ٢٢٥ - مدح الرواق = ياقوت ٢٨/٦ .
- ٢٢٦ - المزاج والجد = ياقوت ٢٢/٦ .

- ٢٢٧ - المسائل ( كتاب ) = بخلاء ٦/١٠ . حيوان ١/٥/١ .
- ٢٢٨ - المسائل في القرآن = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٢٢٩ - مسائل القرآن = فهرست ١٤/٣٨ .
- ٢٣٠ - مسائل العثمانية = مروج ٦/٥٢/٦ .
- ٢٣١ - مسائل المعرفة = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٢٣٢ - مسائل وجوبات في المعرفة = ملحق البريطاني ١١/١١٢٩ .
- ٢٣٣ - المضحك بغدادى ١٥/١٥٨ . اللهم
- ٢٣٤ - المعاد والمعاش = ياقوت ٧٧/٦ . خطوط في ملحق البريطاني ١٢/١١٢٩ وفي داماد ٤/٩٤٩ . وفي الموصل ٥/٢٦٥ . نشرها بول كراوس في مجموعته .
- ٢٣٥ - المعادن وباقى جواهر الارض = حيوان ١٤/٣/١ .
- ٢٣٦ - معارضة الزيدية = حيوان ٢/٥/١ .
- ٢٣٧ - المعارف = بغدادى ٩/١٣٣ .
- ٢٣٨ - المعرفة = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٢٣٩ - المعلمين = ياقوت ٧٦/٦ . ملحق البريطاني ٢/١١٢٩ . منشورة في هامش الاول ١٢-٣٢ . ورششر ١٠١-١٠٨ بحث عنه الاستاذ هرنسفيلد في الدراسات الشرقية لذكرى براون . ص ٢٠٠ وما بعدها ومنها مخطوطة اخرى في الموصل ١٢/٢٦٥ .
- ٢٤٠ - المغنين = ياقوت ٧٨/٦ .
- ٢٤١ - المغنين والفناء والصنعة = ياقوت ٧٢/٦ .
- ٢٤٢ - مفاخرة الجوارى = داماد ١٣/٩٤٩ .
- ٢٤٣ - مفاخرة الغلمان والجوارى = موصل ١١/٢٦٥ /ملاحظة/ اللهم
- ٢٤٤ - مفاخرة السودان والحرمان = حيوان ١٨/٢/١ .
- ٢٤٥ - مفاخرة السودان والبيضان = ياقوت ٧٧/٦ .
- ٢٤٦ - مفاخرة القحطانية/السكانية وسائر العدنانية = بغدادى ١٦٢ . في المجموعة سماها الجاحظ نفسه مفاخر القحطانية . ص ٨١ .
- ٢٤٧ - مفاخرة المسك والرماد = سندوي ١٤١ .
- ٢٤٨ - مقالة الزيدية والرافضة = ملحق البريطاني ٢٣/١١٢٩ . منشورة في هامش الثاني ٢٩١-٣٠١ .

- ٢٤٩ - مقالة العثمانية = ابن كتيبه ٧ وما بعدها . مخطوط في الملحق البريطاني ١٠/١١٢٩  
وفي كوبرلي زاده ٨١٥ . لخصها السندوبي في رسائله ١-١٢ . ورد عليها ابو جعفر  
الاسكاني راجع المجلة الاسيوية الالمانية ٢٨/٢٩١ راجع ايضا مجلة اسلاميك .
- ٢٥٠ - ٣٦/١٨ . قال بروكمن - سميت كذلك لانه دافع فيها عن موقف العثمانيين في الامامة  
المكاتبه ( رسالة الى ابراهيم بن المدبر- ) = ياقوت ٦/٧٦ .
- ٢٥١ - المكابد = زيدان ٢/١٦٨/٢٣ .
- ٢٥٢ - الملح والطرف = حيوان ١/١١٧٢ .
- ٢٥٣ - الملوك والامم السالفة والباقية = ياقوت ٦/٧٨ .
- ٢٥٤ - من ابي وجوب الامامة = حيوان ١/١٤/٦ .
- ٢٥٥ - مناقب جند الخلافة = ياقوت ٦/٧٦ .
- ٢٥٦ - مناقب الترك وهامة جند الخلافة = ملحق البريطاني ٧/١١٢٩ داماد ٧/٩٤٩ باريس  
٦٠١٨ موصل ٢/٢٦٤ منشورة في فولتن ١-٥٦ . وفي المجموعة ٢-٥٤ وفي هامش  
الثاني ١٦٦-٢٧٥ . وفي ريشر ٢٠٧-٢١٠ .
- ٢٥٧ - الموالي = العقد الفريد ٣/٢٦٩/١ .
- ٢٥٨ - الموالي والعرب = العقد الفريد ٢/٩٢/٨ .
- ٢٥٩ - موت ابي حنبل الصنفار البصري = ياقوت ٦/٧٨ .
- ٢٦٠ - المودة والخليفة = ملحق البريطاني ١١/١١٢٩ منشورة في رسائل السندوبي ٣٠٣-١٠ .
- ٢٦١ - الميراث = ياقوت ٦/٧٨ .
- ٢٦٢ - النابتة = كرد ٣٦٠ مخطوطة في داماد ١١/٩٤٩ . طبعتها فولتن . ومن اجلها راجع  
هوتسمن في ( ز . ا . ج ) ٢٦ ص ١٨٦ راجع مقال رتر في مجلة اسلاميك  
مج ١٨ ص ٣٦ . راجع كذلك داود جليبي في لغة العرب ج ٨ سنة ١٩٣٠ . راجع كذلك  
فولتن في مجموعة المؤتمر الحادي عشر للمستشرقين الدولي في القسم الثالث ص ١٥٥ .
- ٢٦٣ - الناشي والمتلاشي = ياقوت ٦/٧٧ .
- ٢٦٤ - النبيل والتنبيل = ودم الكبير = ملحق البريطاني ١٨/١١٢٩ منشورة في هامش الثاني  
بين ١٨٤-١٩٩ .
- ٢٦٥ - النبي والمتنبي = ياقوت ٦/٧٦ .
- ٢٦٦ - النبيذ = كرد علي ٣٨٠ .



- ٢٦٧ - النرد والشطرنج = ياقوت ٢٨/٦ .
- ٢٦٨ - النساء = ياقوت ٢٥/٦ . ملحق البريطاني ٥/١١٢٩ .
- ٢٦٩ - النصراني واليهودي = حيوان ٣/٥/١ .
- ٢٧٠ - نظم الفران = ياقوت ٢٦/٦ . فهرست ١/٣٨ .
- ٢٧١ - النعل = سندوبي ١٥٢ .
- ٢٧٢ - نفي النسب = داماد ١٤٩ راجع (م.ف.و.) ج ٥ ص ٥٢٩ مخطوطة اخرى موصل ٢/٢٦٥
- ٢٧٣ - نفي التشبيه = موصل ٦/٢٦٥ .
- ٢٧٤ - نفى الطب = فهرست ٢٤/٣٠٠ . ابن القفطي ١٨/٢٧٤ ابن ابي اصيبه<sup>١٧٩</sup> ١/٢٢/٢
- قال ابن القفطي ان الرازي نفذه وان الاصفهاني فعل مثل فعله .
- ٢٧٥ - نوادر الحسن = ياقوت ٢٦/٦ .
- ٢٧٦ - نوادر المعلمين = مستطرف الابشيهي ٣٣/٢٢٦/٢ .
- ٢٧٧ - النوايس بغدادى ١٠/١٦٢ .
- ٢٧٨ - الهاشميات (رسائل-) = حيوان ١/٤/١ .
- ٢٧٩ - الهدايا = ياقوت ٢٧/٦ . قال انه منحول .
- ٢٨٠ - وجوب الامامة = ياقوت ٢٦/٦ .
- ٢٨١ - وصف النبيذ وصف اصحابه = سندوبي ١٥٠ .
- ٢٨٢ - وصف العوام = الخفاجي ١٧٥ . منشورة في ريشر ٥٥٠ وما بعدها .
- ٢٨٣ - الوكلاء والمتوكلين = ياقوت ٢٦/٦ . ملحق البريطاني ١٤/١١٢٩ . منشورة في هامش
- الثاني ٢٢٠-٢٢٧ وفي المجموعة ١٧٠-١٧٣ . وفي ريشر ١٩٤-١٩٩ .
- ٢٨٤ - الوعد والوعيد = حيوان ٢/٥/١ . سماه ياقوت الوعيد فقط ٢٦/٦ .
- ٢٨٥ - البيتيمه = السندوبي نقلا عن طراز الخفاجي ص ١٥٩ .

## - المقالة الثانية - تحقيق ني تعداد كتبه -

لقد اختلف المهتمون بالأمر اختلافاً بَيِّنًا في العدد الصحيح الذي خلفه الجاحظ من الكتب والرسائل . فابن سبط الجوزي في القرن السابع للهجرة قال = رأيت كتب الجاحظ على مرأى من أبي حنيفة النعمان وكان عددها يتجاوز الثلاثمائة . ثم تتالت الروايات على إثر هذه كل منها يؤيد مقدار تحقيق صاحبه . فکرد علي قال = ترك الجاحظ ٣٦٠ كتابا ، وأحمد زكي قال بل ترك ٣٥٠ ، وتنازل الأستاذ النشاشيبي الى ٣٥٠ ، في حين قر قرار بكلمان على ١٢٤ . أما السندوبي فلم تتسع ذمته العلمية لأكثر من ١٥٩ - أما نحن فلنا في الموضوع عدد آخر يختلف عن هؤلاء تمام الاختلاف سنراه عما قريب . وهكذا تختلف الأعداد بالاختلاف أصحابها ومقدار بعدهم أو قُربهم من التحقيق العلمي الصحيح .

ونعتقد ان السبب في كل هذا الاختلاف راجع الى اربع ظواهر -  
الاولى كتابته باسم غيره ، الثانية تسمية عدة كتب من كتبه باسماء مختلفة ،  
الثالثة كتابة غيره باسمه ، والرابعة ضياع عدد آخر من كتبه .

### - اولا الكتب التي كتبها باسم غيره -

هذه الظاهرة - نعني استفادة ناشئ ، وصغار الكتاب من اسماء من سبقوهم الى عالم الشهرة ودنيا المجد - كانت فاشية في صفوف ادباء العباسيين على العموم<sup>(١)</sup> . وقد عُولِت كثيرا أيام النزاع بين المرويين والشموبيين . ولا تزال مُتَّبَعَةً فعالة حتى يومنا هذا . وآخر ما اذكر عنها ما قرأته مؤخرًا في المكشوف من ان كاتبين شهيرين من كتاب العصر الحاضر لم يشتهرا الا باسمين قديمين .

على كل استغل الجاحظ - وخصوصا في مطلع حياته الادبية - هذه الظاهرة وراح يؤلف الكتب في شتى الاغراض وينحلها امثال ابن المقفع وسهل بن هرون والخليل بن احمد وغيرهم . وقد اشار الى هذا هو بنفسه في

الادب

الادب... فاعلم باسمه... بتواضع المقتر...  
الحيوان حيث قال = وايد ذات الرواية السمودي في تنبيه الاشراف حيث  
نقلها معلقا عليها بالايجاب .

اما ما هي تلك الكتب التي كتبها باسم غيره ، والتي لا بد وان  
تكون قد سقطت من القوائم التي جُمِعتْ باسماء كتبه ، والتي يجب على الباحث  
المدقق ان يعرفها ويضيفها الى تلك القوائم تقريبا من الحق - فمن الصعب  
جدا معرفتها . والسبب من ذلك هو ان الكتب التي خَلَّفَهَا هؤلاء الناس اولا  
قليلة وثانيا معروفة وثالثا لا سبيل للشك في صحتها . ولهذا نعود لنقول  
تفسيرا وتوضيحا لما قال الجاحظ = ان تلك الكتب المنسوبة الى غيره ملها اشار  
اليهم لا بد وان تكون قد ضاعت مع الكثير غيرها مما قد ضاع .

- ثانيا - الكتب المفردة ذات الاسماء المتعددة -

----- x-x-x-x-x-x-x -----

وهذه ظاهرة ثانية عطلت عقلها في تشويش الافكار واضطراب  
الارقام التي اوردت حصراً الكتب الجاحظ . وهي ظاهرة كانت معروفة في عصره  
ومتبعة فيها بعده أيضا . ولعل للسهوة تارة وحسب الاختصار اخرى او تسمية الكتب  
باهم موضوع فيها ( وهذا الموضوع يختلف طبعا حسب راي القارى ) بالاضافة الى  
عوامل التصحيف والتجريف وتبديل اماكن الكلمات واستعمال حرف بدل حرف او كلمة  
بدل كلمة او زيادة كلمة او تنقيص كلمة او الاهتمام بمعنى العنوان دون التقيد  
بنصه او غيرها كثير دخلا في الموضوع كما سنرى . ويهملنا هنا تصفية حساب  
هذه التشويشات ومعرفة اسماء الكتب كما هي أو على الاقل كما يجب  
ان تكون . لنكون على بينة من حقيقة الامر .

ولكن يحسن بنا قبل البدء - أن نشير الى أن هذه الظاهرة لم  
تلعب في كتب الجاحظ وحدها وانما لعبت في غيرها كثير . ويكفي ان نورد مثالين  
نقط اولهما كتاب ياقوت = فقد ورد باسم "ارشاد الاديب" "لمعرفة الاديب" . وورد  
ايضا باسم "معجم الادباء" وورد ايضا باسم "طبقات الادباء" وكذلك باسم "معجم ياقوت" .

وبما ان ياقوت لم يترك كتاب واحد بخصوص الادباء - لذا لزم ان تتناقص عن كل هذه التسميات المختلفة ، وتأخذ بالجوهر الاصيل فنقول ان لياقوت كتابا واحدا فقط موضوعه كذا وكذا . وثانيهما القرآن الذي لم يصل من هذه التغييرات الطارئة . فالقرآن يعرف اولا "بالقرآن" وثانيا "بالفرقان" وثالثا "بالصحف" ورابعا "بالكتاب الكريم" . وبغيرها كثير يعرفه مشايخ الازهر أكثر من معرفتي .

نعود الان لنرى ما هي الكتب المفردة التي عرفت باسماء متعددة لتبحث اولا في ما هية الاسم المفرد . وثانيا لماذا لا تقبل غيره . وأخيرا نجعل ونطرح لنقف على الصافي بخصوص هذه المشكلة .

عقد / ٢٥ / ٣٠ / سندوبي x x زيدان وكوپرلي - برلين  
١ - الادب ، عناصر الادب ، البيان والتبيين ، سحر البيان ، المختار من كلام ابي عثمان الجاحظ

من هذا العرض السريع لهذه الاسماء نستنتج : اولا . أن المادة التي يدور عليها الجميع هي <sup>الادب</sup> ثانيا - أن بعضها ذكر ذكراً وليس له مخطوطات في حين أن الثانية لها مخطوطات وليس لها ذكر .

وأخيرا أن هناك واحدا له ذكر وله مخطوطات وهو معروف مشهور ويمكن ان يحويها جميعا . لذا نبيل الى قول بان هذه جميعها اسماء متفرعة عن "البيان والتبيين" الذي مداره الادب وما اليه .  
"اما عناصر الادب" فلم يرد له ذكر الا في السندوبي . والسندوبي طبعا لا يمكن اعتماده ما دام محدثا وما دام لم يذكر مصادر لهذه التسمية .

في حين ان "المختار" له مخطوطة في برلين ولكنه لم يذكر في المصادر . واخيرا لم يعودنا الجاحظ أن يجمع مجموعات من كلامه وينشرها في كتاب خاص . ولهذا نقول إننا نشك في أصالة المخطوطة ونبيل الى انها من وضع المتأخرين .

واخيرا نُنهي بقولنا إن كل هذه الاسماء ما هي الا اسماء لوحيد موضوعه "الادب" . وبما ان "البيان" فيه كل محتوياتها - لذا نقول انها اسماء متعددة للبيان والتبيين .

ملحق ومطبوع مرتين - ياقوت - حيوان - ياقوت — ملحق  
٢ - استحقاق الامامة - وجوب الامامة - مَنْ أبى وجوب الامامة - الدلالة على ان الامامة فرض - جوابات  
في الامامة

نظرة بسيطة الى هذه الاسماء ترينا -

اولا - أن الرجل أُلّف في الامامة .

ثانيا - ان تأليفه فيها اتخذ صيغة المجادلة . نبرهن اولا على انها حقة وفند - ثانيا  
اراء من انكروها . واخيرا أجاب على اسئلة لا بد وان تكون قد وردت عليه  
بخصوصها .

من هذا نرى أن الاول والثاني والثالث والرابع لا بد وان تكون <sup>مسماة</sup> ~~مكتبة~~  
لكتاب واحد هو هذا الذي بقيت مخطوطة في المتحف البريطاني . اما لثالثا .  
فاولا لما مر وثانيا لأن الجاحظ نفسه ذكر واحدا منها في حين عدّد فيقول « ياقوت  
انين . وياقوت ليس بالذي نؤمن به على المسمى لانه غلط في هذا كما سنرى .

في حين ان الرابع لم يرد له ذكر . إنما بقيت منه المخطوطة . واخيرا  
لان رسالة "الامامة" نشرت مرتين في هامش الثاني من الكامل بين ٢١٢ - ٢٢٠ -  
٢٦٦٩ - ٢٦١١ وقاروها لا يستطيع الا ان يقول إنهما كتاب واحد .

بقي الأخير اى "الجوابات" وامره مشكوك فيه . فنحن اذا اخذنا  
بعين الاعتبار طريقة الجاحظ في التأليف وخصوصا فيما يتعلق بالدين حيث  
يستخدم "الكلام" كثيرا - فيورد اقوال اعدائه واسئلتهم اولا لم يحاول ان يرد  
عليهم ثانيا ثم يسألهم ليعجزهم ثالثا كما كان امره في الرد على النصارى وفي  
الشارب والمشروب - لم نجد بندا من ان نقول : ان الكتاب الاخير ليس  
اكثر من صدر لهذا الكتاب الواحد في الامامة . اما اذا تخاضعنا عن السوانع  
المعروفة فالامر مشكوك فيه وجعله كتابا مفردا ارجح .

وعلى هذا تكون النتيجة عندنا ان هذه الكتب اسماء لكتاب واحد  
يبعث في الامامة .

ياقوت — تاج — ياقوت — كرد — — موصل

٢- الفتيان ، اخلاق الفتيان ، اخلاق الشطار ، تهذيب الاخلاق . الاخلاق المحموده والمذمومة

هذه مجموعة اخرى . اذا نظرنا الى مجموعها وجدنا اولاً - ان موضوعها "الاخلاق" سلباً وإيجاباً . ثانياً - ان واحداً منها بقية محفوظة في الموصل . واخيراً ان واحداً منها يعني اخلاق "الفتيان" ذكره التاج ( والتاج بذاته لم تثبت اصالته ) . وأن شيئاً آخر يعني "تهذيب الاخلاق" لم يذكره الا كرد علي ( وكرد مع قيمته العملية الا ان انعدام المصادر العملية والاضلاط الاخرى التي وقع فيها في بحونه عن الجاحظ لا تحملنا على الاطمئنان الى اقراره على نسبة هذه الكتاب ) . بقي الاول والثالث . اما الأول ففي "الفتيان" واما الثاني ففي "الشطار" وما اظن الكاتب قصد منهما شيئاً مختلفاً قط ، خصوصاً وهو يكتب عن الاخلاق المحموده والمذمومة . وعلى هذا تكون النتيجة ان الجميع اسماً ، لمعنى واحد نيل الى القول بانه " الاخلاق المحموده والاخلاق المذمومة " لانه ادل على المعنى المقصود من المادة لا لانها نمتد على مصدر علي موثق به .

نهرس العقد : ياقوت - ٢٢٧/٦ ياقوت ٢٦٦/٦ زبدان — سندوبي ١٥٢ ياقوت ٣٧/٦  
١- التاج - جهمرة الطوك - اخلاق الطوك - تنبيه الطوك - تنبيه الطوك والمكاييد . المكاييد . السلطان  
واخلاق اهله

وفي هذه الجهمرة ماذا نرى . . نرى اولاً - انها تدور حول السلطان واخلاقه . اي هي من نوع الادب "البلاطي" . فهل نضك في صحتها كلها ونغذف بجهمرتها عرض الحائط . كلا . فهذا غير صحيح لان الجاحظ عاش مع السلطان وكان مقرباً من الخلفاء مثل المأمون والمعتمد - ولعوانهم مثل الزيات وابن ابي داود . لذا فباستطاعتنا ان يكتب عنهم وان ينصح لهم . ورسالة المعاد والمعاني لاحد ابن ابي داود التي لا يتطرق شك الى صحتها دليل قوى على ما نقول . ولهذا نقبل ان يكون قد كتب في السلطان مبدئياً . لكن ، بكل حيطة وحذر . لانه لم يمشى بهم طويلاً ولا قُرب من الخلفاء كثيراً ولم يسمع ببني ساسان الا من بعيد .

اما التاج فاننا نرفعه رضا باتا كما سيجي عند الكلام على الكتب  
النسوية ، هذا بالاضافة الى ان واحدا من المصادر القديمة لم يذكره انما كان  
اول ذكر له بقلم "شفيح" مفهرس العقد الفريد <sup>الذي</sup> حيث اشار الى صحة نسبته .  
ونحن مع احترامنا للسيد شفيح نقول ان قبول هذه النسبة من الصعب  
ما لم تدعمها المصادر الاصلية او على الاقل البراهين الجلية .

والان نتقل للنالت والرابع والخامس والسادس لنقول اننا نرى فيها  
اكثر من اسماء مختلفة لسي واحد حول الملوك . تارة اختُصِر فيها وتارة  
اقتُطِع منها وثالثة جُمِعت كاملة . هذا بالاضافة الى شكنا في اصلتها لان  
الاول كما نرى مصدره زيدان والثاني السنديوي والثالث زيدان من المحدثين .  
ولا مخطوطات . بعد هذا نتقل للثاني من السلسلة فنشتم من تسميته انه في  
التاريخ الا اذا كان الاسم مضللا وهو في الحق مكتوب في الاخلاق . اما  
الاخير من السلسلة فهو الصريح اذ يجمع بين الخلق والتاريخ . ولهذا  
نقول ان الاحسن ان نطلق الاخير عليها جميعا اولا لدلالة اسمه على موضوعاتها  
وثانياً لانه يتسع الموضوع الثاني اذا كان تاريخياً . وعلى كل فنحن لا نرى في  
هذه المجموعة اكر من كتاب واحد " في اخلاق السلطان " ان لم يكن كتابين  
ثانيتها في تاريخه .

مروح ياقوت حيوان ياقوت مدائي  
هـ البخله . احتجاج البخله . فوط جهل الكدى . واطمة العرب .

يَخَصُّ النظر عن المصادر ومن وحدة دلالة التسمية خصوصا بين  
الاول والثاني نقول دون اى شك ان هذه كلها اسماء لكتاب واحد لا ثاني  
له هو كتاب البخله المعروف . اما الثاني بمعنى " احتجاج البخله " فليس اكر  
من تسمية الكتاب بمنصر بارز فيه وهو دفاع البخله عن مذهبهم ما اشار اليه  
الجاحظ نفسه في اول الكتاب . في حين ان الثاني ليس اكر من فصل خاص منه  
يدور على بخل الكدى ومدون بين صفحتي — من طبعة دمشق . اما  
الاخير فهو الفصل الاخير في اطعمة العرب الذي راى الجاحظ ان من الضروري اضافته

تتمة للبحث وهو يقع بين صفحتي — من ذات الطبعة .

وعلى هذا نجد ان ذات الكتاب سُيِّ تارةً بغير بارز فيه هو احتياج البخلاء وتارةً باحد فصوله مثل جمل الكندي واخيراً بفصل مضاف مثل اطعمة العرب . فالي مثل هذه التشويشات يجب ان ننتبه دائماً عند حل مشاكل تسمية كتب الرجل .

ياقوت — ملحق — سندوبي — سمودي —

٦ — البلدان — الاوطان والبلدان — الامصار — الامار وعجائب البلدان .

لا شك في الامر ان الجاحظ كَتَبَ كتاباً في الجغرافيا جعل تركيزه فيه على عدد من البلدان . قال بروكلمان ان قسماً منه ضاع ولم يبق لنا منه الا ما في المخطوطة التي في المتحف البريطاني مما يدور حول الكوفة والطائف وبضعة مدن اخرى . كل هذا لا شك فيه . لكن ما اسم ذاك الكتاب من بين هاته . اما " الامصار " فاني لا اقبله لانه من محدث لم يؤيد بأصل . واما ما جاء به السمودي فما اظنه اكثر من حكاية شيء عن محتوياته المعجبة التي لا يمكن للجاحظ ان يتركها . في حين ان اضافة " الاوطان " لِسُقِ المخطوطة لم يَعدْ تَأْثِراً من كتابه الاخر في " الحنين " اي انها تسمية محدثة . وبعد هذا يبقى عندنا الاول الذي ذكره ياقوت اي البلدان . نحن لا نشك في ان الجميع اسماً لكتاب واحد . لكن ايها هو الاسم الصحيح . في هذا الشك . لكننا بعد الشك نرجح انه الاول فقط .

حيوان — الاخبار . ياقوت — سندوبي —  
٧ — الاخبار . كيف تصح . تصحيح الاخبار .

في هاته نقول لا اولا اننا لا نقبل الاخير لانه من وضع السمودي . وثانياً نضيف ان بروكلمان قال " ولعل هذه كلها اسماً لسق واحد " وبروكلمان وان كان لم يعط اسباباً الا ان دلائل التسمية كلها بجانبه .



هذا بالإضافة الى ان ما نقل من الكتاب في هامش الكامل الثاني وردت فيه كثيرا كلمات = الاخبار ، الاخبار وكيف تصح ، ثم تصحح الاخبار متبادلة في أماكنها ودلالاتها . ولهذا نقول إنها كلها عناوين لواحد هو "الاخبار" مثلا .

## بغدادى بيان ٨ - أ - الحيوان . طبائع الحيوان . الجوارح

أما الاول فمعروف انه له . في حين ان الشبهة تدور حول الثاني . أولا لان الذى اوردته كان البغدادى الذى حاول ان ينتقص من الجاحظ بإيراد أسماء كثيرة لكتبه في موقف التنقص منها . وكان هذا لحددها وثانيا ان هذا معروف بكونه نزعة حاول الجاحظ ان يوضحها في كتابه الحيوان لانه كتاب كامل . وعلى هذا تكون النتيجة أن كتاب "طبائع الحيوان" صفة بارزة لكتاب الحيوان وليس كتابا بعيته . وليس هذا بجديد فقد رأينا كيف سعى البخلاء باحتجاج البخلاء لبروز هذه الظاهرة فيه .

والان ننقل للجوارح . هذا الكتاب ذكره الجاحظ بنفسه في البيان وقال انه موجود في كتاب الحيوان . وعلى هذا تكون الجوارح قسم من الحيوان لا كتابا قائما بذاته .

— داماد      ياقوت      سندوبي .  
ب . القول في البغال ومنافعها . البغل . النمل .

أما الاخير فلا نقر به لان الوحيد الذى اوردته كان السندوبي . ولا نرى فيه أكثر من تصحيف للبغل . في حين ان الذى قبله اى البغل قال عنه ياقوت انه ملحق للحيوان وليس كتابا قائما بذاته بنفسه . وأما الاول فامر به بعد هذا واضح . اى اولا انه ليس مستقلا وإنما ملحق

حُويلَ في تسميته التبسط في الدلالة على مادته . ونرجو ان يُلاحَظَ أن التسمية مُحدّنة لان احدا لم يذكره بهذا الاسم انما أخذ ذلك من مخطوطه .  
والنتيجة تكون ان الكل اسما لكتاب واحد بقيت مخطوطة لنا منه .  
وان هذا الكتاب ملحق بكتاب الحيوان .

ياقوت - ملحق — ملحق — حيوان كرد  
ج - النساء . العشق والنساء . ما بين الرجال والنساء . فصل ما بين الذكور والانات

نبدأ بالاخير لنفرغ من حسابيه لاسباب صارت معروفة  
وننتقل لما قبله . فنقول ان الجاحظ في البيان قال عند الكلام عن اشياء  
اخرى - هذا موجود في كتاب ما بين الرجال والنساء من الحيوان .  
وعلى هذا فهو من الحيوان . اما الاول اى النساء فمادته <sup>التي</sup> تشير الى انه  
مقطعات مما ذكر عن النساء في الحيوان من حيث غرامهن وعشقهن وخفة  
عقولهن ولهذا لا نتوانى في ضمه للحيوان . ففي <sup>الكتاب</sup> الذي نشرني  
الجموعة . ونشر في هاضم الكامل الثاني ايضا . ومادته تدل اولا انه فعول  
مقطعة تارة في العشق ومراتبه واخرى <sup>في</sup> النساء وحبهن وثالثة في  
المفاضلة بينهن وبين الرجال . وعلى هذا فهو لم يخرج عن فعول من  
الاول والثالث جُمعت دون ترتيب . وعلى هذا ايضا لا نستطيع الا ان نقول  
انها كلها واحد وان هذا الواحد هو قسم من الحيوان لم يسم به من قبل .

سندوبي ياقوت عاشر ياقوت ياقوت  
د - فصل اخذ الكتاب . مدح الكتاب . مدح الكتاب والحض علي جميعها . القلم .

هنا اشياء طريفة غامضة نحس بان نجلوها . أما ان الجاحظ  
كَتَبَ بمدح الكتاب والكتب نما لا شك فيه . فهو فعل طويل استغرق  
صفحات كثيرة من الحيوان الاول . لكن الذي نشك فيه اولا ان تكون  
هناك كتب كثيرة في ذلك وثانيا ان تغاير هذه الكتب في مادتها ما جاء في  
الحيوان . فلننظر لنرى .

اما الاول فنهمله لانه من صنع السندوبي غير المؤيد. أما الثالث  
فلسوء الحظ لم نعرف كيف يَنْطِق . فان كان الكِتَابُ فهو ذاته فصلُ الحيوان .  
وان كان الكُتَّابُ فهو ، اما معارضة لكتابه الاخر في ذم اخلاق الكُتَّابِ أو كتابٌ غير  
جديد عن الكتائب . الا ان بروكلمان ولا نعرف كيف - هجاه - " كُتَّاب " .  
ولهذا تبقى الشبهة حوله . ننقل للنالت الذى لم يخرج في مادته عن  
الموضوع ~~لكن~~ بالرغم من انه لسوء الحظ لم يطبع بعد . لكننا سألنا  
شتراس فقال إنه هو ذاته الفصل الذى اوردته الجاحظ في الحيوان وبهذا  
اطمأن البال . اما الاخير فما لا شك فيه انه الذى تكلم عنه الجاحظ  
في الحيوان .

ومن هذا نرى اننا لثالث مرة امام مشكلة تسمية كتاب واحد باحد  
فصوله سواء كانت مُهِمة او غير مُهِمة . وعلى كل نخلص من هذا البحث  
بالنتيجة التالية وهي - ان هذه الكتب جميعها اسماء لفصل واحد من  
كتاب الحيوان الذى يدور حول الكتب ومدح الكتاب . الا اذا تَبَيَّنَتْ  
تهجئة الثاني بشكل الكُتَّابِ جَمْعاً لكتاب . فان المجموعة تتجلى عن  
كتابين لا واحد .

ومن هذا البحث الطويل نجد او بالاحرى نستنتج ان جميع ما  
مر ليس اكثر من سميات متعددة لكتاب واحد هو الحيوان . تارة  
بظاهرة لحي ، فيه وتارة بفصل ، وتارة بتغيير نقطة ، واخرى بتغيير في اسم ذاك  
الفصل . هذا ما توصلنا اليه وتحبب ان نلخصه في [ان ذات الكتاب (الحيوان)  
ورد على فلهك انه ١٥ كتاباً] وهذا يستدعي الانتباه ويتطلب الدقة المتزايدة في  
في البحث

ياقوت كرد ياقوت بريطاني وصفه اصحابه كرد  
١ - اثم السُّكْر ، النبىذ ، ذم النبىذ ، مدح النبىذ / وصف النبىذ وصفه اصحابه ، واخيرا الشارب  
والمشروب

لسوء الحظ لم يصل الينا من كل هاته الا قطعة نشرت في هامش

الكامل الثاني بعنوان = الشارب والمشروب واليك موادها = اولا فتعرض الى اثم السكر <sup>فَقَالَ</sup> ان الله حرم اشياء كثيرة مسكرة . ثم يقول لكن الله جعل لكل تحريم استثناء واستثناء السكر كان بالنبيذ . ثم اخذ في مدحه ذاته ثم في وصف انولمه واخيرا اخذ يتكلم عن صفه اصحابه من حيث اثره الجليل فيهم اذا قلّ واثره القبيح اذا كثر .

ومن هذا نرى اولا ان الرابع والسادس اى ذا المخطوطة وذا العنوان كتاب واحد . ثم نرى بعد اسقاط الاسم الذى اتانا به كرد ان جميع مدلولات الاسماء الاخرى محتواة فيما نشر تحت اسم الشارب والمشروب . وعلى هذا تكون جميع هاته اسماء لكتاب واحد <sup>لَا تَحْتَمِلُ</sup> تسميته بالشارب والمشروب لانه اعم . اذ تكلم الكاتب فيما وصل اليه عن صفه الشاربين وعن جميع انواع المشروبات لا عن النبيذ وحده ..

ياقوت بنية السبوطي ياقوت ~~البيبان~~ البيان

١٠- ذور العاهات . المرجان والبرصان والقرعان . المرجان والبرصان . والمرجان

ما لا شك فيه ان الرابع اختصار من الثالث . وان الثالث اختصار من الثاني وان الاول اسم لكل قُصِد منه الدلالة على محتويات الكتاب . والنتيجة هي ان الجاحظ الفكتابا في ذروي العاهات اتى على كثير منها وعند الاشارة اليه ما قام للتعميم واحب اخرون الاختصار في حين احب صاحب " البنية " مثلا ذكر اكبر عدد ممكن منها في العنوان . ومن هنا كان منشأ الاختلافات . ولوراجعت قول الجاحظ نفسه في البيان يشير اليه — لما خالجه اى شك فيما ذهبنا اليه من انها كلها لم تُعَدُّ كتابا واحدا ( في ذوي العاهات ) .

ياقوت سندوبي

١١- الرد على من ألحد . الرد على من الحد في كتاب الله

اورد الاول ياقوت واورد الثاني السندوبي . اما من اين انت ( في كتاب الله ) فلا نعرف الا انها زيادة من السندوبي تدل دلالة اوضح وتخصّص

## حيوان

بقاقت

یا قوت

## ملحق

رد النصاری .

هنا لنا وثيقة لا بد منها عند العنوان الاول . فانه من غير المعقول ان يُسعى الجاحظ كتابا بهذه التسمية العامة المبهمة . واختصار نقول انه لا بد من وجود كفة قبل ( على ) اطارها النساخ ونميل الى القول بانها لا بد وان تكون من جنس "الرد" لان اكرر موافقه مع هذين مواقف رد . وهى هذا يكون العنوان الاول هو - الرد على النصراني واليهودى . ومعه يكون من السهل علينا ان نفهم ان المؤلف يعرف ان التاليفين ليسا الا ذات الكتاب أُشير اليه مرتين مختلفتين باعتبار موضوعيه . واخيرا لننتقل للاخير هذا الذى بقيت منه مخطوطة التى نشرت في "ثلاث رسائل" لنلاحظ على مادتها ما يلي = اولاً انها فصول مختارة من رسالة كبيرة

ثانياً انه في هذه المختارات اولاً اورد ردود النصارى  
فانتهى العنوان الرابع. ثم رد عليها فانتهى العنوان ١ الثاني. ثم سأل اسئلة وانتهى بها جمة اليهود  
فسفرغ حساب العنوان الثالث. ومنتهى من كل هذا الى ان الجميع كتاب واحد في الرد على القومين .

یا قوت

وامام

وזהם اخلاق الكتاب

مما لا شك فيه ان <sup>التي</sup> رُفِيت مخطوطة ولم يذكر اسمه ، هو ذات الكتاب الذي ذُكر اسمه واختلص كل مخبر عن مخطوطة . وعلى هذا يكون الاسمين لمسمى واحد . هذا اذا صحت القراءة . اما اذا كانت تهجئة الاول "كِتَابُ" فاننا نضطر لان نعتبره كتابا جديدا كتبه الجاحظ معارضة للكاية الاخر الذي مر ذكره في مدح الكتاب والذي قلنا انه فصل من كتاب الحيوان .

یا قوت

444

بغدادی

66 18

باقوت

خفاص

سند وی

١٤ - ذم الزنا . ذم اللواط . ذم القحاب والكلاب . ذم القواد . صناعات القواد . القواد وأسباب  
الصناعات

اما الاول والثاني والثالث فتكاد تكون <sup>على</sup>أمر واحدتهما مفروغا منها . مثلها وحدة الرابع والخامس والسادس . لقد ظننا هذا وسكننا عن دمج الكل في واحد خوفا من نُطْقُ القواد . فاننا بادئ الامر ظنننا انه يعني الكلام على فن القيادة وما اليها وقلنا انه اتخذها نجا من ~~الخطوب~~ انواع طرق الكسب ولذا كتب فيها . لكننا عندما قرأنا الكتاب منشورا بها من الكامل الاول تحت اسم ذم اللواط ووجدنا القواد وصناعة القواد ثم قرأنا منشورا في طراز الخفائر وفي رسائل السندي تحت عنوان صناعات القواد ووجدنا ذات الشيء يتكرر وذات المعنى يتكرر لم يبق لدينا شك في ان الستة اسما ليست اكثر من مختلفات لكتاب واحد في الزنا وما اليه . <sup>والكلمة</sup>تكونه <sup>من</sup>القواد <sup>وليس</sup>منه <sup>لقيادة</sup> .

سندي      ياقوت      ياقوت  
١٥ - ذم الوراقه . ذم الوراق . الوراق .

الاول نُسْقِطُه لعدم كفاة سنده . في حين يبقى الثاني والثالث . ونحن نرى ماداما لم يُطَبِّعَا ولم يُنْسَقِ لهما مخطوطات انه يجوز - خصوصا ماداما لم يُشْكَلا - لنا ان نقول انهما كتاب واحد وان احدهما يتغير فنحن من الاول . او ان نبقىهما على حالهما ونقودهما اثنان مختلفان الواحد منهما كتب ضدا للاخر . وهذا غير غريب ولا بعيد عن الجاحظ . وتكون النتيجة ان هذه المجموعة انتهينا منها بكتاب واحد او باثنين .

سندي      كرو  
١٦ - التفاح . الاشجار .

كلا الروايتان ضعيفه . وعلى هذا نقول ان الرجل لم يكتب في النبات ابدا وان كان قد كتب فعن الأراك الذي زرعه في حديقة <sup>بم</sup>وتكلم عنه في الحيوان لا عن التفاح .

حيوان      ياقوت  
١٧ - اصحاب الالهام . الرد على اصحاب الالهام

كلا الروايين صحيحة وموثوقة. لكن الجاحظ اشتهر بحب الایجاز حتى في تسمية كهتبه . ولذا فنحن لا يساورنا الشك في ان الاسمين لمسى واحد اولهما اضبطهما . في حين قصد من ثانيهما بعض التدقيق . وامثال هذه الاختصارات كثيرة هذ مثلا الاحتجاج لنظم القرآن وكيف اورد الجاحظ .

ياقوت حيوان  
١٨ - الفتيا . اصول الفتيا والاحكام

هنا تنعكس الاية فالجاحظ يطوّل وياقوت يختصر .

زيدان مرجع ياقوت  
١٩ - بني امية امامة الروانية . امارة امير المؤمنين معاوية

اذا عرفنا ان الروانية هم بني امية واذا اضفنا ان معاوية هو رأس بني امية يسهل علينا ان نقبل القول بان هذه الثلاثة اسماء لواحد . ويؤكد هذا القول قول المسعودي ان الثالث ليس الا تسمية فرعية للثاني ويؤكد ايضا ما نشر في رسائل السندوبي بشكل فصول مختاره تحت عنوان (بني امية) وهو شواظ من نار صبه الكاتب على كل بني امية خصوصا معاوية والمروانيين فاتهمهم بكل تهمة وفضحهم في كل خطة ويّسّر جهد استطاعته عدم احييتهم بالخلافة وانهم اغتصبوها اغتصابا من ابي بكر وغيره من المستحقين .

مطبوعه ياقوت  
٢٠ - بيان مذاهب الشيعة . الامامة على مذهب الشيعة .

بالاضافة الى ان الاول لم يذكر في المصادر الاولى ، والاضافة الى ان اسميهما يدلان على وحدتهما ، نقول بالاضافة الى كل هذا فقد قرأنا قسما منها منشورا في "ثلاث رسائل" بشكل فصول مختارة . وآخر منشورا في هامش الكامل الذاتي بشكل فصول مختارة ايضا . فكانت النتيجة ان كثيرا من المختارات قد تكررت وان ذات الفكرة معادة . وهي تبين انواع الشيعة وقول كل منهم في الامامة . واخيرا لما ذا اتفقوا على امامة علي . وعلى هذا فنحن لا يدور

بخلدنا أى شك بخصوص ضرورة وحدة الكتابين .

## ٢١ - تفضيل الاعتزال على كل نحلة ( حيوان ) . فضيلة المعتزلة ( ياقوت ) .

مما لا شك فيه انهما واحد . وقد قال السندوبي ولعلهما واحد كتب بالاسم الثاني . وهو ذاته الذى رد عليه الراوندي بكتاب فضيحة المعتزلة . ونضيف نحن فنقول وهو الذى دافع عنه ( اى الجاحظ ) بسببه الخياط في ( الانتصار ) .

## ٢٢ - العرب والعجم ( حيوان ) . التسمية بين العرب والعجم ( ياقوت ) . العرب والفرس ( ياقوت ) .

### المرس والعروس ( كرد ) . فضل الفرس ( ياقوت ) .

اما الاول والثالث فمما لا شك فيه انهما واحد . واما الرابع فمما لا شك فيه انه تحريف لما قبله . بني " التسمية " و" فضل الفرس " . من الاول والثالث لا نفهم أراد الرجل /الم/ تفضيل العرب ام تفضيل العجم ام المساواة بينهما . فان كان تفضيل العرب ، فالثاني والاخير كتابان جديدان . وان كان تفضيل العجم فالثاني جديد في حين ينضم الاخير الى وحدة الاول والثالث . أما إن كان يريد التسمية فالاول والثاني كتاب . والاخير ثاني . وتكون " التسمية " كتابا ثالثا مستقلا . لكننا نميل ما دام ياقوت في الكتاب الاخير جلا الغامض الى القول بأنه يقصد تفضيل العجم . ولى هذا يسقط الرابع ويبقى لدينا الاول والثالث والاخير على انها كلها كتاب واحد بالاضافة الى " التسمية " على انه ثاني .

## ٢٣ - الموالي ( عقد ٣ ) . الموالي والعرب ( عقد ٢ ) . العرب والموالي ( حيوان ) . فضل الموالي على العرب ( بغداد )

ذات الشيء يقال في هذه المجموعة . فإما أن تكون جميعها كتابا واحدا او كتابين . ولا يمكن ان تكون اكثر . اما كتاب واحد ، فم عنوانه " في تفضيل الموالي على العرب " . واما اثنان فواحد هما " في علاقتهما " واثنيهما " في تفضيل الموالي " .

## ٢٤ - العبر والاعتبار ( ملحق ) . التفكير والاعتبار ( ياقوت ) . الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير ( مطبوع ) .

من هذا نرى ان اول من ذكر الكتاب ياقوت . وان مخطوطة موجودة . وانه مطبوع لوحده . لكن لنؤم الحظ وجدنا كل هذه تحت عناوين بعددها . ان من غير المعقول ان يكتب الرجل ثلاثة رسائل بذات الموضوع وتتفق المصادفات على ان واحدة منها يذكر اسمها وتضيق



مخطوطتها . وان ثانية توجد مخطوطتها لكنها لم تذكر . وان ثالثة طبعت لكنها لم تخط ولم تذكر . نقول ان القول ~~بالحل~~ بالراى الاخير بعيدٌ ومُعَقَّدٌ واتفاق ثلاثة عقلاء عليه غير معقول .

## ٢٥ - التمثيل ( ياقوت ) . الامثال ( ياقوت ) .

بالرغم من ان الاسمين وردا في ياقوت في جزء واحد وفي صفحة واحدة بل وفي سطرين متعاقبين ، نقول انهما لا يمكن ان يكونا كتابين مختلفين . لقد ضاعت مخطوطتهما ولم يبق منهما سوى اسميهما . في حين لم يشكل احد السلف عنهما بكلمة تُنير الطريق . ولذا <sup>من</sup> الصعب علينا ان نقول بخصوصهما جزءاً . وليس لدينا ما يعيننا على ذلك سوى الحدس والتخمين والمنطق الشكلي . لكن هذه ليست علمية . ولذا نقول : قد يجوز ان يكونا كتابين كما قد يجوز ان يكونا كتاباً واحداً . ونترك لاكتشافات المستقبل امر الحكم النهائي .

## ٢٦ - الجد والهزل ( مخطوط مطبوع ) . المنح والجد ( ياقوت ) .

اذا كنا وقفنا حَسِيرِيْ اُمام السابقين فاننا لن نغف امام هذين . فالمخطوطات الثلاثة التي لدينا كلها تشير الى التسمية الاولى . وهى هذا لا يسعنا الا ان نتهم ياقوت بعدم الدقة في ترتيب كلمات العنوان لاسيما وان هذه ليست اول مرة . والرسالة معروفة ومطبوعة طبعا انيضا وقد كتبها لابن الزيات .

## ٢٧ - الحجاب ( طراز ) . الحجاب وذمه ( سندوي ) . الحجاب ( سندوي ) .

كما نظن انه في هذا سيتكلم عن حجاب المرأة المسلمة لكنها قرأناه في "الطراز" فاذا به يتكلم عن حجاب الملوك رجال الدولة فعرّفنا البهم . وقد ذم الحجاب عامة وذكر من ذم به . وهى هذا نقول ان تسمية السندوي الاولى ليست سوى توضيح للمادة . ثم اخذنا نفتش لعله الف في "الحجاب" بمعنى الحُجَج او النساء اللواتي ذهبن للحج او ما يشابه ذلك . لكننا لم نجد سوى حُجج النبوة . ولذا عدنا نتهم السندوي بالتحريف وزيادة نقطة معكوسة على الحرف الاخير لا سيما وانه يقول ( هكذا قال الطراز ) والطراز لم يقل . وهى هذا تكون الثلاثة كتب كتاباً واحداً في الحجاب .

## ٢٨ - الحنين ( فهرس ) . الحنين الى الاوطان ( مطبوع ) .

كتاب واحد بلا شك . لان الاول ورد في الفهرست على انه لغير الجاحظ . يبقى الثاني المطبوع . هو كتاب بلا شك . شك في صحة نسبته السندي واما نحن فلنا في الموضوع رأى اخر سنبيهه في مكانه .

٢٩ - العثمانية (مروج) . مقالة العثمانية (ابن قتيبة) . ملحق . مطبوعه) . مسائل العثمانية (مروج) .

الرد على العثمانية (ياقوت) . حكاية سير قول العثمانية (حيوان) والضرارية .

اما الاول والثالث فقد اثبتتهما له وتكلم عنهما السعدي في موجه ثم عاد فنفاهما عنه . على كل لا يهنا هذا في هذا الصدر بقدر ما تهنا وحدتهما . اما بروكلمان فيقول ان الثاني سعي بهذا لانه دافع فيه عن نظر العثمانية في الامامة ضد وجهة نظر علي وجماعته فيها . وقد قرأنا المطبوع في رسائل السندي فوجدناه كما قال . بهذا يستفي بروكلمان مع السعدي مع ابن قتيبة مع ملحق البريطاني مع المطبوع في رسائل السندي . عليه يكون الاول والثاني والثالث اسما . لكتاب واحد . اما الرابع فنعتقد انه كتاب جديد عارض فيه الجاحظ اقواله فيما سبق . والدليل على هذا قول السعدي ( ثم عاد فنقض اقواله في الكتاب الاول) . اما الاخير فلا علم لنا بشيء عنه البتة . فعنوانه مبهم ومخطوطته مفقودة . ولم يأتنا عنه ائني فنسبته كتابا قائما بذاته او نضمه الى احد الكتابين السابقين . ولذا نقول ان هذه المجموعة تنفصح عن كتابين او ثلاثة . احدهما مع العثمانية . وثانيها ضدها . وثالثها نحن في حيرة من امره .

٣٠ - حكاية عثمان في اللصوص ووصاياه (مخطوط) . كتاب اللصوص (ياقوت) . حيل اللصوص (حيوان) .

حيل سراق الليل (بخلا) . حيل لصوص النهار (بخلا) .

مما لا شك فيه ان كل هذه عنوانين مختلفتين لمعنون واحد في اللصوص . والدليل على هذا وصف الجاحظ بذاته هذا المعنون في اول كتاب البخلا بقوله ( ذكرت حفظك الله انك قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل ) . مما يدل دلالة واضحة على ان الاسماء هذه ليست اكر من اوصاف مختلفة لنواحي متعددة من محتويات الكتاب . فقد تكلم عن اللصوص وقد استفاد من عثمان وقد أسهب في لصوص الليل وما لا شك فيه انه لم يَغفل عن لصوص النهار . وقد عثرنا على نفرة من هذا الكتاب جميلة سندونها عند وصف الكتاب . انما يهنا ان نلؤل ان الجاحظ لم يكتب سوى واحد في هذا الموضوع . وان وصفه

لكتبه ببعض فصولها أو ببعض مظاهرها لم يعد علينا جديدا .

### ٣١ - حكاية قول اصناف الزيدية (ياقوت) . ذكر ما بين الزيدية والرافضة (ياقوت) . مقالة الزيدية والرافضة

(ملحق - هامش) . معارضة الزيدية (حيوان) .

لا شك ان الثاني والثالث واحد . واذا ذكرنا ان الثالث مطبوع وان فيه حكاية اقوال الزيديين للدفاع عن مذهبهم ، عرفنا ان الثلاثة الاولى واحد . الا ان الشك يحرم حول الاخير . ونحن نميل الى القول بانه معارضة للسابقات على عادة الجاحظ . وعلى هذا فتتجلى هذه المجموعة عن اثنين فقط .

### ٣٢ - الحلية (ياقوت) . الحلية (سندوبي) . الحلية (سندوبي) .

مع اننا لم نتأكد من وجود واحد من هاته . الا اننا نفترض وجود الاول <sup>لولا</sup> ثم ضياعه مع جطة ما ضاع . لكن الثاني والثالث ، ما القول فيهما ؟ القول فيهما ما داما لم يُذكر من قبل انهما ليسا اكر من تصحيف ، إما من السندوبي وإما من نقل عنهم السندوبي ، واننا نأسف لان الرجل عند سرده كتب الجاحظ لم يذكر المصادر التي استعان بها فنستطيع الرجوع اليها والتحقق في صحة سرده . لكن ، اغراء النسخ بالقراءة في الاول والسماع في الثاني - يشجعاننا على الاخذ بما قلنا والقول بغلط السندوبي وتصحيفه لا سيما وان هذا ليس عليه بجديد . وعلى هذا بالاضافة الى اقتناعنا من ان الجاحظ لم يكتب في النباتات ( الحلية ) نقول انه لم يولد في هذا الا واحدا ضاع .

### ٣٣ - المعارف (بغدادى) . المعرفة (ياقوت) . مسائل المعرنة (ياقوت) . مسائل وجوابات في المعرنة (ملحق) .

المسائل ( بخلاء ) . فنون شتى مستحسنة (داماد) .

أما ان الاول والثاني والثالث واحد ، فلا شك عندنا في ذلك بعد كل ما خبرنا . يبقى الرابع الذى ذكره الجاحظ في البخلاء ومن ضو ما قال يلوح لنا ان ضمه الى الزمرة السابقة انرب للمعقول بالرغم من افتقارنا للمصادر الصريحة . بقي الخامس والاخير الذى وجدت مخطوطته في داماد . وهو في فنون شتى مستحسنة . ترى الا تكون هذه الفنون الشتى المستحسنة الوانا من المعرنة الواسعة الاطراف . قد تكون وقد لا تكون . بنا ميل لتوحيده مع سابقاته . لكن الحدس والتخمين لا يُعتمدان . ولذا نتركه وفي النفس شك من انفراد حتى يطبع .

٣٤ - خلق القران (حيوان ملحق) . المسائل في القران (ياقوت) . مسائل القران (فهرس) . آي القران (ياقوت) .

نظم القران (فهرس) . الاحتجاج لنظم القران (حيوان) . البلاغة والاعجاز وقيل الايجاز (ملحق) .

لقد آمن الجاحظ بخلق القران ودعى له . فلا عجب ان يكون قد كتب كتابا او كتباً وضح فيه أو فيها موقفه . ولهذا نقول إنه من الثابت الاكيد ان الرجل كتب بالعنوان الاول . لكن الشك في الثاني والثالث للذين يكاد لا يساورنا شك في وحدتهما من اول نظرة . ففي الرابع والخامس والسادس والسابع هاته التي نرى فيها واحدا ايضا . اما "الاحتجاج" فمطبوع وقرأناه في هامش الكامل الثاني . وفيه وردت تعابير "نظم القران" و"بلاغة القران" و"اعجاز القران" . وفيه ورد تحليل طريف وتعليق لطيف على جملة من آي القران . اذا ذكرنا هذا وذكرنا قول السندوبي عن الآي من حيث أن الجاحظ جمع فيه نخبة طريفة . وأضفنا الى هذا القول أحدهم انه من ادلة اعجاز القران ايمان الجاحظ به - تكون لدينا شبهة يقين بأن هذه الاربعة كلها اسماء لواحد . وتنتهي الأربعة عن كتابين او ثلاثة = الاول في خلقه . والثاني في مسائله . والثالث في اعجاز القران .

٣٥ - النبيل (ملحق) . النبيل والتنبيل وضم الكبير (سندوبي) . كبر المتبحر (سندوبي)

قرانا الاول مطبوعا فوجدناه يتكلم عن النبيل ويقول إن الطبيعي منه جميل لكن المتكلف رذيل لان النبيل لا يتنبل وكل تنبيل ادلالة على نقص او انعدام في نفس المتنبِّل . هذا بالاضافة الى مروره على الكبر وتفرقه الى نوعين = مستحسن ومستقبح . وكلامه على كل منهما في ذات الرسالة . وعلى هذا فالاسمين لكتاب واحد إنما كان الاسم الثاني من صنع السندوبي تائرا بفهم بارز من الموضوع . وهذا لم يعد غريبا علينا بعد كل ما راينا من الفوضى وعدم الدقة وما ضربنا عليه الامثال من قبل .

٣٦ - فخر القحطانية والمدنانية (المجموعة) . القحطانية والمدنانية في الرد على القحطانية (حيوان وبغدادى) .

مفاخرة القحطانية على الكنانية وسائر المدنانية (البغدادى) .

كلها ضاعت . ولكن كيف ضاعت . لست أدري . وليتها او ليت بعضها بقي لتعرف شيئا عنها يُفكِّنا من المقارنة بينها بالفعل . لكن ما الحيلة ! على كل يلوح ان الاول والثاني واحد ذكرهما الجاحظ نفسه . الاول في رسالة السودان والبيضان والثاني في الحيوان . في حين ان فرد البغدادى بالتالي مما يُعدُّ معارضة للكتاب السابق . ففي الاول تفخر المدنانية على القحطانية وفي الثاني تنعكس

الاية فتفخر القبطانية على العدنانية . وتكون النتيجة ان كتابي برزا من هذه المجموعة متناقضي الموضوع .

### ٣٧ - النبي والمتنبئ (ياقوت) . الفرق ما بين النبي والمتنبئ ( الحيوان ) .

مما لا شك فيه انهما واحد . فقد ذكره الجاحظ باسمه المطول عند تعداد كتبه واقف بضعة اسطر على مدحه والاشادة باهميته في حين راح ياقوت يسرد حكاية ابن الاخشاب كاملة مما يدل على مقدار علو قيمته .

### ٣٨ - كتبان السر ( ياقوت ) . كتمان السر وحفظ اللسان ( داماد ) .

لا يهنا اى الاسمين هو الاصيل بقدر ما يهنا الاشارة الى انهما اسمان لمسمى واحد . هو هذا الذى نشره كرواس والحاجرى في مجموعتهما التي حوت اربع رسائل للجاحظ . ولعل الثاني الذى عُنُون به المنشور في حين يكون الاول ليس اكر من اختصاره .

### ٣٩ - ما بين الملائكة والجن . فرق ما بين الملائكة والجن ( حيوان )

كتاب واحد لا شك بذلك . انما التغير نسخي بحذف او اضافة كلمة .

### ٤٠ - الزعر والنخل ( بيان ٣ ) . الزرع والنخل والزيتون والاعناب ( بيان ١ ) .

ذكرهما الجاحظ ونعتقد انهما واحد ورد اسمه منفصلا في البيان الاول . وعند الاشارة اليه في الثالث اكفى بما قلّ ودلّ .

### ٤١ - المغنين ( ياقوت ) . طبقات المغنين ( ملحق ومنشور ) . المغنين والغناء والصنعة ( ياقوت ) .

مما لا شك فيه ان كل هاته لمسمى واحد . والادلة على هذا ما يلي = اولاً انه لا يُعَقَل ان يكون العنوان منصوباً او مجروراً دون مسبب . ولذا يجب تقدير مسبب . واقرب مسبب هو اضافة " طبقات " قبل " المغنين " . ناذنا كان ذلك وجدنا ان الاول والثاني اتحدا وان كليهما انضم تحت لواء الثالث وظهر ان الجميع اسما لمسمى واحد . ثانياً ان ما نشر منه ( اى الثاني ) لم يَعدُ فصلاً مقطعة مشوشة يُستنتج منها مقدمة لكتاب سيتكلم فيه صاحبه عن المغنين والغناء والصنعة وكل ما يتعلق بذلك . ولى هذا نالكل واحد

٤٢ - صياغة الكلام ( ياقوت ) . صناعة الكلام ( هامش ) . تفضيل صناعة الكلام ( فهرس ) . فضيلة الكلام ( فهرس ) . العاشمية ( مسعودي ) .

ما لا شك فيه ان الاول والثاني واحد . وان الثالث والرابع واحد وقد قال المسعودي ان الاخيرة والرابع واحد . اذن بقي ربط الاولين بالباقيات وهذا صعب . لان الاولين يتضمنان وصفا حياديا للكلام في حين يحاول الكاتب في الاخريات تفضيل هذه الصناعة . على كل اذا روعيت الدقة في التسمية كان لنا من هذه المجموعة كتابان . الاول حيادي والثاني تفضيل . والا فالجميع كتاب واحد .

٤٣ - العباسية (حيوان) . امامة بني العباس ( سندوبي ) . امامة وُلد العباس ( مروج ) .

قال ابن النقيش ان الجاحظ قدّم العباسية للمامون وفيها يحتج لولّد العباس في الامامة . وعلى هذا فالاول والثالث واحد واما الثاني فليس الا ذات الشيء بحكاية المعنى دون التقيد بالاصل لا سيما ~~بأنه~~ وانه من محدث لم تؤيده الاصول القديمة . وحتى لو ايسرته فانه لن يكون هناك أي فرق .

٤٤ - الاستطاعة وخلق الاعمال ( ياقوت ) . الطيبائع ( ياقوت ) . انعال الطيبائع ( سندوبي ) .  
احالة السقيرة على الظلم ( ياقوت ) .

نظرة بسيطة توينا ان الاول والثالث واحد . وان الثاني قد ينضم اليهما اذا فكرنا بالاعمال . لكن اذا فكرنا بطيبائع الحيوان التي كتب فيها انتكت لنا كل غزل . اما الاخير فقد يكون رسالة دينية حرة لوحدها وقد يكون ذات الكتاب . على كل نستنتج من هذه المجموعة اولا اما ان الجميع كتاب واحد او انها على الاكثر ثلاثة كتب .

٤٥ - نخر السودان والبيضان . مفاخرة السودان والبيضان . نخر السودان والحمران

كلها اسما لواحد . لان النبي في حديث استعمل الاحمر بمعنى الابيض فقال ارسلت للاحمر والاسود ولان الجاحظ نفسه وضع ذلك ونسر غامضه وازال الشبهة فيه في الرسالة المطبوعة .

٤٦ - مفاخرة الجوارى ( داماد ) . مفاخرة الجوارى والغلمان ( موصل )

كلاهما واحد وقد اشار الى ذلك بروكلمن . ولا بد ان يكون قد اطلع على المخطوطتين

٤٧ - المعلمين . نواذر المعلمين .

كذلك . لا يمكن إلا ان يكون قبل المعلمين شي . واقرب شي للمعقول هو " نواذر " . فاذا كان ذلك فان الكتابين كتاب واحد .

٤٨ - فخر هاشم وعبد شمس . فضل هاشم على عبد شمس .

٤٩ - فخر عبد شمس ومخزوم . الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم .

٥٠ - مناقب جند الخلافة . مناقب الترك وعامة جند الخلافة .

٥١ - الوعيد . الوعد والوعيد .

٥٢ - الناشي والمتلاشي . المتلاشي والناشي .

٥٣ - الوكلاء . الوكلاء المتوكلين .

كل مجموعة من هاته يجب ان تكون مقتصرة على واحد . والسبب واضح .

على كل - هذا ما توصلنا اليه عن طريق الشك العقلي اولا والنطق

الشكلي ثانيا والتحقق العملي ثالثا فكان مارينا . ونتيجة له يجب ان نُطَرِّجها من قائمة كتبه المذكورة في الفهرس ١١٤ الى ١٢٧ كتابا . لكي تقرب من الحقيقة وان كنا لا ندعي أننا وصلنا اليها .

## ثالثا - الكتب التي نسبت اليه -

-----x-x-x-x-x-x-x-x-x-----

هذه هي الظاهرة الثالثة التي فعلت فعلها في الاضطراب الكبير ما انتج

كل هذه الفوضى في الاعداد التي أعطيت لكتب الجاحظ. نعني ظاهرة كتابة غيره باسمه .

كما قد كتب هو باسم غيره . ولا غريب في هذا اي ان يكتب غيره باسمه بعد ان

ذاع صيته وانتشر اسمه وعرفه القاصي والداني . وشاهدنا على هذا اقتباسات من

"المداد والحسد" بقلمه<sup>(١)</sup> . لقد تحريفا كثيرا ودققنا طويلا في كل ما وصل الينا من

كتبه ، نوجدنا ان الشك في صحة نسبة الكتب التالية الى الجاحظ - اغلب من اليقين

في صحة نسبتها . واليكها مع بيان الاسباب .

اولا - كتاب الابل - بالرغم انه لم يصلنا منه شيء لكننا اعتمادا على ملاحظة  
ياقوت ( انه من الكتب التي نسبت اليه قديما ) نقول انه ليس له وانما كتب باسمه .  
ثانيا - التاج - لقد قرأنا كتاب التاج اولى وثانية . وقرأنا مقدمة الطويلة  
التي سهر عليها احمد زكي باشا وحاول ان يورد فيها كل ما يمكن ايراده من الحجج  
والادلة والبراهين لاثبات نسبه للجاحظ . لكننا لم نستطع ان نطمئن الى صحة  
نسبه البتة . ولسنا الوحيدين في موقفنا الشكي من نسبة الكتاب ، بل يؤيدنا  
ممن عرفنا الاساتذة بروكلمان وكُرد والسندوبي وغيرهم كثيرون . لكنهم لسوء الحظ  
لم يوردوا ادلة قاطعة تؤيد شكهم او نفيهم لهذه النسبة . ولهذا اخذنا على  
عائقنا هذه المهمة .

نحن نشك في صحة نسبة كتاب التاج للجاحظ . وذلك لما يلي =

اولا - لان واحدا من المصادر الاولى لم يذكره البتة . انما كما وقع له من ذكر كان في  
موضعين . الاول في العقد الفريد ، لكن على انه ليس للجاحظ بل لآخر غيره . والثاني في فهرس  
العقد حيث قال السيد شفيع معلقا في الهامش عند ذكره ( وهذا الكتاب للجاحظ ) . لكن بما  
ان شفيعا متأخر ولم يستند الى اصل موثق به ، لذا لا نستطيع ان نأخذ قوله بعين الاعتبار .

ثانيا - اسلوب الكتاب التالي ليس من اسلوب الجاحظ البتة . فمن ناحية إنعدام الاستطراد  
والتكرار والاستشهاد روح الدعاية التي اتصف بها اسلوب الجاحظ . ومن ناحية برزت ظاهرة  
لم يعمرها الجاحظ نعني ظاهرة الترتيب الدقيق جدا . فالرجل قسّم كتابه لابواب . والابواب  
لفصول . والفصول لمواقف منسجمة كل الانسجام . ولهذا - اي لانعدام صفات اسلوب  
الجاحظ التالي ولبروز اخرى لم يعرف بها - لا يسعنا الا ان نشك في صحة نسبه .

ثالثا - بل ان اسلوب الكتاب الانشائي ليس من اسلوب الجاحظ بشيء . فالجاحظ عودنا على  
التوازن او خلطه بالاسترسال ، هودنا كذلك على قصر الجملة وطول النفس وايراد تعابير خاصة  
بحالا يمكن لباحث مهما كان مدققا ان يجد لها اثرا في الكتاب كله . ولهذا ايضا نشك في نسبه .

رابعا - لان نوع مادة الكتاب ليست مما يمكن نسبه للجاحظ . قد يقال ان الجاحظ خالط  
الخلافة كالعالمون والمعتصم والوائق والمتوكل . وقد يقال ايضا انه لانه ابن الزيات وابن ابي دؤاد  
وصحب الفتح ابن خاقان ، فباستطاعته ان يكتب عن اداب السلطان . نقول كل هذا صحيح



ومن اجله يستطيع ان يكتب عن اخلاق السلطان . لكن السلطان العربي فقط . ولهذا سلمنا بصحة كتابه - السلطان واخلاق اهله - أما ان يكتب عن السلطان الفارسي فما يصعب علينا التسليم به . ثم اية كتابة كتب . كتابة مدقق مطلع قريب عاش اكر حياته في بلاط الفرس . والجاحظ لم يقل واحد من المؤرخين انه ذهب لبلاط الفرس . قد يقال ربما جاءته المادة بالدرس والسماع . فنقول قد يكون ويستطيع ان يكتب . لكن حديثه لن يكون بالدقة والضبط اللذين برزا في الكتاب . خذ مثلا قوله في صفحة ٧ في باب الدخول على الملوك وفيما يجب على الملك اذا دخل الرجل عليه ان يفعل ( اذا كان الداخل من الاشخاص والطبقة العالية ، فمن حق الملك ان يقف منه بالموضع الذي لا ينل عنده ولا يقرب منه . وان لا يسلم عليه قائما . فان استنداه قُرب منه فاكب على اطرافه يقبلها . ثم تنحى عنه حتى يقف في مرتبة مثله . فان اوما اليه بالعود فعد . فان كلمه اجابه بانخفاض الصوت وقلة حركة . وان سكوت نهض من ساعته قبل ان يتمكن به مجلسه بخير تسليم ثان ولا انتظار امر . وان كان الداخل من الطبقة الوسطى فمن حق الملك اذا رآه ان يقف . وان كان ثانيا عنه ، فان استنداه دفعا وخطا ثلاثا اُنحوها ثم وقف ايضا . فان استنداه دنا نحو من دونه الاول ولا ينظر الى تعب الملك في اشارة او تحريك جارحة فان ذلك وان كان فيه على الملك معانة فهو من حقه وتعظيمه . وان كان دخوله عليه من الباب الاول يقابل وجه الملك ومحاذيه - وكان له طريق عن يمينه او شماله - عدل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه ثم انحرف نحو مجلس الملك فسلم قائما ملاحظا للملك . فان سكوت ... فان استنداه .... فان اوما اليه ... فان كلمه ... فان قطع كلامه ... ) الى اخر ما هنالك مما لم نجده حتى الان في اى اثر من اثار الجاحظ . نقول هذه المادة غير الجاحظية وهذه الدقة في سردا والاطلاع على تناياها - مما لم يُعرف به الجاحظ او يُذكر عنه - تضطرننا بان نشك في نسبة الكتاب .

خامسا - واخيرا لان الرجل ذكر في كتابه " الاغاني " وكتاب الاغاني هذا القديح موت الجاحظ بقرون قريبا . لقد دافع عنهم الباشا عن هذا بقوله ان هناك اغاني كثيرة جاءت قبل الجاحظ . فلو كانت الاشارة الى واحد منها . لكن القصة التي وردت في صفحة ١١ منه ، وورودها بنصها ونفسها في اغاني ابي النرج بذاته ، مما لا يمكن نكرانه ولا جهده ولا حتى الاغناء عليه ، واستحالة استعانة متقدم بمناخر تضطرننا لان نشك في صحة نسبة الكتاب .

لهذا نحني لعدم ورود اى ذكر له في المصادر الاولى ، ولعدم مطابقة اسلوبه التاليفي لما عرف عن الجاحظ ، ولعدم اتفاق اسلوبه الانشائي مع ما عرف عنه ايضا ، ولعدم امكانية الصاق مادته

بالباحظ ، واخيرا لذكره اشياء جاءت بعده = لا يمكننا الا ان نشك في صحة نسب كتاب التاج لابي عثمان الجاحظ .

ثالثا تنبيه الملوك والمكاييد - لسوء الحظ لما يطبع الكتاب . ولهذا لم نطلع عليه . ولهذا لا نستطيع ان نبدي فيه رايًا خاصا . انما كل اعتمادنا في موقفنا الشككي منه على قول السندوبي ص ١٥٢ ( اذا علمت ان هذا الكتاب مصدر بفتح ي يقول فيها " الحمد لله الذي انتج بالحمد كتابا . وفتح للمبد اذا واتي اليه بابا ... " لم تترد لحظة في انه لغير الجاحظ . وانما نسبه من نسبه اليه جهلا وغبا . توجد منه نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي في دار الكتب المصرية تحت نمرة ٢١٥٤ ) هذا ما قال السندوبي . وهذا كل ما يمكننا ابراده بخصوص الكتاب . ومنه يلاحظ ان الرجل شك في صحة نسبته لورود السجع المتكلف في عبارته . ونحن الى ما قال به <sup>اميل</sup> .

رابعا الحنين الى الاوطان - قال السندوبي معلقا ص ١٥٣ . ( من قرأ هذا الكتاب وقرنه بشيء من كتب الجاحظ او وازن بينه وبين طريقته بالتأليف لا يشك مطلقا في ان الجاحظ منه براء . وانه من تليفات المراقين الذين يجمعون شتى العبارات الى بعضها في كتاب ثم ينسبونه الى مؤلف مشهور ليلقى الرواج عند الناس ) .

هذا ما قال السندوبي . اما نحن فنقول ان هذا قد يكون . لكن اسلوبه التأليفي بكثرة استشاداته نشرًا ونسجًا ، واسلوبه الانشائي توازنا وارسلًا ، ومصادره التي استقى منها ~~البحر~~ كتبًا واشخاصا - لم تخرج في كثير ولا قليل عما عرف عن الجاحظ .

لهذا نقول ان ما اورد السندوبي كان اتهامات غير علمية وليست معتمدة على حقائق او شواهد يمكن الرجوع اليها . انما كانت الحقيقة في الامر عكس ما ذهب اليه مما اردناه في الفقرة السابقة .

الا ان هناك نقطة مهمة يجب ان لا نخفلها هي مسألة التسمية . فالكتاب مطبوع بهذا الاسم . لكنه لم يرد له ذكر في المصادر . وكل ما ورد كان في الفهرس . ووروده هناك كان على انه لغير الجاحظ . . . . . وامام هذا لا نستطيع ان نقول ان الكتاب للجاحظ لما في باطنه من تايدات ايجابية . ولا ان نقول انه ليس له بالمرء كما راي السندوبي . انما نقول اننا في حيرة من امره . فالى ان نفع على ذكر اصيل بخصوص تسميته ، نُبقي علامة الاستفهام بعد اسمه .

خامسا الدلائل والاعتبار - تبرز في هذا الكتاب فكرة معتزل منطرف في مذهبه بهاجم غيره مثل النسانية والمعتلة . ومظهر فيه واضحا اطلاع صاحبه الكبير على فلسفة اليونان هذا بالاضافة الى اسلوب جاحظي قوى في الانشاء والتأليف . وكل هذا يؤيد ان الكتاب للجاحظ .

لكن صبغة الترتيب المنطقي الطويل وترداد كلمتي " أنظر ونكر " كثيرا وانعدام الشواهد وكذلك الاستعمال بالمرّة تثير شكوكنا وهو اجسنا من حيث صحة نسبته .

لقد جزم السندوي بخلط نسبته اليه وايداه في ذلك كرد علي ومال اليه بروكلمان . الا اننا لا نرى ما راوا . لان القسم الاول ما اردناه عنه بالاضافة الى وجود امثال ما انكرناه عليه في رسائله ( ولنذكر ان ما بين يدينا رسالة ) تاخذ بيدنا في اتجاه وسط بين من ينكر نسبته ومن يؤيدها هذا ان لم نؤيد نسبته على خط مستقيم .

سادسا سلوة الحريف - لقد انكر السندوي صحة نسبته . وانكرها غيره . ونكرها نحن بدورنا . وذلك لاسباب كثيرة نأخذها من بين دفتيه اليك اشهرها .

- (١) - لهذا السجع المتكلف المطرد الذي لم يعمره الجاحظ .
- (٢) - لهذه الالفاظ التي استعملها الكاتب عند الكلام على عظيم مما لم يعرف الا ايام السلاجقة اى بعد الجاحظ بقرنين مثل = فوام الملك . ونظام الدين . وحجة الاسلام . ونور الممالك . وجمال السلطنة . ومها الدولة . وغيرها كثير .
- (٣) - لآخذة عن ابن المعتز وابن الرومي وغيرها من شعراء القرن الرابع . وللتتميل لابن المعتز = اشرب على طيب الزمان فقد حدا . . . .
- ولابن الرومي = اصبحت الدنيا تروق من نظر . . . .

واظن ان في هذا الكفاية لنفي نسبة الكتاب عن الجاحظ .

سابعا المحاسن والاضداد - لقد خُدد الكيرون بنسبته . واذكر من بينهم محيي الدين ابن العربي الذي نقل عنه في " محاضرات الإبرار ومسامرات الاخيار " ونسخ عنه بل نسخه البيهقي في " المحاسن والمساوى " . اما نحن فلا نرى فيه اكثر من جَمْع لآحد ورّاني القرن الرابع غلبت عليه نزعة دينية رجعية خصوصا لموقفه المتزمت من اكثر المسائل الخلقية التي تعرّض لها . ولموقفه السلبي من النساء وادلتنا على عدم صحة نسبته ما يسلي =

(١) - نقله عن ابن المعتز خصوصا تلك القطعة التي قالها ابن المعتز في سجنه .  
 مما لا يُعقل ان يكون وقالها والجاحظ على قيد الحياة . نعني = تعلمت في السجن  
 نسج التلك ...

(٢) - تحديته عن نعلب . ونعلب تلميذه . والجاحظ لم يحرث مرة عن نعلب . فقد  
 جاء قوله = حدثنا نعلب عن الفتح ابن خافان ص ١٣٥ .

(٣) - تلميحه لقصة الفرطوني والحجاج . وهذه الحكاية وضعت سنة ٢٩٤ اي بعد موت  
 الجاحظ بحوالي اربعين سنة . فكيف يروي ما لم يقع؟ وملخص القصة كما جاء في  
 السندوبي صفحة ١٤٤ ان ذكرويه " رجم القرامطة هاجم الحجاج بجيوشه سنة ٢٩٤  
 وقتك بهم فتكا ذريعا حتى قالوا ان عدد القتلى كان عشرين الفا .

لكل هذا نميل الى الاخذ بالقول بعدم صحة نسبة المعاصم والاضداد للجاحظ .

نامنا كتاب الهدايا - لقد قال ياقوت انه مما نسب الى الرجل قديما . وما ان الكتاب ضاع وليس لدينا  
 منه ما يمكننا من نقاش هذا الحكم، لذا نضطر للموافقة عليه او للوقوف على الحباد من امره .

#### رابعا - الكتب التي ضاعت xxxxx

بقيت ظاهرة اخرى هي ظاهرة ضياع الكتب . اما باتيان اعدائها عليها . او بحول  
 المكاتب الذي تعدد وقوعه خصوصا عند اختلال الامن او بعوامل اخرى كثيرة . وانه لمن المؤسسان لا  
 نستطيع ان نعرف كتابا واحدا قد ضاع بتاكيد . كما لم نستطع ان نعرف كتابا واحدا من تلك التي  
 تحلها اسما غير في اول عهده . لهذا نقول ان علينا ان ننتظر الاكتشافات القادمة فلعلها تنزل بعضا  
 من النقاب .

#### والخلاصة

والخلاصة التي وصلنا اليها لحد الان هي =

- اولا - ان سرد كتبه الموضوعي وصل بنا الى ٢٨٥  
 ثانيا - ان سرد كتبه التحقيقي اسقط من هذا العدد ١٢١ - ١٣٤  
 ثالثا - ان اقرب عدد من الحقيقة هو ١٥٢ - ١٦٤

## المقالة الثالثة في وصف كتيبه

في هذا المقال سنحاول ان ناتي على وصف كتيبه المطبوعة التي وصلت الى ايدينا وقواناها . <sup>مطبعة</sup> ~~مطبعة~~ ان نصنفها وصفا موضوعيا <sup>فيه</sup> دقيقا نتوخى/الايجاز مع حُسن الدلالة ، والتعريف جُهد الاستطاعة . لعلنا بهذا نخدم او نرشد او نأخذ بيد من يحب الاطلاع على ادب ابي عثمان . - وللوصول الى هذه الغاية سنتكلم اولا عن كتيبه الثلاثة الرئيسية بشي من الاسهاب ثم نتحول لتكلم عن رسائله ضمن مجموعاتها التي نشرت فيها . ثم ننتقل لتكلم عن المتفرقات منها .

### ١ - الحيوان

في سبعة اجزاء . وقعت في ١٠٨٩ صفحة . من الورق الاصفر الذي تقسع صفحته لثلاثة وعشرين سطرا . وفي مطبعتي السعادة والتقدم . بين سنتي ١٩٠٥ - ١٩٠٧ . واشراء الساسي وتصحيح النعساني . . . . . طُبِعَ كتابُ الحيوان لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وقد لفت نظرنا قولُ الناشر بعد تسمية الكتاب "بالحيوان" - وهذا الكتاب هو " البارع في الادب والجامع في حكم العرب " . مما لم نسمع به من قبل في مصادرنا التي اطلعنا عليها لحد الان . اُتِمِّنْ اَيْنَ اِتْرَابِهِ الاستاذ الساسي فلا نفرو .

ومحسن بنا أن نقول إن الكتاب لم يُطبع سوى هذه الطبعة . ويجدر بنا ايضا ان نقول انها ملأى بالاغلاط والتشويشات . نكتفي للتمثيل عليها بايراد ما يلي من الجزر الرابع . [في ص ٤٩ وُضِعَتْ كلمة وَسِيعَتْ بدل سَمِيعَتْ . . وفي صفحة ١٢٩ كلمة تعرق برلى تعرو بزيادة نقطة على اخر حرف . لم يكن التصحيح هو الغلط الوحيد بل ورد هناك بياض كبير كما في ص ٥٢ ووردت أبيات ناقصة كما في ص ٦٢ و ١٠٩ . ووردت اغلاط نحوية كما في ص ٦٨ . وكذلك اغلاط إملائية كما في ص ٩٢ . اما التحريف وما اليه فحدث عنه ولا حرج . فالمكي بدل المكي مستساغ في ص ٩٨ . وابن يعفر بدل ابن يعفر موجود في ص ١١٢ . والفة بدل القيامة مما لم يضق به صدر الناشر في ص ١٥٤ . - كل هذا بالاضافة الى عدم فصل الجمل عن بعضها . وخلط الفقرات دون ترتيب . وخلو كل الكتاب من أية صبغة تُرْجِحُ القارئ . مثل التنقيط والتشكيل و تفسير الصعب . حتى انه بكل سهولة يقال ان الخلاص من كل صفحة لا يكون الا بعد الف حساب . -

نوهنا بهذا ~~لا~~ لتنفيذ نقدا هداما وانما لنشير الى ضرورة قيام ذوي الامر بطبع الكتاب من جديد لا سيما وان قيمته مما لا تفي بها سطور .

هذا عن طبعاته . اما مخطوطاته فلما نعرف منها اكثر من اثنتين . كلاهما في مكتبة عاشر افندي في اسطنبول . الاولى تحت نمرة ٥٨٤ والثانية تحت نمرة ٨٧٦ .

ألف الجاحظ هذا الكتاب في شيخوخته بدليل ما ذكر من أثر العلة التي كان يعانيها في الجزء الرابع<sup>٧٤</sup> . الله لغرض من أجل الاعراض ونعني به الكلام على جميع الحيوانات صغيرها وكبيرها لانتبات وحدة الكون كما صرح بذلك اكثر من مرة في ذات الكتاب<sup>٧٥</sup> . ومعد ان فرغ منه اهداء لولي امره انذاك الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات . ونال عليه خمسة الاف دينار<sup>٧٦</sup> .

لقد كتب عنه الكثيرون من قداما<sup>٧٧</sup> ومحدثين . مدحه الجرجاني في "اساس البلاغة" بعدم تكلفه بأسلوبه<sup>٧٨</sup> . وهاجمه البغدادي في "الفروق بين الفرو" بقوله انه سلح فيه معاني ارسطو وضم اليه ما ذكره المدائني من حكم العرب واشعارها في منافع الحيوان<sup>٧٩</sup> . ثم جاء عبد اللطيف البغدادي فاختصره في كتاب اسماء "اختصار كتاب الحيوان"<sup>٨٠</sup> . ثم لخصه ابن خلدون<sup>٨١</sup> سنن<sup>٨٢</sup> الملك الشاعر المصري في كتاب اسماء "روح الحيوان"<sup>٨٣</sup> . وانه لمن الجميل ان نقول ان كل من جاء بعده وحاول ان يكتب عن الحيوان قد تطفل عليه إما بالنسخ او بالاستشهاد . ونذكر من بين هذه الجمهرة الدميي في "حياة الحيوان الكبرى" . والقزويني في "عجائب المخلوقات" . واخوان الصفا في "رسالة الحيوان" وحتى الايشيهي في "المستظرف" . وغيرهم كثيرون .

اما المحدثون فقد كتب منهم عنه الاستاذ بلاتسيوس في مجلة "ايزيس" . ج ١٤ ص ٢٠-٥٤ محلا ومقرها . وكتب عن ناحيته الحيوانية الاستاذ مصطفى الشهابي في مجلة المجمع العلمي في دمشق ص ٥٠١ سنة ١٩٣١ فاحسن الوصف والنقد . وكتب عنه كذلك الاستاذ نواد انزام البستاني في مجلة المشرق ج ٢٩ ص ٦٢٨ فاجاد الوصف والتلخيص . هذا الى ارشادات كثيرة اخرى وردت في اماكن متعددة لا ضرورة لذكرها .

وليت قيمة الكتاب وقفت عند حد العلم الحيواني اذن للكاتب صاحبها فخرا . فما القول - وما من اديب الا تطفل عليه . بل ما من فقيه الا وانتبه . بل ما من عالم نفس جاء بعده الا وأشار اليه . كثيرة نواحيه . ومتعددة قيمه . وكل كنا نود لو كان وحده موضوع الاطروحة . لركزنا عليه وحاولنا ان نخدم العلم اولا والعلماء ثانيا وابا عثمان اولا واخيرا .

- هذا عن نواحي كثيرة من الكتاب . اما عن مادته فالأحسن ان نأخذها متفرقة في كل جزء
- الجزء الاول - بالرغم من انه من الصعب وضع اى فهرس لاي كتاب من كتب الجاحظ دون تكرار ، فقد حاولنا جهدنا ان نقرب من المطلوب فكان لنا ما يلي = نستطيع ان نقسم مادة هذا الجزء الى اربعة اقسام . القسم الاول مقدمه استغرقت الخمسين صفحة الاولى . تكلم فيها عن سبب وضع الكتاب . فقال انه اولا مجارة للمنافسة التي كانت بين الشيخين في الكلب والذئب وثانيا لاستقصاء البحث فيهما<sup>١٢-١٤</sup> . ثم تكلم عن عائبي كلبه فسرد اكثر ما الف الى ذلك الحين ورد على عائبي كل منها<sup>١٥</sup> . ثم دافع عن موضوع كتابه بقوله ان كل مخلوق مهم وله محله من الخليفة مهما تفه ولذا يجب علينا ان نعطينه نصيبه من الدرس<sup>١٦-١٧</sup> . وبعدها دافع عن اسلوبه الذي يخلط به الجدل والهزل فقال انه لا يستعمل الهزل للهزل وانما لمساعدة الضعاف ومن لم يعطهم الله الجلد على متابعة القراءة<sup>١٨</sup> . اى انه يستعمل الهزل طريقا موصلا للجد .
- القسم الثاني في الخصاء استغرق بين ص ٨٠ - ٨٠ . تكلم فيه عن تاثير الخصاء في المخصى وعن انواع الخصاء وعن اغراضه ثم عن حكمه في الدين وقال بعدم الاخذ به وهاجم الروم من اجله .
- القسم الثالث في محاورة بين صاحبي الكلب والديك استغرقت ما بين ٨٠ - ١٥٦ اى الى اخر الكتاب . هذا يذكر مغفرة لصاحبه وذاك ينقضها . وذا يعيب صاحب الآخر والاخر يدافع . وهكذا . ولقد خُدد بعضهم بحسن هذا الحوار ومقدرة الجاحظ على اتقان تفسير دفته حتى راح يكتب في "الرسالة" ان الجاحظ عرف التمنيلية . وهذا البعض نعني الاستاذ توفيق الحكيم .
- القسم الرابع في استطرادات متنوعة . وهذا في الحق ليس بابا انما هو مجموع لاستطرادات كثيرة وقعت متفرقة احببنا ان نُفرد لها هذا القسم لنجمعها فيه لانها فيمة . اشهر هذه الاستطرادات التي تكاد تكون تفصلا كاملة .
- ١ . تعداد كلبه ص ٩ والرد على تنقص اعدائه لها ص ٩ - ١٣ .
  - ٢ . في فضائل الكتاب ص ١٩-٣٢ والكتابة ص ٣٢-٤٤ والفلم ص ٢٢ والتأليف ص ٤٢ .
  - ٣ . في انواع البيان والدلالات ص ٢٣ .
  - ٤ . في الشعر وترجمته ص ٣٧ - ٤٠ .
  - ٥ . في تفسير مخلوقات العالم ص ١٣-١٩ .
  - ٦ . في الهجين ص ٦٣ والتهجين ص ٦٨ وملكية الخصي ص ٧٥ .
  - ٧ . في النساء ص ٥٧ ( ٦٠ ) وطلب الولد ص ٤٩ وقرب الخصي من النساء ص ٧٧-٨٢ .
  - ٨ . في التسمية والاسماء ص ١٥٧ الى ١٥٩ .
  - ٩ . في اللغة ومفردات متروكة ، مستحدته ، امثال ، فقه اللغة ، خفايا اللغة ، اداب القول ، .
  - ١٠ . طرائف اخرى لا حصر لها .

الجزء الثاني - لكن اللبكه "او" العبك" على حد تعبير ~~الذي~~ والتي قابلناها في الجزء الاول تخف في الثاني كثيرا . ومظهر ان لجلاء الموضوع ووضوحه امام الرجل نصيبا كبيرا في ذلك . فما الجزء الثاني بكيته الا متابعة لحاورة الكلب والديك مع استطرادات بسيطة في مسائل كلاميه وبيان علاقه الحيوانات مع بعضها من ألفة أوفرة . وحديثا عن الشهرة والخمول والسعادة هو للفلسفة اقرب منه للادب ثم كلام في اصابة العين الى قصص وخرافات واشعار ونوادير متنوعة لا حصر لها ولا كبير فائدة في الاتيان حتى على مجملها .

لكن الذي يهمنا هو ان الرجل خصص جزئين من سبعة للراسية الكلب والديك . فكيف درسهما . وكيف تكلم عليهما . والى اى حد نستطيع ان نسي كتابه " في الحيوان " . — الحق ان الجاحظ لم يكتب في الحيوان تخصصا وانما اتخذ هذه الحيوانات التي تعرّض لها مدارا ومثارا لكثير من الآراء الدينية والحكايات القديمة والاشعار المشهورة والافعال المانورة وغيرها كثير . ولهذا كان بحثه في هذه الحيوانات بحثا ادبيا اكثر منه علميا . واليك نموذج بحثه في الكلب مثلا وجميع الباقيات تنطبق عليه . ~~وصفه~~ وصفه الجسدي ثم الخلقي ثم ما قيل فيه من امثال واشعار . ثم ما يتدلق به من لغويات وادبيات . ثم ما حضر عن طعامه وشرابه ومنامه وكثير من عاداته . ثم ما جاء عنه في الدين . ثم لمامه بامراضه وفوائده واخلاقه . واخيرا ثمره او بعده من الانسان وشره بذلك . نحن نفر بالعجز عن اعطاء فكرة واضحة عما قال الا لكثرة ما قال وثانيا لتباينه وثالثا لعدم ترتيبه . وانما نظن ان في هذا كفاية .

الجزء الثالث - بعد مقدمة استغرقت بين ص ١-٤٥ تكلم فيها عن مادة الكتاب مجملا ودافع فيها عن اسلوبه الاستطرادي وادبه المكشوف بكل اختصار اورد نكثا ونوادير متفرقة ثم اخذ في الكلام على الحمام ومعه الرخم والعقاب وعبور اخرى مع اعطاء لمحة سريعة في السمك والضفادع بين صفحتي ٩٢-٤٥ . وبعد هذا راح يتكلم عن الذبان فقال في اهمية صغار الخلق وفي اخلاقيات الذبان ولم ينس أن يذكر معه النمل والنحل والبعوض وطويل الاستطراد في النار وانواعها ثم في كثير من الحيوانات ونومها ص ٩٢ - ١٢٧ . ثم انتقل ليقول بسرعة في الغريان بين صفحتي ١٢٧ - ١٥٦ وفي الجمالان بين ١٥٦ - ١٦٠ وفي الهدهد بين ١٦٠ - ١٦٣ والرخم ١٦٣ - ١٦٥ ثم الخفاش ١٦٥ - ١٦٨ وهذا انتهى الجزء الثالث .

الجزء الرابع - تكلم فيه عن الذرة وما يمكن اقتباسه من اخلاقياتها ص ١٢-٢ ثم عن الخنزير والفرد وخاض في حكايات المسح واكل اللحم ص ١٢ - ٣٨ .



ثم عن الحيات وخرافات كثيرة عنها من الوزغ ص ٢٨ - ١٠٢ .  
وانتهى بالكلام على النعام مع استطرادات في اللغة والادب ص ١٠٢ - الاخير .

الجزء الخامس - في المقدمة تكلم عن النار ١-٤٥ من الماء ٤٥-٤٩ وشرح منهجه ٤٩-٥٢ ثم  
اورد طائفة من الشعر في الذم ٥٢-٦٦ والاماني كذلك .

ثم تكلم عن العصفور ٦٦-٧٧ والنار ٧٧-٨٨ والسنور ٨٨-١٠١ والعقارب  
١٠١-١١٢ والحيات بين ٦٦-١١٢ . ثم افاض في القمل والبراغيث والبق والمنكبت  
ودود القز والنحل والقراد بين ١١٢-١٣٣ . ثم في الحبارى والضان والماعز والضفدع  
والانسان والجراد والجندب والقطا بين ١٣٣-١٧٠ . ثم اخذ بنوادر متفرقة انتهى  
بها الجزء واستقرت بين ١٧٠-١٧٥ .

الجزء السادس - بعد مقدمة في انواع الحيوان تكلم في الضب ص ١١ واعاجيبه ص ١٦ واكل لحمه  
ص ٢٤ وجميره ص ٣٥ . ثم اعطى بضع صفحات لالعباب الاعراب ما يندر  
وجوده في غيره ص ٤٣ . ثم انتقل ليفسر قصيدتين احدهما للبهرازي استغرقت  
بين ٤٤-٩٢ والثانية لبشر بن المعتز استغرقت بين ٩٢-١٥٠ . وقد حشا بينهما  
استطرادات في عزف الجان ٥٣-٦٩ وفي نوادر وحكايات واشعار يصعب حصرها  
تحت عنوان واحد . واخيرا تنبه الى ضرورة الكتابة في الحيوان فراح يتكلم على الضبع  
ص ١٥١ ثم الورل ١٥٦ ثم الفنفد ص ١٥٧ واخيرا النهدي ١٦٠ وهذا انتهى  
الجزء .

الجزء السابع - لقد اعطى كل المجلد للكلام على حيوانات مختلفة فحررنا من استطراداته . بعد  
مقدمة قصيرة في الدفاع عن الكتابة في مختلف الحيوانات اخذ في مقارنتها من  
نواحي السمع والشم والبصر والفيطن والحيل كذلك . ثم تكلم عن الفيل والجاموس  
والكركدن والاسد وغيرها كبير حتى اتى الى اخر الجزء .

## ٢ - البيان

قيل : " البيان والتبيين " كما هو مشهور ، وفيل " البيان والتبيين " كما في ترجمة دي سلا  
لوفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٠٥ وكما في مجلة اسلاميكا ج ٤ ص ٢٧٧ س ٣ . وقيل " البيان والتبيين " كما  
جاء في مخطوطة باريس على رواية بروكلمان . ومما لا حاجة للانفاضة فيه اننا نأخذ بالتسمية الاولى  
لاشتهارها ولذكر الجاحظ اياها اكثر من مرة في ذات الكتاب .

ذكره ياقوت ٧٦/٦ فقال ان منه نسختين اوله وثانيه . ولا ندرى ماذا عنى ياقوت من هذا . أتوى ان منه نسختين مختلفتين في التحرير ام انهما نسختان لكتاب واحد في الخط ؟ وذكره صاحب المروج ٣٤/٨ وذكره ايضا بن خلكان ٥٥٤/١ وكذلك السيوطي ص ٢٩ وكلهم مدحوه .

يوجد منه خمس مخطوطات . الاولى في الاسكوريال نمرة ٧٢٨/٢ . والثانية في لينغراد من فهرس رون نمرة ١٥٨ . والثالثة في دامادزاد في اسطنبول نمرة ١٥١٤ . والرابعة في فارس نمرة ١٢٥٢ . والخامسة في الموصل نمرة ١/١٥/٢٠٨ . وللإطلاع على تفاصيل ضافه عن هذه المخطوطات راجع " الجاحظ " من المجلة الاسيويه الالمانية .

طبع اربع مرات . الاولى في القاهرة في مجلدين . الاول منهما وقع في ٢٢٢ صفحة في كل صفحة ٢٩ سطرا في المطبعة العلمية سنة ١٣١١ واخره ( وخطب الوليد نقاشان امير المؤمنين عبد الملك كان يقول ان الحجاج جلدة ما بين عيني الا وانه جلدة وجهي كله ) . نشر غريب النافه لنهاية المنزلة السابعة السيد حسن افندي الفاكهاني ثم اكمل ذلك الشيخ محمد الزهري الغمراوي . اما الجزء الثاني فقد طبع سنة ١٣١٣ في ١٩١ صفحة . بدا بكتاب اللحن وانتهى باخر الكتاب الكامل وقد نقص منه الشرح الذي وجد في الاول .

الطبعة الثانية كانت في ثلاثة اجزاء . اذ انتبه الناشر الى تقسيم الجاحظ الاصلي للكتاب وقع الجزء الاول منها في ٢١٨ صفحة ووقف على طبعه محب الدين الخطيب الحرر بجريدة المؤيد ~~والى/ وقع~~ وانفق عليه محمود توفيق الكبي في القاهرة في مطبعة الفتوح سنة ١٣٢٢ . الا انه لمؤ الحظ محشو بالاخطاء المطبعية . اما الجزء الثاني فوقع في ٢٩٦ صفحة . انفق على طبعه السيدان الخطيب وعارف المحايى . وتم طبعه في مطبعة الجمالية بحارة الروم من ذات السنة . اما الجزء الثالث فوقع في ٢٣٦ صفحة على نفقة المذكورين لكن في مطبعة الفتوح الادبيه .

الطبعة الثالثة كانت باشراف السندوبي الذي اهتم اهتماما كائفا باخراجه في احسن حلة . نشر بعمر غريبه وترجم لكثير من الاسماء التي وردت فيه . طبع الجزء الاول منه سنة ١٩٢٦ في المطبعة التجارية ووقع في ٢٥٧ صفحة . اخره " نالبسوا جلد النمر " . وطبع الجزء الثاني سنة ١٩٢٧ في المطبعة الرحمانية في ٢٤٨ صفحة . اخره قول سعيد حفيد حسان بن ثابت .

وان امرا يمسي ويصبح مبالما  
من الناس الا ما جنى لسعيد .  
في حين طبع الجزء الثالث في المطبعة الرحمانية ايضا سنة ١٩٢٧ في ٢٧٢ صفحة واخره خطبه للحجاج انتهى بها الكتاب .

الطبعة الرابعة للسندوبي ايضا في ثلاثة اجزاء على النسق السابق . وقد فرغ منه سنة ١٩٣٦ . وهذه الطبعة وان كانت اكثر اناقة من سابقتها الا اننا اعتمدنا السابقة ~~بكل~~ لقله اخطاها بالنسبة لاختلاف هذه .

الا ان الكتاب مع كل هذه العناية ~~التي~~ لم يخل من اثار التشوش واليك بعض الامثلة  
اولا تشوش في اللفظ مثل سفار بدل صفار ج ١ ص ٩ وتلخص بدل تخلص ج ١ ص ٣٣ . ثانيا  
اضطراب في الاسماء مثل "ابو الصمت" بن ابي الجنوب بن مروان بن ابي حفصه بدل "ابي الصنف" ٢٩/١  
كما يرى في الاغاني ج ٩ ص ٣٧ وتاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٤٦٥ . ثم "الاسود ابن الكذاب العملي" ٣٢/١  
بدل "الاسود الكذاب ابن كعب العنسي" كما يرى في تاريخ الطبرى ٦٢١/١ وفهرست ابن النديم  
ثالثا تزوير في الجمل وقد انتدبنا الى واحدة وردت في المجلد الاول صفحة ٣٢ هذا نصها ( وهكذا  
وقع في جميع نسخ الكتاب ) . وهذه الجملة مما لا شك فيه دخيله . لكن ترى هل دسها النساخ  
ام غيرهم فلم نستطع ان نعرف لانعدام المخطوطات . وهي تخوفنا من وجود اخريات كثيرات غيرها  
لم نستطع التحقيق فيها لضيق الوقت . واخيرا تحوير في بعض المقاصع . وللتأكد من ذلك قارن بين  
ج ١ ص ١٢٠ من البيان ج ١ ص ٩٢ من نهج البلاغة .

كثير الذي قيل في الكتاب مما يدل على عظم اهميته . فالمسعودى قال ( وللجاحظ كتب  
~~كثير~~ حسان منها كتاب البيان ) . واقوت قال ( ان الاندلسي قال ان شهرة البيان وصلت  
الاندلس وعليه تتلمذ الكثيرون ) . اما ابن خلدون فقد قال ( سمعنا عن مشايخنا في مجالسهم ان  
اعمدوا الادب اربعة احدها البيان والتبيين ) . هؤلاء مدحوه لما راوا من قيم فيه . اما ابن شهيد  
فقد ذمه ان قال ( انه ليس اكثر من جمع مشوش ) . هذا من القدماء . اما المحدثون فقد اهتموا  
به اهتماما زائدا فكتبوا عنه كثيرا ودرسوه اكثر واحذوا منه فصلا خاصة بصطوها ونشروها لتعم قراءتها  
كما فعل الاستاذان النشاشيبي وبيدس في " مختار البيان " الذي نشرته مطبعة بيت المقدس سنة ١٩٣٤  
في ٢٤٨ صفحة . وكما فعل قبلهما احدهم في مخطوطة وجدت في الاستانة قيل ان الجاحظ كتبها  
تلخيصا للكتاب وسماها " المختار من كلام ابي عثمان " طبعتها مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ وطبعتها  
القاهرة ثانية سنة ١٩١٠ . ونحن نعتقد ان الجاحظ من هذا التلخيص براء .

هذه نظرات عابرة في مخطوطات الكتاب ومطبوعاته وما قيل في اهميته نحب ان نلحقها  
باخرى في مادته لتتم للقارى شبه صورة متكاملة عنه - وان كنا لا ندعي الكمال لان ذلك يحتاج  
لكتاب قائم بذاته .

الجزء الاول - الفكرة التي يدور عليها الحديث في جميع الكتاب هي " البيان والفصاحة واللسان " لا كما قيل من ان لا فكرة معينة فيه - وكل ما عداها هو تبين لها وتمثيل عليها . ولهذا اورد الرجل كثيرا من مستحسن اقوال الخطباء والشعراء والنسك والزهاد وغيرهم . كما اورد كثيرا من مستقبح اقوالهم للتوضيح عن طريق المقابلة . ثم راج بعدها يسرد كثيرا مما قيل في مدح البيان واللسان الى جانب الكبير الاخر الذي قيل في ذمهما . وهذا قاده الى كثير من المسائل النقدية التي سنذكر جانبها منها في باب النقد .

ومن هذا نرى ان الرجل اولا حدد غايته وهي الكلام على البيان وما اليه . وثانيا وصف هذه الغاية بالكثير من الاقوال وثالثا راج يمثل عليها بكل ما وسعت جعبته من سلب وايجاب متجانس وغير متجانس حتى خيل لقصيري الخيال الذين لم تتسع افاقهم سعة افاق الجاحظ - ان كرمه مقطوع لا رابطة بينه . وللتدليل على ما نقول سنذكر فيما يلي فهرسا لما جاء في هذا الجزء

- ١ . عن البيان تعريفا وتحديد ا وما اليه ص ١-٣٠ ثم ٦٨-٨٢ .
  - ٢ . عن اللغز وافي عيوب اللسان ص ٣٠-٥٠ .
  - ٣ . عن الخطابة والشعر واللسان ص ٥٠-٦٨ ثم ١١٨-١٤٣ .
  - ٤ . في اقوال مختلفة من نساك ١٥٢ لنوكي ١٧١ لخطباء ١٧٧ لغيرهم ١٤٣-١٩٢ .
- هذه صورة عامة مجملة تساعد القارئ على تفهم الفكرة التي نحن بصددتها . وان كنا لا نشكر انه كان يخلط بين الفصول فيدمج جزئياتها بعضها ببعض .

الجزء الثاني - اذا كانت فكرة تعريف الناس بالبيان هي التي شغلت الجزء الاول فان فكرة التمثيل عليها من كل ما حفظ وسمع وعرف - هي التي طغت على الجزء الثاني . ولهذا سرد الرجل علينا فيه طائفة من اقوال الرسول والسلف الصالح ثم وقف طويلا على الخطابة والخطباء . وبعدها انتقل الى مختارات مختلفة من الصعب وضعها تحت عنوان واحد يكي بالغرض لعدم تجانسها . فللزهاد نصيب كما للحمقا ولاقوال الخلفاء باب كما للنوكي . ولغيرهم وغيرهم كثير . وعلى كل فاننا نعتقد ان فيما يلي كفاية لتنوير السبيل امام القارئ المستجد . فاجاحظ اني على ما يلي في هذا الجزء .

- ١ . طائفة من اقوال الرسول وهنائه واقوال اصحابه وتابعيه ص ١-٩٧ .
- ٢ . طائفة اخرى من الخطب المنسوبة وغير المنسوبة الطويلة وغير الصلوة ص ٩٧-١١٦ .
- ٣ . ثم بمقطعات لا حصر لها ركز فيها على الالغاز ١١٦ و صفة الراشد ١٢١ واخبار قصيرة ١٢٧ واشعار متفرقة ١٣٢ وخطب مجزوءة ١٣٤ وحكم متنوعة ١٤٧ ونوادر طريفة ١٥٣ ولحون طريفة ١٥٥ ونوكيات مضحكة ١٦٤ وضروب من العي ١٦٩ .

واخرى من الحمق ١٧٥ وثالثة من النوك ١٨٣ ورابعة من كلم العقلاء ٢٠٤ والخطباء

٢١٢ . تنير الضحكة تارة وتلهب عصب الفلسفة العميقة في النفس تارة اخرى

استغرقت جميعها ما بين صفحتي ١١٦ - ٢٤٨ .

الجزء الثالث - نستطيع ان نقسم هذا الجزء الى ثلاثة نصول متباينة في مضروعاتها موحدة في غرضها ونعني به ~~التعليق~~ التمثيل على البيان وما اليه . الاول كتاب العصا والثاني كتاب الزهد والثالث كتاب متفرقات في اقوال مختلفة .

١- اراد الرجل ان يرد على الشعوبية نبذاً يسرد مصطنعها على العرب مثل القتال بالليل ومعرفة الكمين واستعمال الركب والمفاخرة بالرماح وما اليها . ثم ما زال حتى استطرد من الرماح الى العصا لقرب الشبه ثم اخذ في كلام مطول مقطع عن كل ما يمكن ان يورد في باب العصا . فتكلم عن من حمل العصا . ومن قاتل بالعصا . وادى الخيل سُميت بالعصا . ثم راج يطنب في استعمالاتها وفي اصلها وفي امثالها وفي انواعها وفي كثير من امثال ذلك متذرعا تارة بمثل سائر او شعر دائر او قصة سمعها ، حتى اتى على اخر الكتاب اى ص ٧٢ .

٢ - اما كتاب الزهد فانصر من الاول واقل تنوعاً منه . ففي حوالي ٣٠ صفحة سرد علينا جانباً عظيماً من اسما واقوال زهاد كثيرين . ويُلاحظ على مختاراته انه لم يكن متعصباً زميتاً بل كان حراً معتدلاً . تارة ينقل ما يحث على الزهد وترك الدنيا واخرى ينقل ما ينتفر من الزهد ويُحسِّن طلب الحياة . وفي كلا النقلين يحس القارئ بذات الحرارة .

٣ - هذا من حيث الاولان اما الثالث والاخير اى كتاب المتفرقات فهو مجموعة اقوال واشعار وخطب وقصص ونوادر لا يمكن ان يجمعها عنوان غير " متفرقات " . الا انه يبرز من بين هذه المتفرقات نصل في الادعية واخر في بني امية وثالث في بني العباس رابع في الشعر . ولكي تكتمل صورة الجزء الثالث واضحة نقول ان مادته تتلخص في ثلاثة كتب وقعت كما يلي =

اولا - في العصا بين ١-٧٢

ثانياً - في الزهد بين ٧٢-١٢١

ثالثاً - في متفرقات بين ١٢١-٢٧٢ .

اذا كانت قيم الحيوان " اكر من ان تحصر لتنوعها وسعة اتاقها ، فان للبيان فيها محدودة محصورة واضحة لكثرة ما ركز عليها صاحبنا . اولها القيمة الادبية وذلك لما جاء فيه من

نصوص نثرية من خطب وقصص وامثال واقوال . ولما جاء فيه من نصوص شعرية من قصائد مطولة ومقطعات مختصرة . ولما ورد فيه من لمحات نقدية متفرقة سنحاول جمعها والكلام عليها في باب النقد . واخيرا شذرات لغوية تسربت بالتضاعيف سنجمعها عند الكلام على لغة الرجل . وثانيها القيمة الدينية وتظهر بارزة جليلة في كثره الاقوال الزهدية والفكرية والفقهية والتفسيرات القرآنية التي اوردتها في الكتاب خصوصا في الباب الذي خصصه للزهد . مما سنتكلم عليه في بعض التفصيل عند كلامنا على دين الرجل ونوعاته وميوله الخاصة به . وثالثها القيمة التاريخية لما ذكر مطولا عن بني امية وسرد مفصلا عن بني العباس وترجم مختصرا لكثير من الشعراء والادباء . واخيرا لما نقل من كتب ومكتابات وتواصي تعد بحق نعم الاصول التاريخية .

### ٣ - البخلاء

اظرف كتبه واخفها روحا وادفها وصفا واعفها موضوعا . فصد فيه الى البخلاء يعالج مشكلتهم ويورد ارائهم ويرد عليهم وينتهك بهم حتى لا ينتهي قارؤه منه الا وعلى لسانه فانلك الله يا ابا عثمان ما اظرفك ولعن الله البخل واخرى الحرص وجنبنا الطمع .

طُبِعَ الكتاب لحد الان اربع طبعات اطلعت عليها جميعا . الاولى في مطبعة لايدن سنة ١٣١٩ . اشرف عليها السيد نون فلوتين . وقد جاء مضبوطا ومدققا فيه على عادة المستشرقين لولا نقصان الشرح والارشاد . والثانية في مطبعة الجمهور بمصر سنة ١٣٢٣ على ورق اصفر في ٢٠٥ صفحات . التزم طبعها السيد ساسي والحفها بفهرستين للقواني والاسماء السيد محمد مسعود الحرر بجريدة المؤيد . اما عن اغلاطها وتشبهاتها فلا تسأل . والثالثة في مطبعة ابن زيدون بدمشق سنة ١٣٥٧ في ٣٧٥ صفحة . اشرف على طبعه نخبة مختارة من اعضاء المجمع العلمي هناك . وهذه الطبعة جاءت احسن من سابقتها اذ قدم لها الاستاذ احمد امين بمقدمة تلقي ضوا كبيرا على مادة الكتاب وتساعد القارئ على تفهم روحه ، هذا بالاضافة الى اهتمام الناشرين بتحقيق كثير من المفردات ومقارنتها حسب ورودها في شتى المخطوطات . كما اعطوا عناية خاصة بتفسير اكثر الخريب . ووضع عناوين صغيرة في الهامش تمكن المطالع من فهم ما يريد ان يقول الكاتب بسرعة . هذا الى فهارس كثيرة الحفت باخرو واستخرفت بين ص ٣٧٩-٤١٣ جاء فيها فهرس بالموضوعات ص ٣٧٩ واخر بالايات الكريمة ٣٨٩ وتلخيص وثالث بالاحاديث الشريفة ٤٩٠ ورابع بالامثال ص ٣٩٢ وخامس باسماء الاطعمه والاشربة ص ٣٤٥ وسادس باسماء الاعظم ص ٣٩٦ واخير بالكتب ص ٤١٢-٤١٣ .

نفول لقد اهتم القوم اهتماما كبيرا لاجراج الكتاب على احسن صورة ولكن " العين بصيرة واليد قصيرة " كما يقول المثل . فكثير من المفردات الصعبة لم يُفسّر . وكثير من الاسماء الغريبة لم يستعرض له . كما ان كثيرا من العناوين كانت مضللة ، عدما خير منها . لهذا قام الاستاذ الجارم وصديقه العوامى بطبعه طبعة رابعة في دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٨ . وقد تم لهما ذلك في جزئين كل منهما في حوالى ١٥٠ صفحة . ولا يسمعا الا ان نفول ان هذه كانت احسن طبعاته بالرغم من اننا اعتمدنا الصبعة الثالثة في ترتيبنا لان هذه الاخيرة وقعت بايدينا متاخرة . وقد ترجم السيد فون ريشر منه قسما كبيرا في سلسلة تراجمه لكبار ادباء العربية بين صفحتي ٢٦٧ - ٤٨٨ .

والان لماذا الف الجاحظ هذا الكتاب . ومتى الله . وما هي موضوعاته . اما لماذا الله . فجوابا على سائل ارسل له يذكر انه فرا كتابه في تصنيف حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل وانه اعجب بهما ص ٣ . وطلب منه ان يحده ماخرا مستهزئا عن البخلاء وان : وان يبين له ما الشيء الذى خبل عقولهم وانسد اذهانهم ... ص ٢ فعرفوا عيوب الناس ولم يعرفوا عيوب انفسهم ص ٧ ورجوه ان يذكر له من احتجاج الاشخاص وتوادر البخلاء ما يطيب به الحال ص ١٠ . فاجابة على ذلك كتب الكتاب .

اما متى الله ففيه اختلاف . فقد قال الاستاذ احمد امين في ضحى الاسلام ص ١١٤ " انه الله ايام المهدي الكريم لينوه بايام المنصور البخيل " . وعلى هذا فالكتاب قد كتب في ايام المهدي على راي الاستاذ احمد امين . الا اننا نرى ان الرجل كتب كتابه في تاريخ متاخر . فالجاحظ لم يذكره في الحيوان ولا في البيان ولهذا فمن المرجح ان يكون قد كتبه بعدهما . ومؤكد هذا قوله في ص ١٩٦ من الكتاب نفسه على لسان بخيل اوقعته الايسام المنحوسة ذات ليلة في داره وعاقه المطر عن الخروج ، يحاوره هذا البخيل لثلا ياكل مما اتى به من جام اللبا وطبق التمر ( فلما مدت قال = يا ابا عثمان انه لبا وغلظه وهو الليل وركوده . ثم ليلة مطر ووطوه . وانت رجل قد طعنت في السن ولم تزن تشكو من النالج وما زال الغليل يسرع اليك ... ) والطمع في السن والشكوى من النالج لا تكون ( خصوصا وان ذكر الكتاب لم يرد في الحيوان ولا في البيان ) الا بعد سنة ٢٤٧ اى في الوقت الذى تراجع فيه الجاحظ للبصرة يشكو العرض وكبر السن . وعلى هذا يكون قد كتبه بعد سنة ٢٤٧ لا كما خيل للاستاذ احمد امين .

هذا عن وصفه العام وطبعاته ومخطوطاته ولوانع لكتابته ووقتها . اما عن مادته فاليك

شبه فهرس بها . ولتذكر ان فهرست البخلاء من اسهل الامور لقلة استطراد الجاحظ فيه

- (١) - مقدمه في الدافع للتأليف وفائدته وقصده منه ونظرة في الضحك والبكا ١٥-٣ .
- (٢) - ثلاث رسائل في البخل . الاولى لسهل بن هارون بين ١٥-٣١ . والثانية لابي العاص بين ٢٤٣-٢٦٦ . والثالثة لابن التوام بين ٢٦٦-٢٨١ .
- (٣) - قصص متفرقة في البخل اشهرها قصص المسجدين واهل خراسان وغيرهم (٣١-٢٤٢)
- (٤) - في فصل في اطعمه العرب بين ٣٢١-٣٢٥ . وهو اخر الكتاب .

اما قيّمه فاحصرى بالذكر بينها /الإله/ اولا تلك المقدره على تحليل النفس البشرية ومعرفته  
دخائلها . ثانيا تلك المهارة في الغمز واللمز والسخرية من الكبريين وخصوصا من الاصدقاء دون ان  
يثير حفيظتهم . واخيرا تلك الغاية النبيلة في معالجة مشكلة خلقية او ككل اجتماعية طالما أثرت في  
سير المجتمع . بالاضافة الى نواحي اخرى اقل من هذه اهمية برزت اوضح في باقي كتبه فلا داعي لاعادتها.

لحد الان استعرضنا بشبه تفصيل كتبه الرئيسية الثلاثة . نعني الحيوان  
والبيان والبخلاء . والان ننتقل للكلام على رسائله الثانوية مما استطعنا الوصول اليه . هذه الرسائل  
ظالمناها اولا في هامش الجرز الثاني من كامل المبرد طبع القاهرة سنة ١٣٢٤ . وثانيا في مجموعة  
رسائل احتوت احدى عشرة رسالة من طبع القاهرة سنة ١٣٢٤ ايضا . وثالثا من مجموعة رسائل  
اخرى احتوت على ثلاث رسائل نشرها في القاهرة السيد يوشع فونكل سنة ١٣٤٤ . ورابعا من مجموعة  
رسائل ثالثة احتوت ثلاثا نشرها السيد فون فلوطن في لايدن سنة ١٩٠٣ . وخامسا من طراز  
الخفاجي الذي نشر في القاهرة سنة ١٣٢٢ . وسادسا من مجموعة رسائل نشرها السندوبي في  
القاهرة سنة ١٩٣٩ . وسابعا من مراجى اخرى متفرقة تجدها عند وصف كل كتاب مثل صبح الاعشى  
ومجلة المجمع العلمي العربي في الشام ورسائل اخرى نشرت كل على انفراد مثل الحنين الى الاوطان  
والدلائل والاعتبار وسلوة الحريف والعرافة والزجر على مذهب الفرس وغيرها كثير . رتبناها على حروف  
الهجاء ليسهل الرجوع اليها عند المراجعة .



١ - استنجاز الوعد = رسالة قصيرة منشور منها نصول في المجموعة بين ١٧٢ - ١٧٧ وفي هامش الكامل الثاني بين ٢٢٠ - ٢٢٧ . مخطوطتها موجودة في الملحق البريطاني نمرة ١١٢٩ / ٢.١ وجهها الى ابن ابي الفضل بقوله ( كان ابو الفضل لعزه الله على ما قد بلغك من البر بالوعد وسرعة الانجاز ... ونقول العرب من اشبه اياه فقد ظلم<sup>١</sup> ) يستجزه وعدا يظهر انه كان قد قطعه له . ولا قيمة خاصة للرسالة .

٢ - استحقاق الامامة = منشورة في هامش الكامل الثاني مرتين . الاولى بين ٢١٢ - ٢٢٠ والثانية بين ٢٦٩ - ٢٩١ . ومنشورة في رسائل السندوبي بين ٢٤١ - ٢٦٠ ومترجمة في ريشر بين ١٦٨ - ١٧٩ . ومخطوطتها موجودة في الملحق البريطاني نمرة ١١٢٩ / ٢٠ . ومن المنشور نلاحظ ان الرسالة هي ذاتها التي سترد بعنوان "بيان مذاهب الشيعة" .

٣ - استطالة الفهم = منشور قسم منها في طراز الخفاجي في ص ١٠٠ . ولم نفع على ذكر لمخطوطتها ... جعلها الخفاجي محور كلامه في مجلسه السادس في جملة كلام من كلام الحكماء والشعراء . وقال ( صنف الجاحظ في هذا " اى في موضوع المجلس " كتابا اسماه استطالة الفهم . ولهوشنج الحكيم كتاب يسمى " جودان - خرد " مدحه الجاحظ وفيه كلام جليل . ولا بن مسكويه كتاب مثله . وقفت عليها جميعا واخترت منها نبذا جميلة وحكما رقيقة لهذا المجلس<sup>٢</sup> ) .

٤ - بني امية = نشرها السندوبي في رسائله بين ٢٩٢ - ٣٠٠ . ولم نفع لها على مخطوطة ... انما المنشور منها يشير الى شدة كره الرجل لبني امية . حتى ان اقل ما توصفه انها شواظ من نار سلَّطه الجاحظ عليهم . فما ترك لهم مكرمة الا انتقصها ولا نقيصة الا ارسلها في البوق .

٥ - بيان مذاهب الشيعة = منشورة في المجموعة بين ١٧٨ - ١٨٥ ومترجمة في ريشر بين ١٩٧ - ٢٠٤ . ولم نفع لها على مخطوطة . وقبل الكلام عليها نحب ان نشير الى ان هذه واستحقاق الامامة التي تكلمنا عليها تحت نمرة ٢ رسالة واحدة تعدد عناوينها . ... فسَمَّيْنا فيها الشيعة لثلاثة = روافض وشيعة واخرون لا قيمة لهم ص ١٧٨ . ثم تكلم عن سبب اجماعهم على تأييد علي ص ١٧٨ . وابدى رايه في ضرورة وجود الامام ص ١٨٤ . ووضَّح موقفه من العلاقة بين الامامة والنسب ص ١٨١ ... ومنها يُشتم ان الجاحظ يرى بضرورة الامامة

على حد القول ( لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ) وثانيا انه يُقر بضرورة وجود الطبقات على حد التعبير ( ولا سراة اذا جهالهم سادوا ) . وقبل ان نتركها نحب ان نشير الى انها فصول مختارة وليست رسالة كاملة .

٦ - التبصر بالتجارة = رسالة قصيرة منشورة في مجلة المجمع العلمي العربي بالشام مجلد ١٢ بين صفحتي ٣٢٦-٣٥١ . ولم نفع لها على مخطوطة . . . كتبها الجاحظ ردا على سائل سأل ذلك . فذكر له فيها (كيف يمكنه ان يميز الخث من السمين والذهب الخالص والغضة المعشوشة لئلا يخدع ص ٣٢٧ . وغيرها من الجواهر ص ٣٢٨ . ثم انتقد ليحدثه عن معرفة احسن الطيب والعطر والروائح الطيبة ص ٣٣٢ . ثم تطرق الى احسن ما يجلب من البلدان المختلفة مثل السلع والجواري ص ٣٤٠ . ثم احسن ما ينتقى من الطيور والجوارح ص ٣٤٨ . وأنهى الرسالة بحكمة جميلة هي (ورغم سابور الملك انه ليس ينبغي لماعل ان يعتمد بقول سبعة من الناس = بقول السكان والدلال والمضحك والعليل والمراء والنمام والنساء ص ٣٥١) . وفيه الرسالة نصائحها الاقتصادية والتجارية . اما ما يستنتج منها فهو ان الجاحظ اذا ضحت نسبتهما اليه كان على جانب كبير من المهارة والحدق بالتجارة . ولعل <sup>هنا</sup> "لبيع السمك والخبز بـسيحان" اثر في هذه الدربة .

٧ - التربيع والتدوير = منشورة اولا في المجلد بين ٨٢-١٤٤ . وثانيا في فلولتن بين ٨٦-١٥٧ ونالنا في رسائل السندوبي بين ١٨٧-٢٤١ . رابعا في هامش الكامل الاول بين ٤٠-٩٧ واخيرا مترجمة في ريشمر بين ٢١٢-٢٥٥ . اما مخطوطاتها فلم نعثرها منها الا على واحد موجود في ملحق المتحف البريطاني تحت نمرة ١١٢٩/٣ . . . في هذه الرسالة يقول الجاحظ ان ابن عبد الوهاب لا يفهم نفسه ولا يعرف حدوده وقد ارجع الناس منه ذلك . فعلىنا تقع تبعة افهامه نفسه وايقافه عند حده ص ٨٢ . والطريقة الى ذلك بسؤاله اسئلة من كل ما هب ودب يعجز الفلم عن الاحاطة بهما ص ٩٠ وما بعدها . لكن يظهر ان تعجيزه بهذه الاسئلة لم يكن بدلا من السخرية راح يكيل له بالصاع الكبير ص ١٠٠ وما بعدها . لكنه عاد يعتذر له عن شدته في حملته ويقول له ان النية في كل ما قال كانت صافية ص ١١٢ ثم اخذ في تعجيزه وتليس اهابه كما يقولون ص ١١٣ . وهنا استطرد في المزاج مبينا ضرورته وحدوده ص ١١٠-١٢٢ وفي المراء كذلك ص ٨٤ ثم اخذ يحذره وينذره فكانه يقول له " ان نيتي صافية فحذار ان تغضب والا . . . ص ١٢٦ وما بعدها " .

وميزة الرسالة اولا بدالاتها على سعة افاق الجاحظ . ولو لم يكن له الا هذه الاسئلة

الكثيرة لكفاء مقدرة . ثانيا بدلائلها على ثبوته وخلق قدمه في السخرية وحسن التصرف بها .  
واخيرا بانها قطعة كاملة تُستنتج منها كل صفات اسلوبه الانشائي لانها تعبير روي عاطفي .

اما متى كتبها . فنظن ان ذلك كان منه في طور الشيخوخة لقوله  
( وقد تعجب اناس من اطالتي ومن كثرة مسالتي وتعجبي من تعجبهم اشد والذى  
كان من افكارهم اعظم ولو رغبوا في العلم رغبتى رواوا فيه منل راى وكانوا قروا  
كتابي اليك في شيبتي وايام شباب رغبتى لاستقلوا ما استكروا ... ص - ١٣٦ ) واذا  
كان يستنتج من هذا شي فهو اولا ان التريخ ليست الاولى التي يكتبها لابن عبد  
الهباب بل الثانية . وثانيا ان الاولى كانت في عهد الشباب وان هذه في عهد الشيخوخة

٢ - تفضيل النطق على الصمت = نشرت في المجموعة بين ١٤٨ - ١٥٤ . وفي هامش  
الكامل الثاني بين ٢٢٢-٢٣٢ ومترجمة في ريشر ١٨٢-١٨٦ . ومخطوطتها موجودة في ملحق  
المتحف البريطاني نمرة ١١٢٩/٢٢٠٠ . كتبها ردا على من ارسل اليه ينهل الصمت . وبراينه  
على تفضيل النطق هي اولا انه واسطة التعبير عن الخاطر ص ١٤٩ وثانيا ان لؤلاه لما وصلت  
البشر رسالة الاله ص ١٤٩ واخيرا المدح الكثير له من سبق ص ١٥٢ . لا ميزة خاصة للرسالة  
اللهم الا ظهور روح منطقية قوية فيها ص ١٥٠ .

٨ - الجد والهزل = منشورة في مجموعة بول كراوس والحاجري بين ٦١-٩٩ . ومن مخطوطاتها ثلاث  
الاولى في المتحف البريطاني نمرة ١١٢٩/١٣ والثانية في داماد ابراهيم نمرة ٦/٩٤٩ والثالثة في الموصل  
نمرة ٩/٢٦٥٠٠ ( يظهر ) ان الجاحظ تشاجر وابن الزيات نهضم الاخير بعض حقه وجفاء .  
فاستنار هذا عاطفته واستشاط غضبه فكتب الرسالة تارة يهزل بما فعل ابن الزيات وتارة يجد في  
تانيه . وعلى كل فمخلص ما قال اولا ان لا حش لك يا ابن الزيات في كل هذا الجفاء ص ٨٨ لان  
ذنبى ابسط من ان يذكر ص ٨٢ . انما والحش يقال انت رجل اهو تنور لطيران ذبابة ص ٦٩ .  
وجميع الرسالة على هذا المنوال بزيادة عنصر الهزل ... وعلى هذا فمن الطبيعي ان يكون قد كتبها  
ايام التحافه بابن الزيات لهذا الغرض الذي ذكرنا ... اما ميزتها الخاصة فهي قدرة الرجل على  
خلط الجد بالهزل في قالب يستسيغه ابن الزيات <sup>ورضى</sup> من بعده عليه .

٩ - الحاسد والمحسود = منشورة في المجموعة بين ٢-١٣ وفي هامش الكامل الاول بين ٢-١٦  
ومترجمة في ريشر بين ١٨٠-١٨٢ . وموجد لها مخطوطة في ملحق البريطاني نمرة ١/١١٢٩ .

بعد ان عَرَّفَ الحسد ص ٥ مثل عليه ص ٧ ثم ذكر ان الكبر والغل وانكماش الحاسد من مرافقاته ص ١٢-٧ . وانتهى بنصائح لسائله ان لا يامن الحسود ص ١٠ وان لا يخالطه عندما يعرف منه ذلك ص ٩ . . . . ولا ميزة خاصة للرسالة اللهم الا في الوصف الدقيق للتغير الخلقي الذي يصيب الحسود . ولعل لكثرة رؤيته ذلك في احساده انرا .

١٠ - الحجاب = منشورة في صراز الخفاجي بين ٢٣-٩٧ وفي رسائل السندوي بين ١٥٥-٨٧  
غرضه جمع ما قيل في الحجاب ص ٧٣ . والحجاب يعني حجاب القصور لا النساء . ويستنتج منه انه ضده . اما المادة التي اتى عليها فاليكها = ما قيل في النهى عنه ص ٧٣ . من عهد الى حاجبه ص ٧٤ . سبب الحجاب ص ٧٦ . من ينبغي ان يُتَخَذَ للحجاب ص ٧٦ محل الحاجب وموقفه ممن يحجبه ص ٧٧ . من عوتب على تحجابه او هجى به ص ٧٨ . من عاتب على خجابه والاذن لغيره ص ٩٣ . من مدح برفع الحجاب ص ٩٥ . من أمل حجابه ولم يُضَمَّ عليه ص ٩٦ . وآخره " وهذا اخر كتاب الحجاب " ص ٩٧ . . . . لقد شك السندوي في صحة نسبته الى الجاحظ . اما نحن فلا نشك . اولا لان كثيرا من مادته قد ورد في البيان والتبيين . وثانيا لان اسلوبه وكل ما جاء فيه جاحظي صرف . ولا نعرف السبب الذي دعا السندوي لعل ذلك . . . . اما قيمة "الحجاب" فاجتماعيه اخلاقيه كما يظهر من البحث . ولا نعرف لا متى ولا لماذا كتبها .

١١ - حجج النبوة = منشورة في هامش الكامل الاول بين ٢٧٥-٢٩٦ ثم في هامش الكامل الثاني بين ١-٥٦ . ثم في رسائل السندوي بين ١١٧-١٥٤ . واخيرا مترجمة في ريشر بين ١١٢-١٥٩ . اما من منوطاتها فلم نجد الا التي ذكرت في ملحق المتحف البريطاني تحت نمرة ١١٢٩/٨٠٠٨ . جمع هذه الحجج لتقوير الجاهل وافهام العالم على حد تعبيره ص ٧ . ثم اخذ يتكلم عن ضرورة اختلاف طباع البشر لضرورة صلاحهم وليبيان فضل العقل ص ٢٣ فقال (سبحان من حبيب الى واحد منهم ان يسي ابنه محمدا وحبيب الى اخر ان يسميه شيطانا وحبيب الى اخر ان يسميه حمارا . . . . لان الناس لو لم يخالف بين علمهم اختيار الاسماء وجاز ان يجتمعوا على شيء واحد كان في ذلك بطلان العلامات ونساق المعاملات ص ٣١) . الا انه يرى ان هناك امورا يجب ان يتفق الكل فيها مثل الاقرار بنبوة محمد ص ٤٥ كما ان هنالك امورا اجمع على الخطا بالايمان بها مثل تاليه عيسى ص ٤٨ . . . . والكتاب كما ترى قيمته دينية صرف ومنطقية كلامية بالدرجة الثانية . . . . ويلاحظ على صاحبه شبه تقرب من الحق لا يقال عنه تزمت او انقغال .

١٣ - الحنين الى الاوطان = مشهورة لوحدها في رسالة كاملة نشرها وراجعها الاستاذ طاهر الجزائري ووقف على طبعها عهد الفتح قتلان في مطبعة المنار في القاهرة سنة ١٣٢٣ .  
والرسالة في مجموعها عبارة عن مجموعة مانورات شعرا ونشرا في الحنين الى الاوطان . اما الدافع الى كتابتها فهو ملاحظة الجاحظ ان الانسان مهما تظاهر بالاستغناء عن الوطن فانه يحن اليه حنين الابل الى اعطانها ص ٧ .

١٤ - الدلائل والاعتبار = نشرها في رسالة كاملة الاستاذ محمد راغب الطباخ سنة ١٣١٦ في المطبعة العلمية بحلب في ٢٨ صفحة . والرسالة بكاملها عبارة عن نظرات في كل ما يحيط المرء من ما' وهوا' ومخلوقات حية وغير حية والاستنتاج منها انها صنع خالق واحد مدبر يسير هذا الكون لغاية عاقلة .

١٥ - نم اخلاق الكتاب = نشرت ضمن رسائل فنكل بين ٤٠-٥٢ ثم في ريشو بين ٦٢-٧٨ . وقد عثرنا من مخطوطاتها على اثنتين الاولى داما ابراهيم نعمة ١٢٤٩/٣ والثانية في الموصل نعمة ١٣٠١/٢٦٥ . كتبها ردا على من ارسل له يمدح اخلاق الكتاب . وذلك من قوله " حفظك الله وابفاك وامتع بك . قرات كتابك ومدحتك اخلاق الكتاب وفعالمهم ووصفك فضائلهم . ونهيمته " ثم ياخذ في الهجوم المر والنقد اللاذع . فيذكر كثيرا منهم ومثل على عيوب كل من ناحية . قال ان العظام لم يكونوا كتابا ص ٤٢ ثم راج يرميهم بكل خلق صغير مثل الذل . ومن امثلة ذلك قوله ( سعد ابن ابي سرح كان اول مرتد . ومعاوية بن ابي سفيان كان اول نائر . وثمان ابن عفان ذمه من ذمه من اولائاه . وزيد بن ابيه ظهرت الجبرية في ايامه ص ٤٠ . وابن المدبر كان مثلا في الخب والمكابرة ص ٤٥ . وسالم كان اشد الناس غلطا واضعفهم راي . وعبد الحميد بتعامله على نصر بن سيار انقضت عليه خراسان . وعبد الله بن العفغ اغرى ببني العباس . وعبد الله بن علي كان جزاؤه القتل . اما يونس بن ابي نويرة فقد كان زنديقا . وسزد ابعادان كان ~~تلقاهما~~ سنويا . والطوسي انتشرت معه السعاية ضد المامون في العراق . وابو عباد كان سحيقا حديدا . في حين كان رجاء بن ابي الضجك اظلمهم واغشمهم ص ٤٧ . وابن يزدان كان اشقاهم . اما ابراهيم بن اسمعيل بن داود واحمد بن يوسف فقد امتحنهم المامون فتمسا واستنصهما في الاعمال ففشلوا ولم يعملوا على شيء حتى هلكا . واحمد في نفسه كان مافونا في حين ان ابراهيم كان حاسبا فقط . والحسن ابن ابي شرف بهدله غروره ص ٤٨ . والان أنتقل الى غيرهم

تجد حميد بن عبد الحميد تسامح فانسد ومحمود بن عبد الكريم تملك فظلم فاكسب السبة  
 اما زيد بن ايوب فقد عمل في ديوان الجند اربعين سنة صار في اخر ايامه فوادا ليحيى بن اكم  
 ص ٥٠ . الى هذه الدرجة وصل به التنقص والى هذا الحد امتد به الهجوم على الكتاب . . .  
 والان لماذا كُتِبَ . لا نعرف . اللهم الا انها جواب لذلك السائل . الا اننا نضيف ان  
 الدافع النفسي كان كرهه وحقداه عليهم بعد الخروج من الديوان . . . اما قيمتها فمتشعبة . فهي  
 جميلة لظهور طول نفس الجاحظ في الهجوم ودقته في النقد ومراعاته في السخرية خصوصا في قوله ( يتوهم  
 الواحد منهم اذا عَرَّضَ جيبته وطَوَّلَ ذيله وعَصَصَ على خدعه صدغه وتحذف الشايرتين على وجهه ، انه  
 المتبوع ليس التابع وانه المليك فوق المالك . ص ٤١ )

١٦ - الرد على النصارى = نشرت في مجموعة فنكل بين ١٠ - ٢٨ وفي هامش الكامل الثاني  
 بين ١٤٨ - ١٦١٩ . اما مخطوطاتها فتلصق الحظ لم نفع منها الا على واحدة في ملحق المتحف  
 البريطاني تحت نمرة ١١٢٩ / ٢٨ . . . قال الجاحظ ( اما بعد فقد قرات كتابكم . ونهت ما  
 ذكرت من مسائل النصارى قبلكم . وما دخل على قلوب احدائكم وضعائكم من اللبس . والذي خفتوه  
 على جواباتهم من المعجز . وذكرتم انهم قالوا - - وانهم رعموا - - . اما نحن فنسقول في جميع  
 ما ورد علينا من مسائلكم وفيما لا يقع اليكم من مسائلهم بالشواهد الظاهرة والحجج القوية والادلة  
 الاضطرارية . . . ونسأله تعالى القصد في القول والعمل وان يكون ذلك لوجهه ولنصرة دينه . انمقرب  
 مجيب ص ١٠ نم ١٣ ) . هذا هو غرضه . رجل كاتبه يشكو صعوبة اسئلة النصارى لقومه ويستعين به  
 عليهم . نيعده بالاجابة لكن كيف ذلك .

اولا = اورد مسائل النصارى من حيث انكارهم تكلم عيسى في المهد ص ١٢ وانهم لم  
 يتخذوه الها ص ١٠ ومن حيث تهكمهم بالمسلمين اذ قالوا ان نروهم خاطبها مان فلل وهو غير  
 ممكن ص ١١ ومن حيث ان كثيرين قبل ذكرها سمو باسمه ص ١١ وغيرها كثير .

ثانيا = اورد نصلا في انخداع العامة وقال ان سبب ذلك كره الناس لليهود لطول  
 جبرتهم ص ١٣ ثم لغلط هاته الناس في تناول اية ايوه الله ص ١٤ ثم لان المسيحيين ذوو حضارة  
 قديمة ص ١٥ واخيرا لضيق افاق اليهود ص ١٦ .

ثالثا = اتبع هذا الفصل بطعن ايجابي في النصارى . فقال ان دينهم غامض وفاسد  
 ص ١٨ كيف لا ولم يتفقوا على صيغة واحدة للانجيل ص ٢٠ وقال هم قليلوا رحمة لانهم اقروا  
 الخصاء ص ٢١ ثم انهم يستعملون الحيل لافساد ديننا على عامتنا فلنحذر فسادهم ص ١٨  
رابعا = بدأ بالرد المقصود . فدار حول حكاية احياء الموتى التي يدعيها

النصارى وفندها ص ٢٣ . ثم افاض في مسألة خلة الله للناس وأبان نسادها ص ٢٥ ثم اطال في ابوه الله واجاد وابدع في دحضها ونقدتها ص ٢٥-٢٣.

خامسا = بعد ان فرغ من حساب النصارى مال على اليهود فذكر افتشائاتهم على المسلمين خصوصا في قولهم ان الله يستقرض من الناس ( ومن يفرض الله قرضا حسنا يضاعفه له ) وفي قولهم يد الله مغلوله وفي قولهم ان عزير ابن الله .

سادسا = وبعد هذا اورد فصلا جميلا حشاه باسئلة طريفة طلب من النصارى واليهود الاجابة عليها ان كانوا حقا على حق . تذكرنا باسئلته لابن عبد الوهاب .

هذه هي الرسالة . ولنذكر انها فصول مقطعة وليست كاملة . وكما نود لو كانت كاملة لانها ذات قيم خاصة . اولها استعمال المنطق الصرف في الحجاج . وثانيها اجابة دقيقة على غمزات الكفار للدين الاسلامي . وثالثها ايراد غمزات الجاحظ لاديانهم . مما يشير الى قوة الحجاج الديني في تلك الايام . لكن يا ليت ...

١٧ - الزبدية والرافضة = منشورة في هامش الكامل الثاني بين ٢٩١-٣٠١ . وهي ذاتها المنشورة في مجموعة فنكل بعنوان " بيان مذاهب الشيعة " .

١٨ - سلوة الحريف = وعنوانها الكامل هو سلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف . نشرتها مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ مع رسالة اخرى في الشيب والشباب . وقد استغرقت بين صفحتي ١٠٢-١٣١ . اما موضوعها مناظرة بين صاحب الربيع وصاحب الخريف لتبيان محاسن وفضائل كل منهما على حدة .

١٩ - الشارب والمشروب = منشورة اولا في هامش الكامل الثاني بين ٢٥١-٢٦٩ وثانيا في رسائل السندوبي بين ٢٧٦ و ٢٩٦ . هذه الرسالة نشرت بهذا العنوان وهي تحوى كل ما قيل ان له من كتب في السكر . واليك السبب . قال في المقدمة = ( سأتكلم لك عن الشارب والمشروب وما فيهما من المدح والعيوب وساميز لك بين الانبذة والخمر وان اوقفك على حد السكر . وان اعرفك السبب الذي يرغب من اجله في شرب الانبذة وما فيها من اجتلاب المنفعة وما يكره من نبيذ الالهية ) ... ومن مجموعها يستنتج اولا انه يحرم الخمر ص ٢٦٢ . لكنه يحلل النبيذ ص ٢٦٣ وان له اطلاعا واسعا على كل الاشربة لانه عدد كثيرا منها . كما ان له نفسا محللة مدققة

نفذت الى اعماق نفس الشارب فوصفتها بأسلوبه الشيق الجميل . في الرسالة كبير من السجع لم يعودنا اياه الجاحظ . وفيها تبرز ناحيته الدينية الحرة واعتماده على العقل دون غيره في حل قضايا الدين .

٢٠ - رسالة الشكر = منشورة في صبح الاعشى جزء ١٤ ص ١٧٣-١٨١ . قدم لها بمقدمه في ماهيه الشكر ثم اخذ في سرد اربعة اركانه . وهي على رايه العلم بموقع النعمة من المنعم اليه ثم الحرية البالغة على حسب المكافاة واستحسان المجازاة ثم الديانة بالشكر والاخلاص للمنعم واخيرا وصف ذلك الاحسان باللسان البين . اخرها " وثقلة المعجب هيبه" . وقد وجهها لوزير المتوكل كما قال مؤلف الكتاب . اما من هو ذلك الوزير فلا نعرف .

٢١ - صناعات القواد = منشورة في الطراز بين ٦٧-٧١ ثم في رسائل السندوبي بين ٢٦٠-٢٦٦ . مترجمة في ريشر في ص ٥٢٧ وما بعدها .

٢٢ - صناعة الكرم = منشورة في هامش الكامل الثاني بين ٢٣٨-٢٤٦ . ومترجمة في ريشر بين ١٥٩-١٦٣ . والمنشور منها لسوء الحظ نبذ مشوشة من مجموعها نستنتج ان " صناعة الكلام علق نفيس" له محاسنه المفيدة في حين ان له افاله القاتلة . والمهارة كل المهارة في حسن استعماله ولاستفادة . وليس بغريب على الجاحظ ان يكتب رسالة كاملة في مدح الكلام فقد درسه على النظام وتعرض به في دكاكين المرافين ثم كان هو نفسه متكلماً من الدرجة الاولى .

٢٣ - طبقات المغنين = منشورة في المجمع بين ١٨٦-١٩٠ وفي هامش الكامل الاول بين ١٢٠-١٣٠ وفي ريشر بين ٢٠٤-٢٠٦ . وقد بنيت منها مخطوطة في الملحق ١١٣/٥ لا بد ان يكون ما بين ايدينا منها نفذ اقتطعت من كتاب قد ضاع . لانه يريد ان يتكلم عن المغنين وعن طبافتهم وعن الالهم وعن اشياء كثيرة اخرى لهم كما جاء في المقدمة . ولانه قال في ص ١٨٨ ( ولم نقصد في وصفت من وصفنا من الطبقات التي صنفنا منهم الا من ادركنا من اهل زماننا ) . في حين انه لم يتكلم لا عن مفردين ولا عن طبقات . اما لماذا كتبها . فلأداء حق لهم عليه كما قال ص ١٨٦ . اما متى كتبها ففي سنة ٢٥٥ كما ذكر في ذات الصفحة . وعلى كل فما بين ايدينا من الرسالة لا قيمة له لانه مبتور مشوه .

٢٤ - العباسية = نشرت في رسائل السندوبي بين ٣٠٠-٣٠٣ . لا جديد فيها



الا اتخاذ كل الذرائع واستعماله كل ما عرّف من المعلومات اولا لانهم المأمون ان بني العباس هم احق بالامامة وثانيا انهم اهل حسب ونسب في القديم والحديث . وفيمنها في هذا اي في اثبات احقية العباسيين واهليتهم للخلافة .

٢٥ - العثمانية = منشورة في رسائل السندوبي بين ١-١٣ . تكلم فيها عن افضلية ابي بكر على علي في الخلافة . وفيها ذكر اكثر اقوال العلّمين وفنّدها مقارنا اياها بفضائل جماعة عثمان . قيمتها امامية تاريخية اكثر من سواها مثل العباسية مثلا التي مر ذكرها . وكلاهما تدلان على ككرة الحجاج واللجّاج في مثل هذه المسائل ايام الجاحظ . فهما صورة صادقة في هذه الناحية . وقد كتب الاسكافي رسالة في الرد عليها نشرها السندوبي في مجموعته بين ١٣-١٧ /

٢٦ - العداوة والحسد = نشرها كراوس في مجموعته بين ٩٩-١٢٤ . ولا مخطوطات . لا ميزة للرسالة الا ببراعة الرجل في تحليل النزعات المؤدية للحسد وتبيان انه نفسه هو كان محسودا جدا خصوصا لتفوقه في الادب ص ١٠٩ .

٢٧ - العشق والنساء = منشورة في المجموعة بين ١٦١-١٧٠ وفي هامش الكامل الثاني ٣٠-١٦٦ وفي رسائل السندوبي ٢٦١-٢٧٥ ومترجمة في ريشر ١٨٨-١٩٤ وتوجد منها مخطوطة في ملحق المتحف البريتاني رقم ١١٢٩/٦ . بعد مقدمة عرّف فيها العشق عامة مر على عشق النساء خاصة وقال انه اللذة الكبرى ص ١٦٠ وان رباط الهوى اقوى رباط بين اثنين ص ١٦٦ ثم انتقل ليفضل المرأة على الرجل في مواطن ص ١٦٥ وليقول شيئا في جمالها ص ١٦٩ . والى كل هذا ضم شيئا لي/ من القول في الغناء وموقفه النيز منه ص ١٦٥ . والرسالة التي بين ايدينا ليست كاملة لانه في مطلعها يقول ( انما لما ذكرنا في كتابنا هذا الحب الذي هو اصل الهوى والهوى الذي يتفرع منه العشق والعشق الذي يهيم به الانسان على وجهه او يموت كمدًا على نواشه ص ١٦١ ) . في حين انه لم يكن قد بدأ بعد . ولذا لا نستطيع ان نستنتج منها ذا قيمة .

٢٨ - فخر السودان على البيضان = منشورة في المجموعة بين ٥٤-٨٢ وفي مجموعة فلوتن بين ٥٧-٨٥ وفي ريشر بين ٢١٠-٢١٢ . ومنها مخطوطتان الاولى في داماد ابراهيم نمرة ٩٤٩/٥ والثانية في الموصل نمرة ٦/٢٦٥ اهم نقاط فخر السودان التي اوردها هي ما يلي . اولا ان منهم رجالا مبرزين . ثانيا انهم قدموا للحضارة اشياء كثيرة مفيدة مثل الغالية والنعش والمصحف ص ٦٢ . ثالثا انهم حكموا العرب ايام الاحباش ص ٦٣ . رابعا انهم اكر عدا من البيض ص ٧٢

واخيرا ان السواد ليس بعيب بل على العكس هو شرف وقوة حيث وجد ص ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٦٠  
 واذا كان للكتاب من قيمة فهي في محاولة الرجل الرد على نقاط فخر البيضان . لا نصرة  
 للسودان وانما لجمع الشمل . وهذه صفة غلبت عليه في كل ما تكلم نعني صفة العدل .

٢٩ - فضل هاشم = منشورة في رسائل السندقي ١١٦-٦٢ . ولم نفع لها على مخطوطة .  
 فيها يفضد هاشما فم النبي على عبد شمس قم معاوية . اولا بماضيهم التليد في الجاهلية وثانيا  
 بحاضرهم المجيد بالاسلام . فيتعرض لفرجات الخير والشر وللصفات الكريمة والقيحة مفاونا  
 ومفضلا . وليس بغريب عليه وهو الذي كان في كل كتاباته يفتنم كل فرصة لمدح الرسول وقومه

٣٠ - القيان = منشورة في رسائل فنكل بين ٥٣-٧٥ . ولا مخطوطات . طرق فيها  
 الجاحظ موضوعات جميلة مثل المرأة . والحب . والغناء . وقدم فيها اراء اجتماعية دينية وفوق  
 كل شيء جاحظية قيمة كم كنا بغاية الشوق للوقوف عليها . ولاهيتها تلخصها فيما يلي .

١ - في المرأة = تكلم عن الحجاب ص ٥٦-٦٢ فقال انه لا يرى به قط لانه لم  
 يكن في الجاهلية ص ٥٦ ولانه ضرب في الاسلام على نساء النبي فقط ص ٥٦ ولان الكيرات من  
 المشهورات في العباسية لم يضعه ص ٦١ هذا بل لا يلزم بالاضافة الى انه غير طبيعي انما كان الدافع  
 اليه غير الرجل على المرأة وحسب الانسنة بها ص ٦١ ولم يكف بهذا بل ذهب الى ما هو  
 ابعد منه فتناول بعض الاحاديث التي يرددها الفم بهذا الصدد مثل = فَرَّقُوا بَيْنَ أَنْفَاسِ الرِّجَالِ  
وَالنِّسَاءِ . ومن لا يخلو رجل بامرأة في بيت وان قيل حموها الا ان حموها الموت ص ٦٥  
 وراح يفتندها بقوله = فان قال فائل بهذا . فلنا ان الاحكام انما تنفع على ظاهر الامور ولم يكلف  
 الله العباد الحكم على الباطن والعمل على النيات . فيقضى للرجل بالاسلام بما يظهر منه ولعله  
 ملحد فيه . وقضى انه لايبه ولعله لم يلده الاب الذي ادعى اليه قط ص ٦٦ —————  
 وتكلم بعد هذا عن مشكلة في الاختلاط . فقال انها لا باس بها بل هي الطبيعية لولا الخوف  
 من الفساد ص ٥٧ . — تم تطرق الى موضوع الزوجية فتكلم بما يشتم منه انه يفضل  
 الاباحية او الشيوعية النسائية لولا ان الدين منع منها ص ٥١ ولولا ان صلاح الاجتماع ينكرها  
 ص ٥٥ ، ٦١ — الا ان الجاحظ بعد كل هذه الحرية في التفكير الشخصي والثورة  
 على التقاليد بخصوص هذه المسائل لم يستطع الا ان يطايط راسه امامها بخصوص النظرية  
 الغامة للمرأة . فهو لم ير فيها اكر من دمجة خلفت لمتعة الرجل لا اكر ولا اقل ص ٥٥

ب - الغنا = يقوه ولا ينكره بل لا يرى به بأسا ص ٦٣ ذلك لانه في غالبه شعر والشعر غير محرم بحد ذاته ص ٦٣ . واما اذا قيل انه لم اداة لهو فاننا نقول والصلاة ايضا اداة لهو ص ٦٣ . هذا بالاضافة الى انه كان معروفا في الجاهلية وفي فصور جميع الخلنا ص ٦٢ ج .

ج - الحب = بعد ان حاول إلقاء ضوء على ماهيته ص ٦٢ انتقل ليعرف العشق خاصة بقوله . ( انه دا . يصيب الروح ومشتعل على الجسم بالمجاورة ص ٦٦ ) . ثم وصفه بقوله ( انه دا . لا يملك صاحبه دفعة س ٦٦ ) . اما الحُسن في نظره فهو التمام والاعتدال فقط ص ٦٤ . وبعد هذا راح يلقي نظرة على القيان وجهن خاصة ليطلق لقلبه العنان يعبر بأسلوبه المعروف عن سوء رايه في كليهما . واذا سئل لماذا كل هذا . قال ( وكيف تسلم القينة من فساد الاخلاق وهي تفضي حياتها في بؤرته ص ٧٢ هذا عن القينة اما عن حبها فقد قال انه من النوع الرخيص الذي لا يكاد يعرف للاخلاق معنى ص ٦٩ ) . هذه رسالة القيان . وهذه موضوعاتها . وهذه آراؤه فيها . اختصرناها هنا لنشرحها فيما بعد . وهي في نظري مع " الرد على النصارى " اقيم رسالتين في بابي الدين الاجتماعي والتفكير المبني على المنطق .

٣١ - كتمان السر = منشوره في مجموعة كراوس ولم والحاجري بين ٢٧-٦١ . غرضها الحضر على هذه الفضيلة والتنفير من عكسها . وقد تكلم فيها عن الاسرار التي تُفنى ( الخبر النادر وما يوصى بكتمانه ) وعن الذين يُفشون الاسرار ( الخدم وضعاف الناس ) وعن اسباب الانشاء ( الفضول وحب المنوع ) واخيرا شواهد كثيرة في التنفير من الانشاء والحضر على الكتمان . وهي في مجموعها رسالة اخلاقية صرف .

٣٢ - المعاد والمعاش = نشرها كراوس بين ١-٣٧ من مجموعته . وقد عثرنا لها على ثلاث مخطوطات الاولى في ملحق المتحف البريطاني نمرة ١٢/١١٢٩ والثانية في داماد ابراهيم نمرة ٤/١٤٩ والثالثة في الموصى نمرة ٥/٢٦٥ . كتبها لابن ابي دؤاد و" فاه " بحقه عليه ص ٥ وقد ملأها نصائح ووصايا باخلاقي جميلة كثيرة . قال لاحمد ان صبرحه في معاشه ومعاده متوقف على التمسك بها جهده طاقته .. وليس في الرسالة من ميز سوى هذه الاخلاق العديدة .

٣٣ - مناقب الترك = منشورة في المجموعة ١٣-٥٤ وفي هامش الكامل الثاني ١٦٦-٢٧٥ وفي مجموعة فلوتن ١-٥٦ و مترجمة في ريشر ٢٠٧-٢١٠ . ومن مخطوطاتها واحدة في الملحق

نمرة ٧/١١٢٩ وثانية في داماد ابراهيم نمرة ٦/٩٤٩ وثالثة في الموصل نمرة ٢/٢٦٤ ورابعة في باريس نمرة ٦٠١٨ . كتبها ردا على هجوم لاحدهم على الترك الذين ادخلهم المعتصم في الجيش . ولكنه تحفظ من اتهمه بالتحيز . فقال انما غرضنا الاصلي هو تبيان حقوق الاتراك المهضومة ليتسلخوا مع باقي جند الخلافة فيعمل الكل معا لخدمة الامام . لهذا كانت مادته في الرسالة اولا ذكر مفاخر جميع الجند وثانيا ذكر مفاخر الترك خاصة من شجاعة واقدام واخيرا الدعوى للعمل معا على طاعة السلطان وخدمته وقيمتها في انها تعكس لنا بعض الشئ من اتجاهات السياسية والمناقشات الحادة التي كانت تدور بين ظهري الفهم .

٣٤ - مدح التجار = وعنوانها الكامل ( مدح التجارة و ذم عمل السلطان ) . منشورة في المجموعة ص ١٥٥ - ١٦١ نم هامن الكامل الثاني ٢٤٦-٢٥١ نم في ريشتر ١٨٦-١٨٨ ولها مخطوطة في الملحق نمرة ٢٤/١١٢٩ . فيها ذم عمل السلطان لانه قهرن الذل والخوف والملق . ص ١٥٥ . نم ذكر كثيرا من اكابر العلماء الذين كانوا تجارا مثل ابن المسيب وابن سيرين وغيرهما ص ١٥٢ . نم قال ان قريشا والرسول والخلفاء الراشدين كلهم كانوا تجارا ص ١٥٢ وما بعدها وقيمة الرسالة في انها دعوى مخلص لل عمل الحر . ويظهر انها كانت "اي مشكلة العمل الحر" مشكلة ايام العباسيين كما لا تزال الى اليوم . ونلاحظ على الرسالة اولا انها مختارات وليست كاملة . ثانيا ان القسم الاخير منها الذي تطرق للتربية مشكوك في نسبته الا ان يكون استطرادا وفي هذه الحالة هو استطراد غريب . وان كان تزويرا فتجب الاشارة اليه .

٣٥ - المودة والخلطة = منشورة في هامن الكامل الثاني ١٩٩-٢١٢ ولم نفع لها على مخطوطات من دوايعها اي المودة والخلطة = القبول من اول نظرة ص ٢٠٤ وان لم يكن ذلك فبالقرب المتعمد ص ٢٠٥ . ومعد هذا اخذ في الكلام على اقسام المودة الثلاثة ص ٢٠٨ . وانتهى بمدح ابي الفرج الكاتب الذي اهدى الرسالة اليه . لا قيمة للرسالة الا من الناحية الفلسفية الكلامية خصوصا في النظر الى، والتفريق بين اقسام المودة . وكل ما عداه فكلام عادي

٣٦ - النساء = منشورة في رسائل السندوبي ص ٢٦٦-٢٧٦ ومنها مخطوطة في الملحق نمرة ٥/١١٢٩ وموضوعها لم يخرج عن موضوع رسالة ( العشق والنساء ) المنشورة في المجموعة والتي تكلمنا عنها في هذه السلسلة نمرة ٢٧ . ولهذا يساورنا شك في كون كل مهما رسالة مستقلة . اما فهرس البريطاني فقد وضع رسالة العشق نمرة ٦ في حين وضع هذه تحت نمرة ٥ .

٣٧ - النيل والتنبيل = منشورة في هامش الكامل الثاني بين ١٨٤-١٩٩ . ومنها مخطوطة في المطبعي نمرة ١٨/١١٢٩ . واهم ما جاء فيها اولا ان النبيل لا يقتبل لعدم حاجته الى ذلك ص ١٨٤ وان هناك اماكن يُستساع فيها التكبر ص ١٨٥ هذا بالاضافة الى فصول في ذم الكبر والتنبيل . وفيمة الرسالة في انها اخلاقية فقط .

٣٨ - الوكلاء = منشورة في المجموعة ١٧٠-١٧٣ وفي هامش الكامل الثاني ٢٢٠-٢٢٧ وفي ريشر ١٩٩-١٩٩ . مختارات من المقدمة هي التي نشرت في المجموعة ولذا لم نستطع ان نستفيد منها كثيرا . حتى ان اسم الوكلاء لم يظهر لنا معناه بوضوح .

٣٩ - في الاخبار = منشورة في هامش الكامل الثاني ٥٦-١١٧ . قال ان الناس مولعون بالغريب منها ص ٦٣ . ثم تكلم عن كيف تصح وان ذلك يكون بالتصادق وكثرة السماع والعلم بالاصول ص ٨٣ . ثم راح يدفع قول من اتهم الرسول بالتنجيم ص ٧٨ .

٤٠ - عن النبي = منشورة في هامش الكامل الثاني ١١٧-١٢١ . وهي فصول مختارة ذكر فيها النبي . وتكلم عن معجزة القرآن . وان الفهم لم يستطيعوا ان ياتوا بمنله وبعدها انقطع الجبل ليتكلم في خلق القرآن . والاحتجاج لنظمه ما بين ١٢٢-١٤٨ . وفي هذا القسم اكثر من النقاش والاستنتاجات <sup>المنهية</sup> لتقطع الفصول وقصرها . حتى كما تارة نسبها حجاج النبوة وتارة خلق القرآن وثالثة الاحتجاج لنظم القرآن وهكذا . . . . . وكما نود لو انها كانت صريحة وواضحة لنقف بعض الشيء على هذه النقاط المهمة التي تعرضه لها الجاحظ .

لحد الان تكلمنا عن كتبه الثلاث الرئيسية وهن رسائله المطبوعة الثانية والان

ننتقل لتكلم باختصار عن الكتب والرسائل المنسوبة اليه

(١) - التاج تكلم فيه عن اخلاق السلطان وما يتعلق بصحبه واداب قصره . وقد ركز فيه على ادب <sup>سلطين</sup> ~~سلطنة~~ الساسانيين بالرغم من انه لم يغفل خلفاء العرب .

(٢) - المحاسن والاضداد كتاب نُشر في مصر اولا وفي لايدن ثانيا . وهو عبارة عن

فصول في مواضيع مختلفة قُصد منها المقارنة واطهار مقدرة الكاتب على الكلام في الشيء وضده مثل الشجاعة والجبن . محاسن النساء ومعاييبهن . الكرم والبخل . الخ .

### المقالة الرابعة تقدير كتبه

لقد رأينا من قبل المقدار الضخم والعدد العظيم من التراث الادبي الذي خلفه الجاحظ . والان نحسبان نلقي نظرة ولو عجلى على اثر هذا التراث في محيطه ثم في من جاء بعده مقابلين وجهة السلب بوجهة الايجاب لنخلص الى رأينا الخاص في الموضوع .

اولا - سعة انتشارها واهتمام الناس بها = مثل هذا لا نستطيع توضيحه الا بائنة مأخوذة من مصادر موثوق بها . وطبعاً لا نستطيع ايراد كل شيء . ولذا نقتصر على اهم ١ - قال الاندلسي كان طالب العلم في المشرق يشرف عند ملوكها بلفاء ابي عثمان فوقع اليها كتاب التريخ والتدوير له . فاشاروا اليه . ثم اردفه عندنا كتاب البيان والتبيين فبلغ الرجل السماك بهذين الكتابين . فخرجت لا اعني لا شيء حتى قصت بغداد وسالت عنها . واقمت عليه عشرين سنة . مأخوذة من ياقوت ١١٤٠ / ٦ / ٢٤ - ١٩ / ٦ - ١٣ / ٢٥ .

ب - قال علي بن عيسى النحوي سمعت ابن الاخشاد شيخنا ابا بكر يقول = ذكر ابو عثمان في اول كتاب الحيوان اسماً كتبه ليكون ذلك كالفهرست . ويربي في جملتها الفرق بين النبي والمنتبي . وكتاب دلائل النبوة . وقد ذكرهما هكذا على التفرقة . واعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع لشيء دعاه اليه . فاحببت ان ارى الكتابين . ولم اقدر الا على واحد منهما وهو دلائل النبوة . وربما لقب بالفرق خطأ . ففهمي ذلك و سائني سوء ظفوى به . فلما شخصت من مصر ودخلت مكة كثرها الله تعالى حاجاً ، اقامت منادياً بعرفات ينادى والناس حضور من الافاق على اختلاف بلدانهم وتنان اوطانهم وتباين قبائلهم واجناسهم من المشرق الى المغرب ومن مهب الشما الى مهب الجنوب وهو المنظر الذي لا يشابهه منظر " رحم الله من دلنا على كتاب الفرق بين النبي والمنتبي لابي عثمان الجاحظ على اى وجه كان " . قال فضاف العنادى ترابيع عرفات وعاد بالخسبة وقال = حجب النار مني ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به . قال ابن اخشاد = وانما اردت بهذا ان ابلغ نفسي حذرهما) . وتعليقاً على هذا قال ياقوت ( وحسبك بها فضيلة لابي عثمان ان يكون مثل ابن الاخشاد وهو ما هو في معرفة علوم الحكمة وهو راس عظيم من رؤوس المعتزلة يستهان بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام) . مأخوذ من ياقوت ١٦ / ٢٣ / ٦ - ١ / ٢٣ / ٦ .

ج - أما الجاحظ نفسه فقد سرد قائمة طويلة باعتياب الناس لكتبه وشدة حرصهم على الاطلاع عليها . وفي العداوة والحسد تكلم عن مبادرة <sup>الزكريا</sup> لانقاس كتابه في تحليل <sup>الزكريا</sup> النبيذ ص ١٠٣ . وفي ذات الرسالة قال وربما الفت الكتاب السخيف باسم غيرى من كبار الكتاب

فيتحول القاذح مادحا وذو الموقف السلبي ايجابيا ص ١٠٩ وغيرها كثير .

د - حدث ابن مفسم فقال = بعد ان طال سؤال الناس لابي هفان ( لجله لا تهجو الجاحظ وقد فدد بك واخذ بمخنقك . قال = اهللي بخدع عن عقله . فوالله لو وضع رسالة في ارضه انني لما امت الا بالصين شهرة . ولو قلت فيه الف بيت لما ظن منها بيت واحد في الف سنة ) . ماخوذ من ياقوت ١٦/٧١/٦ - ١٩/٧١/٦ .

هذه اربعة اقتباسات تدل دلالة واضحة على تقرب الغم صدور كتبه لياخذوها بما تستحق أولا تستحق من التقريظ والتعريض . وعلى اهتمامهم بما سيحيي فيها . وعلى تنلذهم عليها واخيرا على سعة انتشارها اذ وصلت بالنعل الى الاندلس واصلها ابو هفان للصين بمالعة .

ثانيا - ما قاله اعداؤها = قال ابن شهيد = لم يكن الجاحظ مخلصا في كتبه ولهذا جاءت مقطعة مشوشة . والسبب في ذلك انه لم يرد ان يعطي فارقه كل ما عنده . وقال ابن تكتيه لقد قصد الجاحظ الى المضاعف والعبث في كتبه فانسد الكثيرين . وقال البغدادي اذ مر على طائفة من كتبه مشعرا الى نواقصها - واما كتبه المزخرفة فاصناف . منها كتاب في حيل اللصوص وقد علم بها النسفة وجوه السرقة . ومنها كتابه في غش الصناعات وقد انسد به على التجار سلمهم . ومنها . . . ومنها كتبه في القحاب والكلام واللاطه وفي حيل المكدين . وانتهى بقوله ومعاني هذه الكتب لاثقة به وصفته واسرته .

واذا كنا لنستنتج من هذا شيئا فليس الا ان اعداءه تنكروا له وما راوا في كتبه الا الجانب الاسود الذي اخذه <sup>واسطة</sup> وظنوه غاية . فتقصوا قيمتها . وظلموا الجاحظ .

ثالثا - ما قاله انصارها = قال ابن العميد كُتب الجاحظ تُعلم العقل اولا والادب ثانيا - وقال ابن دريد وقد ذكرت بين يديه اجمل بفاع الارض = هذه متنزهات العيون ثاين انتم من متنزهات القلوب . وعندما سئل ما هي = قال كتب الجاحظ . وقال الاندلسي رضيت في الجنة بكتب ابي عثمان . وقال القاضي الفاضل ما منا معشر الكتاب الا اعتمد عليه واغترف من ادبه إن في كبير او قليل .

وهذا يرينا بوضوح وجهة نظر اخرى مغايرة للاولى تمام المغايرة . لكن بما ان الحد

واحد وانه لا بد من ان يُكشف نقابه فيبان مع اى الفريقين ، نورد الفقرة التالية .

رابعاً - النتيجة = النتيجة هي ان كتب الجاحظ قد اتسعت لمواد كثيرة وطرفت موضوعات متعددة من ادب لعلم لدين . واصطبغت بالوان متباينة من هزل لجد لما بينهما . ولهذا فمن الطبيعي ان تُعجب اناسا ولا تعجب اخرين . لان رجل الجد لا يعجبه الهزل ورجل الهزل لا يقبل بالجد . وقد اشار الى هذا في الحيوان فقال = وهذا كتاب احتوى على اشياء كثيرة متغايرة . فخذ منها ما يعجبك واترك ما لا يعجبك . فقد يعجب غيرك . أولاً لان الناس متباينون وثانيا لانني لم اؤلفه لواحد منهم بالذات .

ومن هذا نرى ان جماعة السلب ليسوا على حق لانهم اخذوا ما ارضاهم ونقموا على ما لم . في حين ان جماعة الايجاب اخذوا ما ارضاهم ايضا وسكوا عن ما لم . ولعمري ان الحق لفي جانبهم او بالاحرى هم اقرب اليه .

واما نحن فقد راينا محاسن الجاحظ كما راينا مساوئه . وعند تصفية الحساب وجدنا انه دُنيا من المعرفة وان كتبه بستنان حافل بكل شيء . وان الحكم على رجل مثله "عظيم" ، او على ادب مثل ادبه "ضخم" ، بكلمة او بسطر ، حرام وظلم ودليل غباء . ولهذا سنحاول ان نتوسع في تحليل هذا التراث تحليلًا دقيقًا بقدر ما تسمح لنا به الظروف في الفصول الالية نعني في فن الجاحظ ثم في علمه ثم في دينه . <sup>لقد استوفينا ما</sup> وعدنا . نستطيع ان نحكم عليه في فصل الختام .



## المقالة الاولى - اسلوبه في التأليف عامة

x-x-x-x-x

ان رجلا كالجاحظ عارك الحياة وهاركة جوالي القرن ، وانغمس في بحر القراءة والكتابة والتأليف اكثر من خمسين سنة لحرى بان يكون له اسلوب واسلوب خاص به . سواء في كيف كان يهاجم موضعه مما يقابل " بسلان " . او في كيف كان يصوغ عبارته مما يقابل " ستايل " او في كيف كان يفد من مادة ادبه وعاملها مما يقابل " ساينتيفك ميتود " . ولهذا - خصصنا هذا النصل - بكامله - لنتكلم عن كرمها بقدر ما تسمح لنا به الظروف .

اما اسلوبه في التأليف فنستطيع ان نفسمه لشقين الاول اسلوبه النظري اي ما كان يطلب من قارئه ان يتبعه في كتاباته . والثاني اسلوبه العملي اي ما كان يتبعه هو بذاته حين كان يكتب . ولنذكر الى جانب هذا ان الجاحظ كبيرا ما كان يحاول ان يغرب بين النظري المثالي والعملي الناقص . الا انه كان يعجز وكان يقر بعجزه . لكنه رغم ذلك كان يدون هذه التواصي المثالية في التأليف ليطلع عليها الخلف فيستفيدوا منها ما دامت الفائدة قد فاته .

### اولا - اسلوبه النظري في التأليف

اما تواصيه في التأليف فاليك اهمها . اولاً جمعناها وثانياً نشرناها ثم عدنا نرتبناها ليكون منها شبه قائمة تامة ننسبها للجاحظ . اذا ما اتبعها الكاتب نجح في كتابته واصاب الهدف المقصود ...

اولا اعرف كماتك - يقول الجاحظ ان الناس ذوي مواهب مختلفة فمنهم من يحب التجارة . ومنهم من يحب عمل السلطان . منهم من يحب العلم ومنهم من يحب اللهو . هذه طباع الناس متفرقة . قد هبطهم الله عليها . لان في ذاك صلاحهم . ولا يني حتى يردف فيقول = تصور جميع الناس ذوي عقلية واحدة يحبون الطب مثلا . وتصور مجتمعا كله اطباء . بآية حالة من التعاسة

يكون افراده . الطب بذاته صنعة جميلة ولكن لا قيمة له اذا لم يوجد المرء . ثم تصور ان جميع الناس ذوو ميول واحدة وان هاته الميول اتفقت على حب تسمية الابناء بمحمد . وان نتيجة لهذا كان لدينا مجتمع كل افراده يسمون بمحمد . كيف يمكن التفرق بين اعضاءه . ان في التفرقة سعادة البشر . وعلى هذا فلا الناس متفقين في طباعهم ولا الاتفاق مفيد . انما هم مختلفون . فعليك ان تعرف نفسك وتعرف كفايتك وتعرف الى اى الكفايات انت اميل . تمثيل الينا . وتمشي معها لتبرز فيها . قال في البيان ( تحول الى اشهى الصناعات اليك . واخفها عليك . فانك لم تشتهها ولم تنازع الينا الا وبينكما نسب والنسي لا يحسن الا الى ما يشاكله )

ثانيا وضح فكرتك = يقول بعد أن تعرف ميلك . ولنفرض انه الكتابة . وتعرف شهوتك منها ولنفرض كتابة الرسائل . اجلس الى تلك الشهوة واكتب فيما تريد . لكن حذار ان تكتب شيئا الا بعد ان تفكر فيه وتغلبه على وجوهه وتعمل النظر في ثناياه . اخبر مقدماته . وانظر في نتائجه . ودقق كل التدقيق فيما بين يديك منه . فخير شعراء الجاهلية الحوليون . وخير كتاب كل عصر المدققون . اما الرأي الفطير . او أدب المناسبات كما هو تعود بعضهم ان يسميه ، فلا قيمة له ولا وزن عند الجاحظ . قال في البيان ( وما انا والراى الفطير ) ونفخ على لسان احدهم بهذه المناسبة فوله ( والله ما اشتهي الخبز الا باثنا ) . وفي تفصيل النطق على الصمت قال في المجموعة ( فالوجه النافع ان يدور ( المعنى ) في مسامحه ( الكاتب ) ونيب في قلبه ويختم في صدره . فاذا طال مكثها تناكحت ثم تلاقحت فكانت نتيجتها اكرم نتيجة وثمرتها اطيب ثمرة ) .

الا انه يجب ان لا يفهم من هذا ان الجاحظ لا يجب ان يكتب قاروه الا بعد اعمال عسير أيوب . وينام ثم اهن الكهنة . فلا يضطر الى لب اللباب ولا يدون الا مختار المختار . كلا . فالجاحظ في الحقيفة كان على عكس هذا على خط مستقيم كما يقولون . ولم يفته ان يصرح به عندما قال ( وليس الكتاب الى شيء احوج منه الى انهام معانيه . حتى لا يحتاج السامع لما فيه الى رمة . ويحتاج من اللفظ الى مدار يرتفع به عن الناظر السفلة والحشوة . ويحطه من غريب الاعراب ووحشي الدلام . وليس له ان يهذبه جدا ، وينقحه وصفه ويروقه . حتى لا ينطق الا بلب اللب . وباللفظ الذي قد حذف فضوله وتعرفه واسقط زوائده حتى عاد خالما لا شوب فيه . فانه ان فعل ذلك لم يفهم عنه الا بان يجد لهم انها ما مرارا وتكرارا لان الناس كلهم

قد تمودوا البسوط من الكلام وصارت انهماهم لا تزيد عن عاداتهم . الا ان يعكس عليها ويؤخذ بها ) .

ومن هذا نرى ان الرجل لم يحب التدقيق للتدقيق . ولا التفكير للتفكير . ولا التوضيح للتوضيح . وترك التكلف لترك التكلف . انما أرادها وشدد عليها اولا لتوضيح الفكرة في راس القارئ . ومن ثم لتوضيح امام عقل السامع . وكل هذا حرصاً على عدم إجهاد الاخير . ولعمري لا اعرف بعد هذا الى حد سيظل نضل نظرية الاتصال على جهد القارئ التي قال بها سبينسر لسبنسر . والجاحظ سبقه اليها بقرون .

لكنه يقول ان المادة المنوي الكتابة فيها لن تتضح ما لم يكن الكاتب اولا ميالا اليها لطبيعة كما مر . وثانيا قد سعى اليها بقصده كما سيأتي . الجاحظ يؤمن بأن للفطرة وللمواهب الطبيعية دخلاً كبيراً في نجاح الاديب . الا انه يقول ان على الاديب ان لا يركن للطبيعة . بل عليه ان يدرس ويطلع ولا يترك شاردة ولا واردة الا اطلع عليها ان لم يدرسها ويهضمها . اطلع على الاصول . واطلع على الفروع .<sup>٢</sup> اجمع هاته الى تلك . وادخلها في عقلك ماصهرها في اتونه وقولبيها في قلبه . ومن ثم يصح ان يقال ان الفكرة قد وضحت لك وانه من السهل عليك بعد هذا ان توضحها لفريق .... ~~الذي~~ ~~الكتاب~~ .

ثالثاً - اختر الساعة = ليست كل اوقات المرء صالحة للكتابة . بل ان هناك ساعات معينة . وهذه الساعات او ما تقابل بالانكليزية "مودس" تختلف باختلاف الاشخاص . فبعضهم من لا تواتيه الا في السكون ومنهم من لا تواتيه الا وسط الصخب . في حين ان كثيرين لا تاتيهم الا وبنيت الكاس قد لعبت . يقول الجاحظ لعرف نفسك من اي الناس ، واعرف ساعتك الخاصة بك متى تكون . اعرفها جيداً وحاول ان لا تكتب الا فيها ، لانك فيها تكون مشغولاً وفي غيرها لا . قال في البيان ( خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك . فان قليل تلك الساعة اكرم جوهراً . واشرف حساباً . واحسن في الاسماع . واهلج في الصدور . واسلم من فاحش القول . واجلب لكل عين وغزة من لفظ شريف ومعني بديع . واعلم ان ذلك امر اجدى عليك مما يعطيك يومك

الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة . وبالتكلف والمعاودة . . . . . (١)

رابعاً - الان ابدأ الكتابة = على شرط ان لا تخط كلمة قبل ان

تذكر اسم الله وتحمده على ما أتاك من نعم ووهبك من مساعدات . وبمثل هذا أنهىها . قال الجاحظ . (واجب كل ذي مقالة ان يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها . كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها .) (٢)

ونحن نعتقد ان هذه روح العصر وميلاته اكثر منها روح الجاحظ واختراعاته . فهو في كثير من الاحيان شذ عنها . وفي كثير غيرها تركها . وعلى العكس بدأ بالدعاء للمسيح كقوله في اول رسالة الحاسد والمحسود = ( وهب الله لك السلامة . وادام لك الكرامة . ورزقك الاستقامة . . . الخ . ) وكقوله في آخر السودان والبيضان = ( فهذه جملة ما حضرنا من مفاخر السودان . )

خامساً - وفي الانشاء = في انشاء الكتابة يقول للجاحظ . عليك = أولاً ان لا تتخذ بالظروف العارضة ، وثانياً ان لا تبال إذا ما عصاك القلم . وثالثاً ان تكون على حذر من نقذات قرائك واخيراً وليس آخراً اياك ان تغتر بمقدرتك ولتفصيل جملة هذا نورد الامثلة التالية مفتحة من اقواله التي وردت متناثرة في مواطن مختلفة من كتبه .

١ - قال الجاحظ في الحيوان = ( وليس في الارض انساني الا وهو يطرب من صوت نفسه ويمتريه الغلط في شعره وفي نشره . الا ان الناس في ذلك على طبقات من الغلط . فمنهم المغرور المغرور ومنهم . . . ومنهم . . . ولذلك احتاج العاقل في استحسان كتبه وشعره من التحفظ والتوقي ومن اعادة النظر الى اضعاف ما يحتاج اليه في سائر ذلك . ) ثم يفصل اجمال هذا بقوله - فما اكر من يبتدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة . . . . . ثم يضيف ( واعلم ان العاقل ان لم يكن بالمقتبع ، فكثيراً ما يمتريه ما يمتريه من ولده ، أن يحسن في عينه منه ، المقبح في عين غيره . فليعلم ان لفظاً أقرب نسباً منه سراً به . وحركة امس به رحماً من ابنه . . . . . ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره وفتنة بكلامه وكتبه فوق فتنة بجميع نعمته . )

نكأه **نه** يريد ان يقول بعد ان تغد كل ما سبق من التحضيرات وتقدم للكتابة لا تترك للمواطن الجبل فضل بك سواء السبيل . بل حكم العقل واكتب .

٢ - الا انك حتى لو حكمت عقلك ووفيت بالعدة فانك في كثير من الاحيان تمل وتسأم وتضجر . تريد ان تكتب وكل شيء جاهز . لكن القلم لا يصاوع . فما تعمل به ! يقول الجاحظ عليك اولاً بالصبر والناة وطول البال . حاول ثم حاول . لكن اذا بان واضحاً ان كل محاولة معناها ضياع الوقت فإياك تضيق الوقت . بل حالاً اترك الموضوع وتحول الى غيره فعمل في التحول الفائدة المطلوبة . قال ( فان كانت المنزلة الاولى لا تواتيك ولا تفيدك ، ولا تسمح لك عند أول نظرك ، وفي أول تكلفك ، وتجهد اللفظة لم تقع موقعها ، ولم تصل الى فراها والى هدفها من اماكنها المقسومة لها ، والى القافية لم تحل من مركزها ومن نصابها ولم تصل بشكلها وكانت قلقة من مكانها نائرة في موضعها — فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن والنزول في غير ~~الاماكن~~ اوطانها . فانك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك احد . وان أنت تكلفها ولم تكن صادقاً مطبوعاً ولا محكماً لسانك بصيراً بما عليك او مالك ، عابك منه انت اقل عيباً منه . وأرى من هو دونك أنه فوقك . فان ابتليت بان تتكلف القول ، وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطبع في اول وهلة وتعضى عليك بعد اجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك أو سواد ليلك . وعادده عند نشاطك وفراغ بالك ، فانك لا تعدم الاجابة والمواناة ، ان كان هناك طبيعه او جرئت من الصناعة على عرت . فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرّص ومن غير طول اعمال ، فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك ) . هكذا يريد الجاحظ . فكري ، ثم جرّب ، وان لم تر في الأمر بصيص نور فتحول .

٣ - في اثناء الكتابة لا تكن اثنائاً ، لا يفكر الا بنفسه . فانت لا تكتب لنفسك إنما تكتب للناس . فراع حقهم . ولكن هذا لا يعني تغيير المبدأ الذي من اجله تكتب . إنما يعني ان لنشاطهم حداً لا يمكنهم ان يتجاوزوه فلا تحملهم مالا طاقة لهم به . وان لصبرهم كذلك معياراً تساعدهم على ان لا يفقدوه . وان لهم اراء ومذاهب اعتنقوها منذ القدم فلا تحاول ان تبدلها بكلمة او تغييرها بسطر فان ذلك من غير المعقول . حاورهم تارة . ودارهم اخرى . إرضهم معهم الى آخر الشوط . لكن حرّثهم قليلاً قليلاً اثنائاً . اضحك معهم فانهم ينسون ما بدؤوا به . اهزل واباهم فانهم يتسلون بذلك عن قصدك . وفي الاثناء سر الى هدفك دون خوف او وجل .

ولهذا استعمل الجاحظ الهزل ودافع عنه . واستعمل النادرة وحسنها . وقصّر  
الجملة واستخدم اشياء كثيرة لهذا الغرض ، مما سيأتي شرحه فيما بعد . إنما الذي نحجب ان نشير  
اليه هنا بتخصيص قوله يوصي من يريد ان يكتب كتابا ( أن لا يكتبه الا على ان الناس كلهم له اعداء .  
وكلهم عالم بالامور . وكلهم متفرد له<sup>١</sup> ) . الحيلة والحذر . سوء النية بالناس وهدم الاطمئنان الى  
ايجابهم . عو ما يوصي الكاتب ان يتخذ . دستورا لينجح . وجميع منه هذا خصوصا بعد ان قدّم قبل  
هذا بضرورة عدم الاغترار . اما ان يكتب على أنه الكل في الكل ولا يهتم باي كان غيره ، فان ذلك لا  
يد وان يوقعه في المزالق . والسبب في كل هذا عند الجاحظ هو ( لأن عقل المنشئ مشغول وعقل المتصفح  
نارغ<sup>٢</sup> ) . ولعمري إن هذه لقاعدة ذهبية يجب ان يضعها نصب عينيه كل كاتب لأنها تريحه من اشياء  
كثيرة مرعبة وتباعد كئيبا عن مزالق لم يقصدها . خذ مثلا صالبا يكتب رسالة فصلية . ويستعد لها  
الاستعداد الكلي . وجمع لها المعلومات من كل ما وصلت اليه يده . ويسهر على كتابتها الليالي . ويصرف  
على تنقيحها الايام . ويطبّعها . ويجلدها . ثم يقدمها للاستاذ وحرارته مرتفعة . ودمه يغلي . ودماعه بكل حروف  
من حرونها مشغول . ياخذ الاستاذ الرسالة وعلى طاولة بسيسة . أو في كرسي ونير . أو بجانب نافذة تنل  
على مناظر بديعة ، بيده سيجارة وامامه قدح شاي يحاول استاذنا ان يقرأ الرسالة . بفكر هادئ وعقل  
مترن ودم " ابرد من دم الانكليز " يأخذ ينتقد ، ويخط هنا وهناك خطوطا حمراء = هذا غلط .  
وهذا لا بأس به . وهذا نسيت فيه نقطة . وهذا جمع نادر . وهذا ... وهذا .... الطالب لم  
يفكر بالنقطة لانه إما ان يكون قد سماها ، ولو ذكرها لما وضعها لفلة قيمتها بالنسبة لما هو بصدده  
( نقطة ) . وإما ان يكون احسن النية بالاستاذ . لكن هيماته للقارئ ان يضع نفسه موضع الكاتب  
يسامحه بالنقطة وتسامهل معه بخطأ كتابة همزة حتى ولو كان يكتب في لغوة الموضوعات .

الى هذه المسائل نبه الجاحظ الكاتب من القارئ . واوصاه بان يكون منه على حذر .

حارماً - والان لنفرض ان الطبيعة وانتك . وان القلم طاعوك . وان الملل ملك ولم يغرب  
جانبك . وانت اتخذت كل الاحتياطات التي اوصاك بها ابو عثمان . وكتب كتابا . ترى هل تنشره في  
الناس وتقول = سينال رضائهم . وسانجح فيه . كيف لا وقد طبّق عليه كل ما قال الجاحظ !

اما الجاحظ فيقول انتظر قليلا ، نلي وصية اخيرة احب ان اسمعك اياها . اياك اياك

والنور حتى في آخر لحظة . فبعد ان تكذب ما تريد اذهب به الى من عركوا موضوعه وشاورهم في الامر بأن تعرضه عليهم في جملة كتابات الآخرين . فان نال استحسانهم فانشروه . والا فعاوده ونقحه . واذا تم لك كل شيء فانشروه . والا فاقذف به دون ما تردد . قال في البيان ( اياك أن تدعوك ثقتك بنفسك وتدعوك عجبك بتمرة عقلك الى ان تنتحلها وتدعيه . لكن اعرضه على العلماء في عرر رسائل واشعار وخطب . فان رأيت الاسماع تصغي اليه . واعيون ~~تصيح~~ تحدج اليه . ورأيت من يطلبه ويستحسنه . فانتحلها . فان كان ذلك في ابتداء امرك وفي اول تكلفك فلم تر له طالبا ولا مستحسنا فلعله ان يكون - ما دام ريشا قضييا - تعنيسا ان يحل عندهم محل المتروك . فان عاودت أمثال ذلك مرارا فوجدت الاسماع عنه منصرفة والقلوب لاهية . فخذ في غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه او زهدهم فيه<sup>١</sup> ) . وإخبار الفلاس على منتوجك او نفورهم منه ، اجعلهما الرائد الذي يسيرك في كل ما تكتب . وهذا جميل . فالجاحظ يرى أن قيمة الأدب متوقفة على الكاتب والقارئ . ولا ياخذ " الادب " محله اللائق به من حيث علو الدرجة وسفلها إلا باتفاق رأييهما .

هذه أهم الوصايا التي جاء بها ابو عنتاب من حيث الفكرة العامة عن التأليف .

اما المسائل الأخرى الخاصة بالمعنى مثلا وباللفظ كذلك وفي كليهما بعده ، فسيجيء شرحه في بحث النقد من باب " فن الجاحظ " . فكرر حتى تنضج الفكرة وتنضج في عقلك . ثم اكتب تحت شروط معينة . لأن الغرض من الكتابة هو ايصال ما في عقلك الى عقل قارئك . وهذا لا يكون بوضوح ما لم يكن قد وضع عندك أولا . ومعد ان تنتهي ، فكر في مسائل ثانوية كالرواج في السوق وعدمه . وهذا لا يكون الا بالاستفادة من آراء من سبقوك الى هذا الميدان .

## ثانيا - اسلوبه العملي في التأليف

لقد طالعنا كل ما <sup>صحيح</sup> لحد الان من أدب الجاحظ ثلاث مرات . وفي كل مرة كنا نجد نفساً جديداً يقرنا من رج الجاحظ الأصلية . واخيراً قفلنا الكتب وقد ادركنا الوقت وقفلنا لعل فيما حصلنا عليه الكفاية فلندونه بقدر ما ظهر لنا ومقدر ما سنقدر على اظهاره للناس .

يقولون ان الاسلوب هو الرجل . ويقولون ان الكاتب الكبير والاديب الذي يستحق بجدارته ذلك اللقب ، هو الذي اذا قرأت او سمعت له قطعة عرفت أنها له . وتكون قدمه راسخة بنسبة .. مضردة مع عدم تحريك او قلة تحريك في تلك المعرفة . نقول اذا صح هذا القول \* وهو في الحق صحيح - فان الجاحظ اكبر اديب عرفته العربية . فهو نسيج وحده وفريد دهره . إقرأ له اينما تقرأ تعرف نفسه . وطالع له اينما تطالع تعرف ان ما بين يديك للجاحظ . وما ذلك الا لانه اول وافندر كاتب عرفته العربية استطاع ان يصوغ شخصيته كلمات ، وأن يفرض ذاتيته على كل معنى من معانيه او صورة من صوره . واليك الان بعض القول في هذه الصفات الخاصة التي تتجلى لنا من درس اولى نواحي اسلوبه وهي : كيف كان يهاجم موضعه بعد أن جمع معلوماته . وما رائده الذي كان يسيره فيه .

اولا كان يختصر لئلا يمل . وثانيا كان يلخص لكي يجمع المتباعد . وثالثا كان يكرر لكي ترسخ الفكرة . رابعا كان يطيل لكي يبان الغامض . وخامسا كان يستطرد لبنوع . وسادسا كان يهزل ليرطب الجد . وسابعا كان يستسأل ذن في التساؤل اثارة . واخيرا كان يخاطب القارئ لان في الخطاب ابقاء على انتباهه . - كل هذه مسائل خاضة كان يحرص عليها الجاحظ كل الحرص لغرض واحد فقط ، وارضاً لتأحية واحدة من ناحيتي بناء الادب نعني "القارئ" . كان الجاحظ جدا حريصاً على قارئه . وجدا مشغولاً بالابقاء على نشاطه ليسايره في كل المفازة . وقد تطرف في ذلك حتى "خلط له السم بالدم" كما يرى بعضهم عندما يقرأ استطراداته في الادب المكشوف ان كان من " الاخلاقيين " او تندره برجال الدين ان كان من جماعة " لا اله الا هو " .

الا ان هذه ، اذا كان الجاحظ حرس عليها من اجل القارئ ، فان هناك غيرها حرس عليها لان طبعه هكذا أراد . مثل المحافظة على ذكر غرض الكتاب في <sup>أوله</sup> .



وثانيا ذكر مادته اما في اوله كُأنه فهرس اليوم أو في غير ذلك ، مبعثرا هنا وهناك كيفما اتفق .  
 واخيرا إرجاعه عن التصريح بآرائه الخاصة بكلماته الخاصة في أكثر كتبه الكبيرة نعتن الحيوان  
 والبيان والبخل . فالذى يطالع هذه الثلاثة ، وهي طبعاً عمدة أدبه ، يجد اقوالاً واقوالاً  
 واستشهادات واستشهادات من كل ما يمكن الاستعانة به في موضوع واحد . لكن رأي الجاحظ  
 الخاص فيه بكلماته الخاصة به ، قلما تعتر عليه . وهذا ما لاحظته الكثيرون عليه وعابوه به  
 وما ألاحظه انا بدوري واسميه " الجبن الادبي " . ولتفصيل مجمل هذا ، نورد ما يلي  
 من الامثال ، مقتبس من حيث استطعنا اقتباسها من كتبه .

اولا كان يختصر لثلا يمل = اذ ان الملل في رأي الجاحظ أنه الفارئ وعدو الكاتب . فعلى الكاتب  
 نفسه ان ينفي عنصره من ادبه لا ان يركن الى سعة بال الفارئ . فالتناس كما عرفنا ليسوا كلهم  
 سواء . والاختصار عند الجاحظ كان إما بإيراد قسم من قصة طويلة ثم بقولها والاكتفاء بما  
 ورد . او بإيراد قسم قليل من شواهد عديدة كان يمكن ايرادها كلها . اما الأسباب التي  
 ذكرها لهذا الاختصار فكثيرة ومتنوعة اهمها الابقاء على نشاط الفارئ . ثم الخوف من الخروج  
 عن مقدار شهوة الناس . ثم كثرة المادة واستحالة ايرادها كلها . ثم مسابقة القاعدة الذهبية  
 " خير الكلام ما قل ودل " بتسليم الأحسن فالأحسن . واخيرا الاعتماد على فهم الفارئ .

١- قال في البخل ( ولولا ان يخرج الكتاب من مقدار شهوة الناس ، لكان الخبر  
 عن الاعراب أكثر من جميع هذا الكتاب ) . وقال في الحيوان ( ولولا ان يطول الكتاب لذكرت لك  
 الجميع " اي جميع الشواهد " ) . وهذان القولان ان كانا ليدل على شيء فانما على خوف من  
 النطول وحصر على ابقاء شهوة الفارئ واستثناسه متقدين .

٢- وقال في البيان الثالث ( واما العصا فلو شئت ان اشغل مجلسي كله بها  
 وبخالها لفعلت ولكن ذلك لا يفيد ) . وفي " العداوة والحسد " قال ( ولم نستقص الابواب كلها  
 المعارضة في هذا الباب ولو استقصيناها لطالت بنا الانام . وانما ذكرنا من كل باب عرض ما دل  
 على معناه الذى اليه قصد ) . وهذان القولان ان كانا ليعطيا مغزى ايضاً فانما ان جعبة  
 الرجل ملئت . لكن ليس المقصود افراغها بقدر ما هو اصابة الهدف الاصلي .

٣. وقال بعد هذا في " مناقب القويك " ( ولكن رأينا القليل الذي يجمع خير من الكثير الذي يفرق . ونحن نعوذ بالله من هذا المذهب<sup>الاعتدالي</sup> ) . أما في " كتمان السر " فقد كان آيين اذ قال ( وهذا باب لولا ان نشغل القارئ لهذا الكتاب بغير ما قصدنا اليه وعزمنا عليه لاتينا عليه وهو كبير وموجود لمن طلبه . ( لكن ) - جملة واحدة فيها كفاية<sup>١</sup> ) . وفي " الحنين " قال = ( ولو جمعنا اخبار العرب واشعارها في هذا المعنى لطال اقتصاصه - ولكن توخينا تدوين أحسن ما صنع من اخبارهم واشعارهم وبالله التوفيق<sup>٢</sup> ) . واطن ان في هذا كفاية للتمثيل على مقدار فساد الرجل الى الاختصار ومقدار تمسكه بما قل ودل واستخدام الاحسن في الاحسن طريقا لذلك .

٤. أما في البخلاء فقد ذكر سببا يدل على مقدار اتصاله بقارنه واعتماده على مفهومه لدرجة يختصر معها لا ليبقي على نشاطه فقط انما لانه يُخمين الظن به . قال ( وليس ينبغي من تفسير كل ما مر إلا الاتكال على معرفتك<sup>٣</sup> ) . - قد يخيل للقارئ ان الجاحظ قد وقع في النخ كما يقولون . والا كيف قال بوصي غيره قبل مدة بأن لا يكتب إلا على أن كل الناس له اعداء، ثم يأتي هنا ليركن على " اعدائه " ؟ لتخليص أبي عثمان من هذه الورطة عندي رأي بسيط وهو انه في هذا الموضوع كان يكتب لخاصة الناس وليس لعامةهم . ودل على ذلك قوله مردفا ( وليس هذا الكتاب نفعه الا لمن روى الشعر والكلام وذهب مذاهب الفهم او يكون قد شدا منه شدا حسنا<sup>٤</sup> ) . والخاصة كما يعلم الجميع يفهم بعضهم بعضا ويعتمدون على مفهوماتهم . ولولا هذه القاعدة لتعذر على الراسخين في العلم ان يكتبوا كل شيء . ولو حاولوا ذلك لحافهم عن الشيء الكثير . وبروكلمان الذي طالعهنا مثل واضح على ما نقول . نعم إنه مغمز ومطعن . لكن غامزه وطاعته لن يكون من الخاصة بل من العامة الذين لم يصلوا الى مستواه . وهذا المغمز لا يكون كذلك في الحق إلا اذا كان الرجل يكتب للعامة ولم ينزل لمستواهم او كان يكتب للخاصة ولم يشير الى ذلك . لكنه اذا أشار<sup>٥</sup> ( كما اشار الجاحظ ) فليس لغير المقصودين ان ينتقدوه لانهم ليسوا من الناس الذين كان يكتب لهم .

ثانيا كان يلخص لكي يجمع المتباعد - والفروق بين الاختصار والتلخيص كالفرق بين ذكر الشيء ناقصا وذكر اجزائه متباعدة ثم جمعها في قصير . وقد قصد اليه الجاحظ لذات القاعدة الذهبية العامة تعني الاقتصاد على الطرف الثاني . واليك امثلة مختصرة على ذلك لاننا لا نستطيع ان نورد هنا مطولة . والسبب في ذلك هو انها كانت تستغرق صفحات من كتبه .

قال في البيان ( قد ذكرنا في صدر هذا الكتاب من الجزء الاول وفي بعض الجزئ الثاني كجلا من كلام العقلاء والبلغاء ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء . وقد رصنا نوادر من كلام الصبيان والمجرمين من الاعراب . ونوادر كثيرة من كلام المجانين واهل العرة من الموسوسين . ومن كلام اهل الغفلة من النوكى واصحاب التكلف من الحمقى . نجعلنا بعضها في باب الهزل والفكاهة . ولكي ينس من هذا موضع يصلح له . ولا بد لمن استكده الجد من الاستراحة الى بعض الهزل ) وانا اقول معلنا على هذا ان لولا هذه الفقرة لصعب علي أن أجعل ما قال الرجل في الجزئين لحد هذه الصفحة . وذلك لكثرة ما قال من ناحية ولضعف الصلة بين اجزاء ما قال من اخرى " التشويش " . وهكذا يُقَصِّر أبو عثمان من ناحية لكثرة سرعان ما يعود يداوها من اخرى " التلخيص " . وتكون النتيجة ان تستقيم له الامور .

وفي البيان اثالث قال ( قد قلنا في صدر هذا الجزء الثالث في ذكرنا العصا ووجوه تصورها ، وذكرنا من مقطعات كلام النساك ، ومن قصار موعظ الزهاد وغير ذلك ما يجوز في نوادر الصغاني وقصار الخطب ) . ومن هنا يفهم القارى العارفة بين اجزاء ما قال وهي أن لا علاقة مباشرة قوية انما علاقة ضعيفة نستطيع بشق النفس ان نسميها علاقة .

وفي الحيوان السادس قال بعد التحييد ( قد قلنا في السطوط ومرافقها وفي عموم منافعها وكيف كانت الحاجة الى استخراجها وكيف اختلفت صورها ... وذكرنا جملة القول في الكلب والديك ... وذكرنا جملة القول في الحمام والذباب والغربان و ... وذكرنا جملة القول في الذرة والنملة وفي الفرد ... ثم ذكرنا بافية القول في المصانير والجوزان ... وقد بقيت بفيه<sup>٣</sup> ) . واذا علمنا ان ما جاء في الاقتباس الاول هو ملخص مادة الجزء الاول . والثاني ملخص الثاني . والثالث ملخص الثالث . والرابع ملخص الرابع . والخامس ملخص الخامس . وما جاء في السادس هو نظرة عامة على ما سيجي في السادس ، واذا عرفنا انه من الصعب على قارى كتابه ان يعرف الحيوانات التي تكلم عنها لتباعد الكلام على كل منها وخطط اجزائه ببعضها . واذا اضفنا أني شخصيا سررت وفرحت وكأني على كنز حقيق عندما انتحست اسماء الحيوانات التي تكلم عنها وقد كانت فكرتها لدي مشوشة - عرفنا او بالاحرى قدرنا حق قدرها ، قيمة هذا التلخيص الذي كان يتبسم الجاحظ هنا وهناك . ولثاني مرة نقول إن الجاحظ كان من أحكم الناس . كان يعرف نفسه وكان متأكدا من عيوبه . لكنه لم يستطع التغلب عليها بالمرة . ولذا راح يداورها بشق الطرق .

نالتا كان يكرر لكي ترسخ الفكرة - يقولون ان في الاعادة افادة وان التكرار يعلم الحمار .  
ولقد انتبه ابو عثمان الى هذه النكته وحاول ان يطبقها في أدبه . فكرر كثيرا من الاحاديث  
والاقوال والحكايات . واعاد جانبها عظيما من المشاهدات ومثلها الآراء الخاصة . الا ان الذي  
يجب ان لا نغفل عنه هو ان تكرار الجاحظ ليس من النوع الممل - لانه كان ابعد الناس عنه  
واشدهم نفورا منه <sup>بمكره</sup> . انما كان من النوع الذي يقارب بين الخطو وقرب بين المتباعد فيساعد على  
توضيح وتقرير الفكرة . وقد كان منه ذلك في كتاب واحد اي ان يعيد الشيء مرتين او اكثر في ذات  
الكتاب . أو أن يذكره في كتاب وسعيده في آخر . وكثيرا ما كان يشير الى تلك الاعادة الا انه في  
كثير غيرها كان يتغاضى عن ذلك وعلى القارئ ان يستنتجه . وكذلك نحسب أن نذكر انه في  
كثير من المرات كان يعيد الشيء بلفظه وفي غيرها كان يبقى على المعنى وغير اللفظ واليك بغض  
الشواهد تؤيد كل ما مر .

١ - حكاية ضميره مع النعمان - قال الجاحظ في البيان الاول ( ولما دخل ضمرة  
على النعمان ابن المنذر <sup>ع</sup> زرى عليه للذي رأى من دماسته ونصره وقلته . فقال النعمان : تسمع  
بالمعيدي لا ان تراه . فقال ابنت اللعين . ان الرجال لا تكال بالقفران ، ولا توزن بميزان .  
وليست بمسوك يستغنى بها ، وانما المرء باصغريه بقلبه ولسانه . ان صال صال بجنان وان قال  
قال ببيان<sup>١</sup> ) . ثم اعادها في ذات الكتاب بل في ذات الجزء فقال . ( ونظر النعمان ابن المنذر الى  
ضمرة ابن ضمرة فلما رأى دماسته وقلته قال : تسمع بالمعيدي لا ان تراه . هكذا تقول العرب . فقال  
ضمرة ابنت اللعين ان الرجال لا تكال بالقفران وانما المرء باصغريه لسانه وقلبه<sup>٢</sup> ) . وكل ما نرجوه من  
ايراد هذه الرواية المكررة هو اولا ملاحظة انها متقاربة اي في جزء واحد وثانيا ان الرجل لم يتقيد  
بالحرية بقدر ما تقيد بالمعنى .

٢ - حكاية الأعشى - قال ابو عثمان في الحيوان الثالث ( دخل ابو عتاب على عمر ابن  
هداب وقد كهد بصره والناس يعجزونه . فمثل بين يديه وكان كالجمل المحجم له صوت جهير .  
فقال يا أبا أسيد لا يسوءك ذهابهما . فلو رايت نوابهما في ميزانك تمنيت ان الله تعالى قد قطع  
يديك ورجليك ودفى ظهرك وادى صلحك<sup>٣</sup> ) . وفي الجزء الخامس من ذات الكتاب اعادها بقوله  
( ثم رجع الحديث الى ابن العطاء وضحكه . قال واما اليوم الاخر فان عمرا لما ذهب بصره ودخل عليه  
الناس يعجزونه ، دخل عليه ابراهيم ابن جامع وهو ابن عتاب من آل مصاد وكان كالجمل المحجم

فقال بين يدي عمرو فقال = يا أبا أسيد لا تجرحن من ذهب بصرك  
وان كانتا كريمتين فإني لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت ان يكون الله  
عز وجل قطع يديك ورجليك ودق ظهرك وأدمى صلمك .  
قال فصاح به القم وضحك بعضهم فقال عمرو: معناه صحيح  
ونيته حسنة . وإن كان قد اخطأ في اللفظ .) والرجو في هذه الاعادة  
اولا ملاحظة عدم الدقة في الاسماء فهو في الاولى "ابو عتاب" وفي  
الثانية "ابن عتاب" . ثانيا - ملاحظة التطويل والتقصير فهو من الاول  
يسرد سردا موضوعيا لكنه في الثانية يضيف الحواشي في الاول وفي الآخر .

٣ - حكاية أبوة الله وخلقه = قال في النصارى بتطويل  
وشرح وتعليق استغرق ما بين ٢٥ - ٣٢ في مسألة أبوة الله وخلقهم وورد  
اقوالا كثيرة قالتها النصارى لانبيات الاول واخرى مثلها قالتها بعض فرق  
المسلمين لانبيات حجة الثاني مما يصعب علينا نقله لطوله . ثم تطرق لذات  
المسألة في الحيوان الثاني ص ٩ فقال = (كما قالوا عيسى بن الله وابراهيم  
خليل الرحمن) هكذا قط بالاشارة . ومن هذا نحب ان نبرز نقطتين اولاهما  
تكراره مادته في كتب مختلفة . وثانيها تكراره لا باللفظ ذاته ولا بتحويره انما  
بالاشارة اليه . وهذا دأب الجاحظ في التنوع مع التكرار .

رابعا كان يطول او يشرح لكن ينجلي النامض = وفي هذا اكثر  
الجاحظ حتى رماء الكيرون بالاسفاف . واذكر من بين هؤلاء البغدادي الذي قال  
عن كتاب الحيوان انه ليس اكثر من سلاح لمعاني كتاب اريسطو فيه ، بالاضافة  
الى ما جمعه الجاحظ من احاديث المجاز وغيره . واذكر ابن قتيبة الذي قال  
انه كان يقصد الى المضاحك او العبث . واذكر الاستاذ سليم الذي قال  
"عندنا همسة ه همسة ه" وما درى هؤلاء ان الجاحظ لم يكن الا عالما نفسانيا  
واقفا على خفايا الامر . وما دروا ان شرحه وتطويله انما كان هدفهما الانهزام  
والتوضيح لا الترنثر والسفسطة كما ظنوا . وغرتهم كثرة امثله وخدعهم

طول المتشهاد . ونسوا انه/كان هنا اطلال فهو في اماكن كثيرة مختصر .  
وان رائده لم يكن هذا ولا ذاك انما كان فائدة القارئ قبلهما . وما هما مع  
غيرهما الا وسائل لتلك الحاية النبيلة =

اما امثلة شرحه فكثيرة نذكر منها مثلاً تاليفه البيان والتبيين  
لفكرة بسيطة واضحة كان يمكن ان يقول كل ما عنده تعريفها في قسم من  
الجزء الاول لكنه راح يملأ ثلاثة مجلدات . ونذكر أيضاً كتاب الحيوان  
الذي راح يتخذ فيه من الحيوان البسيط مطية يقول عن طريقها كل ما  
يجول بصدرة من معلومات ما كان يمكن طرحه دون اى اخلال بموضوع الكتاب .  
ونذكر الى جانب هذا مثلاً قريباً وهو البلاغة . هذه التي ملأ صفحات  
وصفات لا في التخييل عليها وغير ذلك مما قد يُعذر عليه ، وانما في تعريفها  
نقط . فهو لا يكتفى بإيراد تعريفها الذي يراه ، ولا تعريفها الذي سمعه  
من الاعراب ، بل يسأل الهندي ويستفتي الفارسي ويستفهم اليوناني . لا بل  
للزنوج رأى وللأقباش كذلك ، وليت الامر وقف عند هذا بلل ان- للتجار إدخال وللحداد  
حتى للرعاة .

قد يؤخذ كل هذا وتسامح به على انه تنوع أو انه تفسير أو انه  
احاطة بالاصول والفروع ، لكن ما لا شك فيه أن لكل امر غاية يجب ان يقف عندها  
ولا لمعتره النقضان . ونحن نقول إن الجاحظ في هذا قد جاوز الحد وتخطى  
المنطقة الحرام كما يقولون . قد يكون التطويل جميلاً في رسالة الترييح والتدوير  
لان روحها فكاهية ، لكني ما اظنه كذلك في تفسير "قصيدة" بشر بن المعتمر  
في ٦٠ صفحة من كتاب اسمه "الحيوان" أو من تخصيص ما لا يقل عن عشرين  
صفحة او فصل كامل ليقول لنا "الكتاب جميل فاقنوه" .

خامساً = كان يستطرد لينسج = استطرد الجاحظ او ما سماه  
بعضهم بالافتنان مشهور ، حتى ليخيل للمرء بعد كل هذه الشهرة ان الاستطرد  
واسلوب الجاحظ في التاليف شيء واحد أوهما على الأقل شيئان متلازمان .

لكن الحقيقة غير ذلك . إذ أن الاستطراد صفة لازمت تأليف الجاحظ  
في بعض الأماكن وبُعْدَ عنها في كثير غيرها . أما الأماكن التي كثر فيها الجاحظ  
استطراده فهي البيان والتبيين أولاً ثم الحيوان ثانياً والبخلاء بعده .  
في حين أن الاستطراد يكاد ينعدم بالمرّة في كل ما بقي من رسائله . والسبب  
في هذا التباين كما نظن هو أن الجاحظ في الأولى كان عالماً جملها يعتمد  
كثيراً على ما قال الناس ، وفي الثانية كان أدبياً خلاقاً يحاول أن يقرر أمراً  
وينسبته من عندياته . وإن اضطر استعان بغيره . هذا من جهة أما  
من أخرى فإن طول الكتب هذه كان يستلزم الاستطراد للترويح عن النفس  
الملل كما سنرى . في حين أن الرسائل كانت قصيرة وذات موضوع محدد فلا  
داعي للملل ولا حاجة به لمداراته .

أما مواد هذا الاستطراد فكانت في الغالب اللغة وما إليها  
من تفسير مفردات أو محاولة الوصول إلى البحر . أو إيراد مترادفات وما إليها .  
أو النوادر على اختلاف أنواعها من تاريخ أو فكاهة أو أدب مكتشف أو ترجمة وجل  
أو كلام حمقى ونوكى وصالحين وزمهاد . وفي كثير من الأحيان كان يستطرّد  
بمسألة كلامية . وفي غيرها يبحث فلسفي أو طبيعى . أو أمثالها ما كان يحفظ  
عن أساتذته ومن أحثك بهم . وهم كثر ومتنوعون .

كثيرون الذين قالوا أن الجاحظ كان يقصد الاستطراد . وكثيرون  
غيرهم قالوا لا بل كان يأتي به عفواً وبدون سابق عمد . والحقيقة أن كلا  
الطرفين محق فيما ارتأى . فالجاحظ كان يقصد تارة إلى الاستطراد ، فيقدم له  
بقوله ( والآن نتحول إلى قليل من الهزل . ) ويشير إليه بقوله ( وليس هذا من  
جنس ما نحن فيه ) . ويحسّنه في حين قارئه بقوله ( ولا بد لمن استكده  
الجد من الاستراحة إلى بعض الهزل ) . وتارة كان يضطر إليه اضطراراً دون  
ما وصي . فيمتدّر بقوله ( والآن نعود إلى ما كنا بصددّه ) . وقد يقرّ بمجرّه  
عن ضبط لقله بقوله ( كان في النية الترتيب إلا أننا عجزنا )

والخلاصة من كل هذا هي أن الجاحظ كان يقصد إلى الاستطراد

ويعتدده للتقويم والابقاء على نشاط القارئ . الا انه في كثير من الاحيان لم يكن يقصده انما كان يساق اليه بحكم العادة التي كان قد تمودها وبحكم الخطة التي كان قد اختطها لنفسه في تأليفه .

على كل هذا عن مواطن استطراده . وعن مادته . وعما اذا كان قد قصده ام لا . لكن هذا الاستطراد بحد ذاته = ترى هل هو محمود في التأليف ام مذموم . ثم الى اي حد يمكننا ان نلصق حمده او ذمه بالجاحظ شخصيا؟ . الحق يقال ان الجواب غامض وشائك . لانه يعتمد في الاكثر على الازواق . والاذواق مختلفة . ويعتمد على نسبة ذلك الاستطراد . وتعيين نسبة له ، أمر من الصعوبة بمكان . لكننا على العموم نقول ان الغاية التي اوجد الجاحظ من اجلها الاستطراد جميلة . اي الابقاء على نشاط القارئ . وعلى هذا فهي ( اي الوسطة ) جميلة ، ما دامت توصل الى هذه الغاية الجميلة . واذا زادت عنها او قصرت في ~~العمل~~ أدائها نذاك فيها منفر . وعلى هذا ، فعلى الجاحظ تقع كل التبعة في ~~فهم~~ استعمالها وحسن توجيهها . والجاحظ في هذا - كما رأينا - قد احسن تارة خصوصا في استطراداته القصيرة . وقصر اخرى خصوصا في استطراداته الطويلة التي تُنسي القارئ ما كان يصدره وتبعده عما كان يطالع من امثال ايراد تفسير لقصيدتين استغرق ما بين صفحة ٨٣ - ١٢٥ من الجزء السادس من الحيوان . ما لا يمت الى الموضوع السابق ولا اللاحق بصلة .

والان الى اي حد يمكنها ان نُحَلّل الجاحظ تبعات هذا الاسلوب ! وللجواب على هذا لا بد لنا من ذكر ما يلي = اولا ان فكرة القاص من الادب في تلك الايام كانت " انه الاخذ من كل شي " بطرفا<sup>١</sup> . وثانيا ان فكرة الجاحظ عنه كانت " هو ايراد الشاهد تلو الشاهد<sup>٢</sup> . وثالثا ان موضوعاته التي طرقها وخصوصا في البيان والحيوان جافة تحتاج لمنل هذه المداعبات الاستطردانية . رابعا ان نوع الثقافة التي تفقها الجاحظ كانت من النوع "الكشكولي" الذي ان كان لينتج طريقة في التأليف فانما هي هذه . وعلى هذا فنرى ان هذه عوامل تجمعت



وعلمت معاً في اتجاه واحد حتى خلقت ما يعرف " باستطراد الجاحظ " .  
 لكن مهما تكن العوامل . ومهما اثرت الظروف . فالجاحظ مسؤول  
 مسؤولية إيجابية مباشرة عن هذه النوضى التي سادت كتب الأدب فيما بعد .  
 أولاً لشهرته كعالم أدبي عصره . وثانياً لتقدمه في سلم الزمن مما اضطر  
 الآخرين لتقليده . والنسج على منواله .

سادساً كان يمنح ليرطب الجبد . بالرغم من أن هذا ضرب من ضروب  
 استطراده الذي مر الكلام عليه . إلا أن بروزه في مادة الرجل ودفاعه عنه ومعارفته به  
 وتعرض الكثيرين له على وجه التخصيص ، اضطربنا لأنواده بفقرات . قال ابن قتيبة  
 مهاجماً الجاحظ وأخذاً هذا الضرب بعين النظر = أنه كان يقصد إلى المضاحيكة  
 في كتبه . ومثله قال البغدادي في الفرق بين الفرق . إلا أن الحقيقة فانت صاحبينا  
 فالجاحظ لم يكن يهزل لأنه مهزل . ولا كان يضحك لأنه ضحكة . ولا كان يقصد  
 إلى أي من هاتيه بذاتها . إنما كان يقصد إليها لغاية أخرى . وهي أن كثيرين  
 لم يُرزقوا الجَلَدَ لدرس المسائل الموصلة ، فلا بد لهم من شيء من الترفيه  
 لكي يجتازوا المنازلة . وقال في البخل : نحن نقصد إلى كل هذا ( متى أريد  
 بالمنع النفع ، والضحك الضحك الذي يُجِيلُ له الضحك - صار المنع جداً والضحك  
 وقاراً <sup>١</sup> ) . وهذا لعمري عين الصواب . ونحن نعتقد أن في هذا الكفاية للرد  
 علي هذين الطائفتين وأنسألهما من تعرضوا بالغمز لمنح أبي عثمان .

وأبو عثمان يرى أن في هذه الطريقة أو الوسيلة التي لزمها ،  
 ضرورة لا مناص منها إذا كان الكاتب حقاً يقصد لإفادة قارئه . لأن الانسلان بعد كل  
 الاعتبارات أمسان . معرض للسأم والملل والبرم . ولهذا ( لا بد لمن استكده الجبد من  
 الاستراحة إلى بعض الهزل <sup>٢</sup> ) .

وليس هذا فقط . إنما هناك تشييع للمنح وتطرف له حتى أنه في كثير من المواضع  
 فضله على الجبد كحالة نفسية يقال ( وأول ما أذكر من خصال الهزل ومن فضائل المنح أنه  
 دليل على حسن الحال وفراغ البال . وأن الجبد لا يكون إلا من فضل حاجة . والمنح لا يكون

الا من فضل غنى . وان الجدد غضب والمنح جمام . والجدد مبغضة ، والمنح محبة .  
وصاحب الجدد في بلاء ما كان فيه ، وصاحب المنح في رجاء الى ان يخرج منه . والجدد  
مؤلم ، وربما عرضك لأشد منه والمنح ملذ وربما عرضك لالذ منه (١) .

لهذه الدرجة بلغ تشجيع الرجل لهذه الوسطة نظرياً . أما عملياً  
فقد استعملها واستخدمها واحد من في ذلك كل الاحسان . حتى ان قارئنا في كتاب  
الحيوان الذي ألفه في سبعة اجزاء والذي من الصعب الجلوس اليه تباعاً دون عنت -  
يقروءه "القارئ" من اوله الى اخره دون ان يفكر فيما يسمى مللاً او سأم ، ولولا هذه الميزة  
لما كان مثل هذا النجاح من قبل الكاتب.

وملاحظة اخرى نحب ان نذكرها للرجل بهذا الخصوص . وهي انه  
لم يجعل مزجه في ابواب خاصة انما فرقها في تضاعيف القول لتكون بمثابة الطع في  
الطعام او السكر في الشراب المر . قصد الى هذا ولم يكن منه عفو اذ قال في  
البيان = ( ولم نحب ان نجعله في باب واحد (٢) .

### سابعاً - كان يعيد ليشوق = وهذه ميزة سابعة من ميزات أسلوبه

في التأليف لم يفتن اليها احد قبله . ونحن وان كنا نلومه من حيث الصدق والكذب  
اي من حيث الاخلاق - لانه لم يكن يصدق في وعده كلها - الا اننا ننتقد حبه  
من حيث نيته التي قصد من ذلك . وهي ابقاء القارئ متطلعا الى شيء يلذه .

ومن امثلة وعده قوله = ( وهم البصريون ان خديجاً الخصي خادم  
مثنى بن زهير كان يجرى مثنى في البصر في الحمام وفي سعة الفراشة وانتان المعسرة  
وجودة الرياضة . وسنذكر حاله في باب القول في الحمام ان شاء الله تعالى (٣) .  
لكن يظهر ان الله لم يشأ . ولذا لم يذكر عنه شيئاً ولم يف بوعده . وفي  
مكان اخر قال بعد كلامه على بعض من عقر = ( وسنذكر على هذا الباب في موضعه  
من ذكر المعمرين . ونميز الصدق فيه من الكذب . وما يجوز وما لا يجوز ان شاء الله  
تعالى (٤) . ولشأن مرة لم يشأ الله تعالى .

الا انه من المعدل ان نقول انه صدق في كثير غيرها . نذكر من بينها  
 بـه بسوءه حيث قال ( وسنقول في المّنع والمّشبار وفي غيرها من الخلق المركب ان  
 شاء الله <sup>(١)</sup> ) . وكذلك وعده حيث قال ( وسنذكر من نوادر الشعر جملة . فان  
 نشطت لحفظها نأخذها فانها من اشعار المذاكرة <sup>(٢)</sup> ) . فعلاً أخذ بسرود طائفة  
 منها .

ثامناً - كان يضاهي فارسيه لبيقيه متبهاً = وفي هذه الوسيلة سِرٌّ

قلماً ~~من~~ نطن اليه غيره . لان الفارسي الذي يقرأ أسئلة موجهة اليه يظل دائماً  
 في حال يقظة . اما انتظارا لقراءة اجوبتها ان كان المؤلف سيذكرها واما أملاً في  
 الاجابة عليها بنفسه ان لم يحاول المؤلف ذلك .

وامثلة هذا كثيرة ومتنوعة في كل كتبه . ولو لم يكن لدينا الا اسئلته  
 في <sup>(٣)</sup> الترييع والتدوير \* وتساؤله البلاغي في " الرد على النصارى " لكنا نثبلاً  
 خذ مثلاً قوله من الترييع ( خبرني مذ كم كانت الناس امة واحدة ؟ ولغاتهم  
 متساوية ؟ ومعد كم بطن اسود الزنجي وايضاً العقلي ؟ ولم صار اللون اسرع تنقط  
 من الجمود ؟ ولم كان الولد يجي\* على شبه ما في ابيه من الامر الحادثة في بدنه  
 عن غير القديمة في اصل تركيبه ؟ ومع ذلك لم يولد صبي قطني العرب مجنوناً ؟ وما هذه  
 الخاصة التي منعت من هذا المعنى ؟ وفي كم تمت لكل فرقة بعد التبلبل لغتها  
 واستفاض لسانها <sup>(٤)</sup> ) . ثم خذ ايضاً قوله من الرد على النصارى " ( وسنسالهم  
 ان شاء الله ونجيب عنهم ونستقصي لهم في جواباتهم كما سالنا لهم انفسنا واستقصينا  
 لهم في مسائلهم = فيقال لهم = هل يخلو المنيع ان يكون انساناً بلا اله او إلهها بلا  
 انسان او ان يكون الهها وانساناً .. فان رجمناه <sup>(٥)</sup> إلهاً بلا انسان قلنا لهم ... وان رجموا  
 انه انسان بلا اله قلنا لهم ... وان قالوا بل كلاهما قلنا لهم ... ) (٤) .

وان كما لنستنتج من هذين المشلين شيئاً فانما ان الرجل كان يستخدم

هذه الظاهرة ( السؤال ) كثيراً وانه تارة كان يسأل للتعجيز واخرى للاستفهام .

وانه كان تارة يجيب وتارة يترك الاجابة لقارئه . وهكذا يشغله في صفحات وصفحات .

تاسعا - كان يخاطب قارئه ليبقى على شبه صلة شخصية به = وفي هذا ما  
فيه من استسلام القارئ لصاحبه الكاتب . ومن اطمئنانه الى اكثر ما يقول . وهذا  
الخطاب كان تارة بشكل اسئلة كما مر وتارة بشكل نصائح يسديها اليه في كثير  
من الامور تشير منها هنا الى ما ذكرناه من نصائحه له في التأليف . وتارة بشكل  
محاولة جذبه الى جانبه ضد شخص ثالث . وهذا كثيرا ما يبرز في رسائله  
الدينية مثل "حجج النبوة" مثلا . والجامع بين هذه كلها - استعماله كاف الخطاب -  
ومقصد التعميل فقط ، لا يقصد الاستقصاء ، نورد الاقتباس التالي مع الحيوان ، الذي  
حاول فيه اثبات حداثة ميلاد الشعر . (قال امرؤ القيس =

ان بنى عوف ابتنوا حنا؟	ضبعه الداخلون اذ غدروا
ادوا الى جارهم خفارتهم	ولم يضع بالمغيب ما نصروا؟
لا حميرى وفي ولا عدس	ولا اسلت غير يحكما الثفر؟
لكن عهر وفي بذمته	لا قصر عابه ولا عور ،

فانظر كم كان عمر زارة وكم كان بين موت زارة ومولد النبي صلعم ! . الا انسه  
يحسن بنا ان نذكر ان ابرز مواطن هذا الاتصال هي اولا مطالع الكتب . وثانيها  
مواقف الجدل واخيرا المواقف العاطفية خصوصا في رسائله التي فيها يهزل او يهجو  
او يمدح او ما الى ذلك . فهو لا يصف الشخص الثالث وانما دائما يتكلم مخاطبا الشخص  
الثاني .

عاشرا كان لا يتكلم في كتبه لئلا ينفذ قارئه = وهذه ظاهرة من  
ادق الظواهر النفسية عندها الجاحظ واستغلها لا في رسائله الثانوية وانما في  
امهات كتبه . في الحيوان وفي البيان وفي البخل . ثم في التاج والحامس ان صحت  
نسبتهما اليه . والسبب في هذا كما ارى - بالاضافة الى انه يصدد بحث على يجب  
ان يعتمد فيه على اراء غيره - ان القارئ انا كان حيب تطلع وجد اراء للكاتب  
شخصية وخاصة ، ينفذ من الكتاب ويرى صاحبه بالتبجح . وهذا مشاهد ومعروف .

مكنى ان اقول انى اكره كل ما كتب زكى مبارك ومن بعده العقاد - بالرغم من انهما كاتبان كبيران ومن ان ادبيتهما من الادب الرفيع - لانى اكره الشخصية والادعاء اللذين يَمِصُ بهما هذان الاديبان ادبيتهما . نقول حرص الجاحظ على هذا فى أمهات كتبه وفى كثير من رسائله خصوصا التى يمكن ان يروى فيها بالتحيز وهو يقصد الى الحق . مثل رسالته فى مناقب الترك .

لكن إذا كان لن يقول ما بنفسه بلسانه ، وهو يريد ان يقول . فكيف يقول .. خير واسطة هى ان يروح يجمع كل ما وهلت اليه يده . ومعبوه " تعبئة عامة " ومحشوه فى فصول متجمعة يفود للغاية التى يريد لها . وعلى هذا النهج سار فى كل البيان اللهم الا من شذرات خاصة . وكل الحيوان اللهم الا من خهرات عابرة . وكل البخلاء اللهم الا من لفقات لم يستطع كتمانها +

خذه مثلا يريد أن يقول إن البيان أحسن من عدمه فى البيان والتبيين . فماذا يفعل . لا اكتر من ان يحشد كل <sup>كثير</sup> ما عرف من اقوال نثرية ومقطعات شعرية وحكايات مختلفة وروح يصبها الواحدة تلو الاخرى حتى يتم له فصل . مجموعه يقول بان البيان احسن من عدمه .

ثم خذه فى " تفضيل النطق على الصمت " ، فى رسالته الكاملة التى كتبها بذلك تجده استعمل ذات الشئ . اقوال واقوال . اما رأيه الخاص فمن المسير ان تقف عليه . وشالت مثل نحب ان نقدم على هذا هو رسالته فى مناقب الترك التى كانت بكاملها مثلا ناطقا على ما نقول . والتى تحتفظ بجملة منها هي التى هَدَّتْنا الى هذه الميزة فى اسلوبه . اذ دونها بقلمه . قال ( <sup>١</sup> ) انا على كل حال سنذكر جملا من احاديث روضهاا ورويناهاا . وامروا رايناهاا وشاهدناهاا . وقصصاا تلقفناهاا من افواه الرجال وسمعناهاا . وسنذكر ما حُفِظَ لجميع الاصناف من الالات . حتى يكون الخيار فى يد الناظر فى هذا الكتاب . المتصفح لمعانيه . المقلب لوجوهه . بالمفكر فى ابوابه . المقابل بين اوله واخره . ولا تكون نحن اقتحلنا شيئا من شئ . وتقلدنا تفضيل بعض على بعض . بل لعلنا ان لا نخير عن خاصة ما عندنا بحرف واحد .

ناذا دبرنا كتابنا هذا التدبير وكان موضعه على هذه الصفة كان ابعد له من مذاهب الجدال والعرا واستعمال الهوى ( ١ )

هذا ما قصد اليه الجاحظ وهذه هي غايته من ذلك القصد نعتي  
 المعدل اولا وعدم التحيز ثانيا والابتعاد عن قول " انا " قبل كل شيء .  
 لقد لاحظ هذا عليه الباقلاني في اعجاز القرآن وهاجمه بعض النحويين واتهمه  
 البغدادي بقلّة البضاعة . الا ان الحق يقال ان لكل شيء حدا تجاوزه معناه  
 الانتكاس . فالاستشهاد وخصوصا في المسائل العلمية جليل ، لكن انعداء  
 الشخصية ونعتي الاراء الشخصية بالمرة وخصوصا في الادب امر لا يحمد عليه صاحبه البتة .  
 واقل ما نستطيع ان نصنف به انه جبن ادبي لا نقر صاحبه عليه .

لكننا اذا ذكرنا أن الجاحظ كان ابرز اديب عربي ظهرت شخصيته في كتيبه  
 ودافع عن ارائه في رسائله ، - عرفنا ان الرجل لم يكن فقيرا من هذه الناحية -  
 لكن المشكلة تبقى بدون حل . وهي - لماذا انعدمت هذه في كتيبه الثلاثة الكبرى  
 وعلى الاخص في البيان . الجواب عندي هو = ان هذه الثلاثة كتيبا في آخرات  
 ايامه بعد ان اطلع وحفظ وجرب . محاولا ان يدون فيها اكثر ما يستطيع تدوينه  
 ما يعرف . حفظا له وابقاء عليه للخلف . لكن ان يكتب هكذا كشاكيل و مجموعات  
 بدون موضوع ، أمر يُظهِر ضَعْفاً من ناحية ولا قيمة له من أخرى . وما أن موضع الادب  
 والبيان واسع ، لذا - راح يتكلم فيهما ويدون ما عنده . ومثل هذا نعمل في الحيوانات  
 وما علق على هوامشها من مختلفات .

من هذا نرى ان الجاحظ كان شديد الحرص على قماره . يحاربه ويداوره  
 ويسعى جهده لثلا يفضيه . ويفعل له كل ما في وسعه لئلا يشنمه . وفي ذات  
 الوقت كان يأخذ بيده ليقوده الى حيث يريد دون اي سوء ظن . ولهذا كانت  
 كتيبه ذات رواج . ولهذا كان ينتظرها الناس انتظار صنف اليوم . ولهذا  
 كان لها اثرها الفعال .

مجموعات كشاكيل

الا ان هناك نقاطا اخرى عُرف بها اسلوب الجاحظ مما يجدر بنا  
 ان نلحظها بسابقاتها لنتم لنا نظرة عامة في اخص مييزات اسلوبه التأليفي . لكن  
 بما انها ذات صبغة مختلفة عن سابقاتها ، لذا سنعطيهما حلاً منفردا عنهما .  
 اهم هاتين المجموعتين .

اولا - المسائل الميكانيكية - = كان الجاحظ يحرص كل الحرص على ان يبدأ كل رسالة او كتاب بخطه او يبلّغه بالحمد لله ان لم يكن بالنسطة . وبعد هذا كان دائما حريصا على ان يدعو لقارئه بما حضر من الدعاء . ثم يروح يذكر الدافع الذي دفعه لكتابة ما بين يديه . ثم الغرض الذي يرجوه من الكتابة . بعد ان حركه ذاك الدافع او الباعث . حتى اذا ما تم له كل هذا اخذ في سرد اكثر ما يمكنه ان يسرد عما سيقول في الكتاب المقصود . وفي الانشاء يذكر كتبنا سابقة او ينوه باخرى لاحقة .

نقول هذه المسائل حرص الجاحظ عليها كل الحرص وسمى جهده لان تكون بارزة في كل كتاب من كتبه . والذي يطالع كتبه يتحقق من كل هذا . الا اننا هنا سنورد مثلا واحدا يبين/موكد نائيا قلنا . وسنختاره من مقدمة البخلاء وسنرتبه حسب الترتيب الذي قدمنا .

١ = بسم الله الرحمن الرحيم

٢ = تولاك الله بحفظه واعانك على شكره ووفئك لطاعته وجعلك من الفائزين برحمته ....

٣ = ذكرت حفظك الله انك قرأت كتابي في " تصنيف حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل " ..... وذكرت ملج الحزامي واحتجاج الكندي . قلت بَيِّن لي ما الشيء الذي خيل عقولهم " البخلاء " ... وسألت ان اكتب لك عِلَّة خباب في نفي الخيرة وان ذا المروءة الى هذا العلم افقر ... فاما ما سألت فساوذك فذلك في قصصهم ان شاء الله تعالى ...

٤ = تفصيل حالهم وتبيين دخائل نفوسهم اجابة للطلب فقط اذ يقول = ولولا انك سألتني هذا الكتاب لما تكلفت به . فان كانت لائمة او عجز فعليك وان كان عذر فعلي دونك .

٥ = ونبشدي برسالة سهل بن هرون ثم يطرف اهل خراسان لاكثر الناس

في اهل خراسان ...

٦ = كتاب تصنيف حيل لصوص النهار ...

وجدر بنا ان نذكر ان منهجه فلما اردت كاملا في صدر كتابه . بل  
نمود ان يذكر منه ~~بعض~~ <sup>بعض</sup> متفرقة هنا وهناك في سنابا الموضوع كلما دعت اليه الحاجة .  
وما اظننا بحاجة للتنيل <sup>هنا</sup> عليها .

نانيا - ثنائيتها = كان الجاحظ نائيا في تأليفه . بمعنى انه لا يستطيع  
ان يتكلم عن مفرد لوحده . انما بمقارنته بآخر . فهو لا يتكلم عن الكلب الا اذا قارنه  
بالديك . ولا عن الدجاج الا اذا أتي بالحمام . ولا عن الخنزير الا اذا باراه بالفيل .  
هذا مظهر من مظاهر ثنائيته في عالم المقيد . اما الثاني فهو في ميدان المطلق .  
فهو <sup>هنا</sup> لا يتكلم عن الشجاعة الا اذا قال في الجبن . ولا عن الكرم الا اذا روى في البخل .  
ولا عن محاسن المرأة الا اذا وازاها بمعايبها . ولهذا اشتهر بالأضداد . اما الثالث  
فهو انه في حالة عدم ضرورة المقارنة او في حالة استحالة وجودها يروح بفضل هذا  
الشيء على غيره وسدافع عنه بمفرده . كانه تبناه كما نينا في غيره <sup>عند خطابه العرب ومعارضة ابيهم</sup> .

وهذه لعمري ظاهرة لا تحتاج للتنيل بقدر ما تحتاج للتعليق  
والتعليل . خذ مثلا يتكلم عن فصاحة اللسان . وهذه مسألة يمكن دراستها  
دراسة موضوعية بحثة . لكن اني للجاحظ ذلك . فهو لا يستطيع ان يفهم  
حقها حتى تثبت ان العرب انصح الناس لسانا وانهم الامة الوحيدة من بين الامم  
التي امتازت بها . وانها يستهم التي بهم التصقت وفيهم خلقت . اما غيرهم فلا  
شيء في الميزان . ترى لماذا كل هذا ... وهل هناك من سبب قد كن في الخفاء ...

لقد قال بعضهم إن سبب ذلك هو القوة التي امتلأ بها الجاحظ  
فهو يحب ان يعلنها للناس بكل مناسبة يمكنه ذلك . اما نحن نرى ان العكس من هذا  
ايضا صحيح . وهو ان الرجل فيه شعور "بالنقص الذاتي" فهو يحاول دائما ان يستره بمثل  
هذه المظاهر . اما ايها الصحيح فالحق يقال ان الجواب مبهم . الا اني اميل الى الثاني .  
وساعدني في راسي ان نقصه الخلق عامل فعال في هذا لا يمكن ان يتناساه الجاحظ  
حتى ولو كان ادهى دهاة عصره .

من هذا نرى ان <sup>اهم ميزات</sup> اسلوب الجاحظ في التأليف ، أو الدعامة التي يقوم  
عليها ، أو الوحي الذي املاه عليه وسيره فيه هو اولا حرصه على القارئ وثنائيا طبعه  
الذي لم يستطع ان يخفيه . والان نتحول الى كلمة مختصرة في اثر هذا الاسلوب فيمن جاء به بعده .



### ثالثا - اثر املوسه نيمن جا - بعده =

ما لا شك فيه ان العصر العباسي ( وخصوصا قرنيه الاوليين اللذين عاش فيهما الجاحظ ) كان ازهى عصر الادب العربى على الاطلاق . بل عصره الذهبى الوحيد الذى وصل فيه الى اقصى منتهاه . وما لا شك فيه ايضا ان الجاحظ كان علما من اعلامه ان لم يكن علم اعلامه على وجه الاطلاق . ونتيجة لهذا لا شك ان الكثيرين تأثروا واثموا به . فمن هم هؤلاء ؟ واين ؟ وكيف كان منهم ذلك ؟

هذا الاسلوب فى التأليف الذى كنا نتكلم عنه هو خلق الجاحظ وابداعه . اولا لان حركة التأليف على العموم كانت فى بدئها ولما تتكيف حتى يقال انه اخذ من اقرانه او سابقيه . وثانيا انه كان متقدما على اكر اولئك الاقران فى الزمن . وثالثا انه اذا درست من قبله لم تجد شيئا عندهم يمكن ان يقال ان الجاحظ نقله عنهم او انه تأثر بهم فيه . فى عالم التأليف . انما على العكس تجد أن اكثر من جاؤوا بعده قد نسجوا على منواله .

اما اشهر اولئك الناس فالمفريزى فى عجائب الخلوقات . والدميرى فى حياة الحيوان الكبرى والمبرد فى الكامل . والمرزبانى فى الموشح . ولن ننسى الأبهسي فى المستطرف ولا الخفاجى فى مجالس الميادين الطرنا . ولا البيهقى فى الحاسن والمساوى الذى يكاد يكون صورة اخرى عن الحاسن والاضداد .

عندما نقول ( تأثر ) نعني انه ابتدع تلك الطرق التى استنتها الجاحظ والتي تكلمنا عن اهمها فيما سبق . مثل التلخيص والتكرار والهزل والاستطراد ومخاطبة القارئ والثنائية والتساؤل وعدم ابداء الراى المصرح الى اخره ... هذا ان لم يأخذ من مادته رأسا . وللتبثيل فقط نأخذ فصل الذباب من حيوان الدميرى ونقارنه بفصل الذباب من حيوان الجاحظ . ~~اننا نلاحظ عدم استطاعتنا ان نقل بكامله لطول الفصل ولذا لجأنا لذكر أوجه الشبه فقط -~~

- ١ - كلاهما بدأ بلغوات الذباب
- ٢ - كلاهما استطرد فى لغوخرافة وفقه واشياء اخر
- ٣ - كلاهما استعمل الثنائية
- ٤ - كلاهما هزل وضحك
- ٥ - كلاهما قل كلامه وكثرت استشاداته
- ٦ - الا انهما اذترقا فى ان الدميرى

اخذ عن الجاحظ حرفيا فى الجزء الاول ص ٣٢٢ وهذا لا يعنى سوى شئ واحد وهو ان الدميرى قرا الجاحظ واستفاد منه ونقل عنه وبالطبع تأثر به .

## المقالة الثانية : في اسلوبه الانشائي

يقولون ان الاسلوب هو الرجل ويقولون كذلك ان الاناء بما فيه ينفع ، ويقولون اشياء كثيرة اخرى ، ان دلت على شيء فاقمنا على ضرورة اتفاق الكاتب واسلوبه وان يكون الاخير صورة طبق الاصل عن الاول اذا كان كاتبنا ناجحا في الحق . والجاحظ قد يبرهن على انه كاتب ناجح . وقد يبرهن على انه رجل نريد في بابيه . ولهذا وجب ان يكون له اسلوب واسلوب نريد في بابيه مثله . فما هو هذا الاسلوب !

لقد استمع الجاحظ الى الاعراب فاناد من اسلوبهم البدوي الخشن الجزل ، ودارس العلماء فاطلع على طرقهم في كتاباتهم ، وطالع المؤلفات وتشرب بروحه روح اساليبها . والى كل هذا عرف كثيرا عن الفرس واليونان والهند وغيرهم في كتبهم . ولا بد ان يكون قد اخذ من كل نصيبا معيناً . صهر مجموع هذه الانصبة في أتون عقله المتقد ثم أخذ يكتب بأسلوب مكوّناته منها ولكن شخصيته جاحظية . فما هو هذا الاصلوب !

هو التوازن = وما أدراك ما التوازن ! ولكي تعرف ما هو التوازن اوعلى الاقل لكي تأخذ منه فكرة عامة سنحاول ~~في~~ اولا ان نتعرف الى مقوماته التي لا بد من اجتماعها ليتكون عندنا التوازن . نانيا ان نلهم ولو باطراف من مراقباته اي تلك الخصال التي ليست من صلبه وانما ترافقه وتنفوح عنه ولا بد من وجودها معه اذا ما وجد . ثالثا رَوّاه الفهم شقوا طريقه امام جاحظنا . رابعا أتباعه الذين تأثروا به بعد ان يَلْزَمَهُ وَجَسَهُ الجاحظ أسلوبا كاملا . خامسا مَواطِنَهُ التي كثر فيها واخيرا تَقْدِيرُهُ او ما قال فيه لعداؤه وانصاره وما نرى فيه نحن بكل اختصار .

اولا مقومات التوازن = نمضي بالمقومات تلك الخصائص التي يجب ان تجتمع مع بعضها ليكون من مجموعها اسلوبا جديدا خاصا هو الذي ندعوه

"التوازن" واهم هذه المقومات ما يلي -

١ - الفاظ ورشيقة : وهذه الالفاظ كما وردت في اسلوب الجاحظ - وكل كلامنا عنه - كانت في الاغلبية الساحقة سهلة بسيطة قريبة من الواقع لا تَعْمَلُ فيها ولا تَعْنُ ولا تَقْعُر ولا توعر . تؤدي المعنى المطلوب وتقف عند ذلك الحد . لم يقصد منها ظلالا ولم يطلب منها ما وراء المظاهر . ولم يكن هذا من الجاحظ علوا بل قصده ان قال : وخير اللفظ ما كان على قد المعنى لا زيادة فيه ولا نقصان<sup>١</sup> .

وعلى هذا جرى في كل كتاباته تقريبا . وإليك المنل البسيط التالي من " الجد والهزل " قال ( وبعد متى صار اختيار النخل على الزرع عقد الاخوان<sup>٢</sup> . ومتى صار تفضيل الحب وتقرير النمر يورث الهجان . ومتى تميزوا هذا التمييز وتهاكوا هذا التهاك . ومتى صار تقديم النحلة مله وتفضيل البعوضة السنبلة تحلة ومتى صار الحكم للنعجة نسبا وللكرامة صهرا ومتى تكون فيها ديانة وتحكم فيها بعمرة وتحدث عنه حمية<sup>٣</sup> ) .

الا انه يجب ان لا يفهم من هذا ان جميع مفردات الجاحظ على هذه الشاكلة، سهلة سلسة<sup>٤</sup> اذ انه في الحق استعمل كثيرا من الكلمات الصعبة ما يحتاج في حله لقاموس . واخرى غريبة لا تمكن معرفتها الا ~~بالمعجم~~ من معرفة كلام الناس انذاك . فللدخيل في لغته نصيب كما ان للعامة مثله . واليك الكلام التالي مثلا على مفرداته الصعبة = قال في " الجد والهزل " ( فلان يدهق في حبه<sup>٥</sup> ) . وقال في ~~البخل~~ البخل<sup>٦</sup> ( كان فلان يتعرض للمسائلة ويمالهم العلق<sup>٧</sup> ) . واليك هذا مثلا على الدخيل في لغته . قال في الحيوان الاول ( واجود الخصاء ما كان في الصخر وهو يسمى بالفارسية برخت يعني بذلك انه خصي رطبيا<sup>٨</sup> ) واليك هذا مثلا على بعض اثر الكلام فيها = قال في البيان ( اخرج الله من باب اللبسة

(١) (٢) كراوس ٦٦ (٣) كراوس ٧١ (٤) بخ ١١٥ (٥) ح = ١١/١

فادخله في باب الايسيه<sup>(١)</sup> . واليك هذا الاخير مثلا على عاميته = قال في البخلاء  
( وليس يقول الناس )<sup>(٢)</sup> .

واذا كما لنستنتج شيئا من وراء كل هذا فهو واقعة الرجل التي  
كان يسعى وراءها في كل ما دون من كلام . مطابقة المقال المعترض الحال هي التي يريدها .  
التعبير الواضح عن أي طريق هو الذي يطلبه وما عداه فمن الكعاليات . اذا كان لا بد  
من الفارسية فلتكن الفارسية . واذا كان لا مناص من العامية فلتحى العامية . واذا  
كانت النصحى<sup>نفسى</sup> فوق الجميع . هذا هو دستور .

تمهيد ٢٢ - جمل قصيرة . = اذا كانت مفرداته قد اتصفت على العموم بالخفة  
والرشاقة فان جملة على العموم تتصف بالقصر والانسجام والسرعة . السوء في الضرب  
نحو الهدف . واليك مثلا منها يُظهر لك بنفسها ما تريد ان تقول اذ تُشعُر  
بعجز عن التعبير . قال الجاحظ في الترييح =

( وما اظنك صرت الى معارضة الحجة بالشبهة . ومقابلة الاختيار بالاضطرار . واليقين  
بالشك . واليقظة بالحلم . الا للذي خصت به من ايثار الحق . والهمة من فضيلة  
الانصاف . حتى صرت احيى ما تكون الى الانكار . اذ عن ما يكون بالاترار . واشد ما تكون الى  
الحيلة نفرا اشد ما تكون للحجة طلبا . الا ان ذلك بظروف ساكن . وصوت خافض . وقلب  
جامع . وجأش رابط . ونية حسنة . وارادة تامة . مع غنلة كريم . وفطنة عليم . وان انقطع  
خصمك ثغافت . وان خرف ترفقت . غير منخوب . ولا متشغب . ولا مدخل . ولا مشرك . ولا  
ناقص النفس . ولا واهن العزم . ولا حاسود . ولا منافس . ولا معاقب . تقل الحز وتصيب المفضل<sup>(٣)</sup>  
جَمَلٌ كلها قصيرة وكلها سهلة وكلها بسيطة خفيفة رشيقة . واضحة موجبة مجر  
نحو غرض . فهي مسرعة اليه . حتى ليخيل الى القارئ انها رشاش " متراليوز " في  
ظلام الليل قد انطلق سراعاً نحو الهدف المقصود . لاذعة احيانا قارسة اخرى  
مبيكة<sup>مبيكة</sup> لحيانا . مبيكة في غيرها . الا انها على العموم خفيفة الحمل . بسيطة التركيب .  
ذات مفعول عظيم .

لكن يجب ان لا يخيل للقارئ ان كل جمل الجاحظ من هذا النوع . فهذا  
وان كان هو الاغلب الا ان هناك غيره . فمن تعابيره ما هو كلاسيكي يحتاج  
للإصمى حتى يفيض غامضا . ومنها ما هي خاصة به نسجها بعقله ودونها بقلمه

ومنها ما هي عامة بل وببساطة . واليك امثلة على كل من هاته .

١- قال في الحيوان ( والحيوان لا يخرج في لغة العرب من نصيح واعجم .  
كذلك يقال لها لم يتكلم قط . فيحملون ما يرغون ويثغرون وينهقون ومهل وتسبح ويخرو  
ويغم وموى وينبح وزقرو يضغرو ويهدرو ويصغرو ويصوي ويغوي وينعب ويزار وترب  
مكش ومعج - على نطق الانسان اذا لم يصب جمع بعضه على بعضاً ) .

٢- اما تعابيره الخاصة فاكبرها جملة يدل دلالة واضحة على روحه  
ومن اشهرها = على وجه الدهر ٢ . منع طلوع الشمس ٣ . فما العيسم في جلد  
البعير باعلق من بعض الشعر ٤ . طارت عصانير راسه - للخائف ٥ . ولم ار  
جباناً قط اجراً منه ولا جريشاً قط اجبن منه ٦ ومنها كان اعلم الناس بما لم يكن  
واجهلهم بما كان .

٣- اما التركيب فنقل المفردات العامة التي لم يتخرج الجاحظ من  
استعمالها حيث اقتضت الضرورة = قال في البخلاء ( فلان عنم لأعلى ، وفلان  
خرج فوق ابوه ٨ . ) وفي الترييع ( انا تربية كك ٩ ) . وفي البيان ( انشدو  
قصيدة عبدة ( التي على اللام ) ، ومنها قصيدة ابن الاسلت ٧ التي على العين ١٠ ) .

ولولا ان شرح هذا سيأتى في باب النقد لاطلنا فيه . لان الجاحظ  
قصده وتعمده ارضاء للواقعية التي كانت تجري في كل عرق من عروقة وطبعت كل  
عمل جاء به .

٣ . نفس طويل = والنفس الطويل بمعنى ذلك النوع من التفسير الذي  
يمسك بنفس القارئ مدة اطول من اللازم انتظاراً للنتيجة . وهذا بالطبع لا يكون  
في القارئ الا بعد ان يكون قد توفرت في قلبه في الكاتب . وقد كان الجاحظ فعلاً  
ذا نفس طويل . واما طول النفس هذا فقد لاحظناه في ظاهرتين = الاولى بعد  
ما بين البتدا والخبر في الجملة الواحدة والثانية قريباً لكن بعدما بين ابتداء  
القول وتماه الذي لا يطمئن للقارئ الا بالوصول اليه . ولكي يكون هذا واضحاً نورد

(١) ح ١٦/١	(٢) س ١٧٣	(٣) ح ١٢/٣	للجزء المشهور (٤) ح ١٧٨/١
(٥) ح ١٣٢/٢	(٦) ب ٤٩/١	(٧) س ٦٥	(٨) س ٨٠ (٩) س ١٣٢
(١٠) ب ١٢٠/١			

الاقتباس التالي تشيلا على الاول = قال الجاحظ <sup>في</sup> ( ولما علم واصل بن عطاء انه  
 النخ فاحتر اللخ . وان مخرج ذلك منه شنيع ، وانه اذ كان داعية مقاله ،  
 ورئيس نحلة وانه يريد الاحتجاج على اصحاب النحل ، وزعمه الطل وانه لا بد  
 من مقارعة الابطال ، ومن الخطب الطوال . وان البيان يحتاج الى تمييز وسياسة ،  
 والى ترتيب ورياسة . والى تمام الالة . واحكام الصنعة . والى سهولة المخرج . وجهارة  
 المنطق . وتكامل الحروف . واقامة الوزن ، وان حاجة المنطق الى الطلاوة . والحلاوة .  
 كحاجته الى الجلالة . والفخامة . وان ذلك من اكبر ما تستمال به القلوب . وتتنفي  
 اليه الاعناق . وتزيد به المعاني - وعلم واصل انه ليس معه ما ينوب عن البيان التام ،  
 واللسان المتمكن ، والقوة المتصرفة ، كمنحوما اعطى الله نبيه موسى صلوات  
 الله عليه من التوفيق والتسديد مع لباس التقوى وطابع النبوة ، ومع المحبة  
 والانصاع في المعرفة ومع هدى النبيين وسمت المرسلين ، وما يخشعهم الله به  
 من القول والمهارة . ولذلك قال بعض ائمة شمره النبي صلعم = <sup>لولا</sup> <sup>لم</sup> <sup>تكن</sup> <sup>آيات</sup>  
<sup>بينهم</sup> لولم تكن فيه آيات بينات كانت بداهته تنبيك بالخبر

ومع ما اعطى الله موسى عليه السلام من الحجة البالغة ومن العلامات الظاهرة والبرهانات  
 الواضحة الى ان حل الله تلك العقدة ورفع تلك الحجة واسقط تلك المحنة -  
 ومن اجل الحاجة الى حسن البيان واعطاء الحروف حقوقها من النحاة رام ابو حذيفة  
 اسقاط الرا من كلامه (١) . وكل ما نرجوه هو ملاحظة البعد ما بين ( ولما علم  
 واصل بن عطاء انه النخ ... وبين ... رام اسقاط الرا من كلامه ) .

اما النوع الثاني فاليك مثالا عليه . لكننا سوف لا ننقله بطوله  
 انما سننقل بعضا من صدره <sup>لان</sup> <sup>اخا</sup> <sup>باب</sup> <sup>فيه</sup> كثير . فمن اراده بشامه فليرجع اليه في اه  
 اصله . قال ابو عثمان في التريخ مخاطبا <sup>ابن</sup> <sup>عبد الوهاب</sup> ( اطال الله بقاءك واتم نعمته  
 عليك وكرامته لك . قد علمت حفظك الله انك لا تحسد على شيء حسدك على حسن  
 القامة وضخم الهامة وعلى حور العين وجودة الغد وعلى طيب الاحدونة والصنعة  
 المشكورة . وان هذه الامور هي خصائصك التي بها تكلف ومعانيك التي بها تلج .  
 وانما يحسد ابقاك الله المر شقيقه في النسب وشقيقه في الصلابة ونظيره في الجوار

على طارف قدره او ثالثه حظه او على كرم في اصل تركيبه ومجاري عرقه .  
وانت تزم ان هذه المعاني خالصة لك مقصورة عليك . وانها لا تليق الا بك ولا  
تحسن الا فيك . وان لك الكل وللناس البعض وان لك الصافي ولهم المشوب .  
هذا سوى الغريب الذي لا نعرفه والبديع الذي لا نبغاه = فما هذا الغيظ  
الذي انضجك وما هذا الحسد الذي اكمدك وما هذا الاطراق الذي قد اعتراك  
وما هذا الهم الذي قد اضناك (١) .

هذا هو طول نفس الجاحظ الذي نحب ان نظهره . وهو لمعنى  
جميل في ناحيته . لقد عرفنا من الكتاب مَنْ طال نفسه . فطه حسين منلاطويل  
النفس لكنه الى جانب ذلك طويل ا لعبارة وكثير تكرار المعنى لذا مج الكيرون اسلوبه .  
اما الجاحظ فلما طال ، نفسه قصرت جملة فكانت هذه وتلك خير معينين على  
ابراز اسلوب الجاحظ . وليست هذه المرة الاولى التي يعرف بها الجاحظ فيها  
ما يكره القارئ ~~فقد~~ فيداره او يجب فيجاريه . بل هي واحدة من عدة راينا  
بعضها فيما مر من الحديث .

#### ٤ - ترادف الجمل = ما دامت جملة قد قصرت ، وما دام نفسه

طال ، لذا ليس من الغريب عليه ان يسنوق جملتين او اكثر من هذه القمار  
مما - لكي تنوب عن واحدة طويلة تشبع ذهن القارئ وتؤيد المعنى في نفسه  
دون أن تُثَلِّه . وليست كل ترادف مثل ترادف الجاحظ ، لا يُشعر به ، ولا يَفكرُ  
قارؤه بنقصه لانه طبيعي . خذ مثلا قوله في الترييح ( والناس وان قالوا في الحسن  
كأنه طاقة ربحان وكأنه خوط بان وكأنه قضيب خيزران وكأنه غصن بان وكأنه رمح  
رديني وكأنه صفيحة يمانية وكأنه سيف هندواني - فقد قالوا كأنه المشتري  
وكان وجهه دينار هرقلي وما هو الا البحر وما هو الا النبت وكأنه الشمس  
وكانها دارة القمر وكانها الزهرة وكانها درة وكانها غمامة وكانها مهابة (٢) .  
واذا عرفت ان جميع الشق الاول معناه ( جميل الطول ) وان جميع الشق الثاني لم  
يزد عن ( جميل الاستدارة ) واذا اصبحت الى هذا انك ما شعرت أثناء القراءة  
بأي ملل . تاكدت من ان الجاحظ كثير الترادف . ولكنه الترادف الجميل .

٥ - تكرار الكلمات = وهذه ميزة أخرى من مميزات أسلوبه

الانشائي . تغلب عليه في المواقف العاطفية وخصوصا الوصفية او التساؤلية منها . نعلم تكرار كلمة او تكرار حرف يَجْعَلُهُ بمثابة مركز الهجوم . وقد لاحظنا ذلك كثيرا منه في عدة أماكن من كتبه . نكتفي بذكر تكرار حرف لايم وكان ٢ . وكان ٣ . وأخيرا حرف الواو ٤ . واليك نموذجا من هذا التكرار = ( وإنّا لا نستطيع أن نقول في التثنية ، كأن عنقه ابريق فضة ، وكأن قدمه لسان حية ، فهو وكان عينه ماوية ، وكان بطنه قبطية ، وكان ساقه برديّة ، وكان لسانه ورقة ، وكان سيفه حد سيف ، وكان حاجبه خط بقلم ، وكان لونه الذهب ، وكان عوارضه البرد ، وكان ناه خاتم وكان جبينه هلال \* ) . واطن في هذا الكفاية لتوضيح ما نحن بصدده . لقد نقل مثل هذا السيد كرد علي في "امراته" وقوله بقوله = ( انظر اليه كيف يكرر فعل "كان" مرات في بضعة اسطر . يا ما احيله في مكرراته وفي موجزاته ٦ ) . أما نحن فلا نرى رأي الاستاذ كرد . إذ الحقيقة - والحق يقال - ان هذا التكرار متعب ومزعج لا سيما دون تغيير لا في المعنى ولا في البنى - فنحن وان استحسنا منه تكرار الجمل لتغيير البنى بالرغم من ثبوت المعنى، الا اننا لا نستطيع ان نستسيح هذا الثبوت الجامد . وكل ما نقوله = انه لو كان قَطَعَ التكرار هكذا . ولولا أنه النادر في كلام الجاحظ لانهما بضعف البضاعة . لكن الذي يدون المصيبة هو قلته بل ضدورته .

٦ - الاطناب = والاطناب هو اخذ فكرة معينة ثم معالجتها

باسهاب وتعمق من جميع الوجوه حتى ليخيل للقارئ ان الكاظم لم يترك فيها مخفيا الا كشفه ولا مبهما الا ازال غامضه ولا سترأ إلا كشفه . والجاحظ في هذا كان ذا قدرة عظيمة . وليس هذا منه بمعجيب وهو دائرة المعارف وجماع علوم عصره ومن سبقه . خذ مثلا يريد ان يشبث لنا في رسالة مناقب الترك ان الترك شجعان . او خذ في الترتيب يريد ان يقول لنا ان احمد بن عبد الوهاب احمق . او خذ في البخلاء يريد ان يسم الكسدي بالبخل . او خذ في اي موضوع طرقة = وحاول ان تدلني على غامض تركه على حاله او خبيثة مرأولم ينكشها . كل شيء كان يقول . وكل ما يمكن ان يقال كان يقول .

(١) مع ١٢ (٢) مع ١٣ (٣) مع ١١٢ (٤) مع ١٢ = ١٢ -

(٥) مع ١٤٨ (٦) كرد ٤٢٢



لم يتخرج من الادب المكشوف ، بله العالي ، وحتى علاقات الزوجين كان يثيرها ويغيض فيها اذا اقتضى ذلك حوار ما بين الكلب والديك .  
 لكننا نقول والأسف يملأ قلوبنا إن تلك الدُرَر وردت مفردة مشوشة مضطربة . لو جُمع شتاتها وَوَحَّدَتْهَا كَلَّ في بابها لكانت ابحاث الجاحظ في كل موضوع طرقه إحدى الاعاجيب . قرأت لاحدهم قوله لصاحبه - **فَقُلْ لِي بِرَيْكَ أَيُّ شَيْءٍ كَانَ يَحْسَنُ أَبُو عُمَانَ !** فقال له وما بالك لا تقل لي انت : اي شيء كان لا يحسن .

إن الاشئلة القصيرة لا تنفي بالغرض لان الجاحظ طويل النفس ، والاشئلة الطويلة من التعمذر نقلها لتقيدنا بقيود عدة . لكننا مع ذلك نورد المثال التالي على إطنابه ، لعمل فيه بعض شفا الغليل = قال الجاحظ في التزييع ( جعلت نذاك . قد شاهدت الانس منذ خلقوا ورأيت الجن قبل ان يحجبوا ووجدت الاشياء بنفسك خالصة ومزوجة واغفالا وموسومة وسالمة ومدخولة . فما يخفى عليك الحجة من الشبهة ولا المسقم من الصحة ولا الممكن من المستنع ولا المستغلق من المستبهم ولا النادر من البديع ولا شبه الدليل من الدليل . وعرفت علاقة النسقة من علامة الريبة . حتى صارت الاقسام عندك محصورة والحدود محفوظة والطبقات معلومة والدنيا بحذايرها مصورة ووجدت السبب كما وجدت المسبب وعرفت الاعتلال كما عرفت الاحتجاج . وشاهدت الملل وهي تولد والاسباب وهي تمنع فعرفت الموضوع من المخلوق والحقيقة من التوبة ) .

وعلى هذا ( فما تقول لي الرائي وما تقول لي الروي ) ثم ياخذ في اسئلة يهيلها انهيال الطر ويثولها انشبال الماء من الشلال . افرأ هذا وقيل برسك ماذا ترك الجاحظ ما يمكن ان يقال لابن عبدالوهاب ليفهم انه عالم بكل شيء ؟ انه لم يترك . أو على الاقل هو مُمَيَّنٌ على حواس القارئ فيخيّل اليه لأول وهلة انه استفتح كل شيء ولم يترك شيئا . وهذا هو عفا سر من اسرار عظمته .

٢ - التوازن = لقد قال الفيلسوفندي كما سيجي\* ، إن

التوازن هو عاطل السجع . ولمرى لقد قرب من الحقيقة بقدر ما  
 ابتعد عنها . اما اقترايه فمن حيث ان التوازن يتطلب الوزن ولا  
 يستغني عن الموسيقى مثل السجع . واما ابتعاده فمن حيث قوله  
 ان التوازن سجع عاطل . اذ الحقيقة ان التوازن سجع في الاصل  
 لكنه خطأ خطوه اعلا في سبيل الحرية ورمي به القيود . ولست ادري متى  
 يقال ممن تقدم قد تأخر أو ممن تحرر قد تدهور !

على كل لا يهمنا هذا بقدر ما يهمنا اظهار سمات التوازن  
 في توازن الجاحظ . لا سيما وانه ( اي توازن ) ابرز عنصر من  
 الاسلوب لدرجة انه اخذ اسمه منه .

هذا التوازن يظهر في النقاط التالية . اولا توازن جمل  
 بكامل كلماتها ، ثانيا موازنة الكلمات الاخيرة منها فقط . واخيرا موازنة  
 الجمل من حيث هي جمل لا من حيث هي كلمات ، وجمل جميعها قصيرة  
 والا فتطويل الثانية مراعاة للنظم الموسيقي . ولشرح هذا نورد الأمثلة التالية =

أ . موازنة جميع الكلمات = قال الجاحظ في الجذ والهزل  
 ( والله لودبرها الاسكندر على دارا بن دارا . واستخرجها الملب على  
 سفيان بن الابرذ . وفتحت على هرشمة في مكيدة خازم ابن خزيمه . ولودبرها  
 لقيم بن لقمان على لقمان بن عاد . ولو اذلتها<sup>ارهاها</sup> قيس بن زهير على حصن  
 بن حذيفة . ولو توجهت لكمان بني اسد على عله دهاة قزمين . لقد  
 كان ذلك من تدبيرهم نادرا بديعا و لكان في مكائدهم نازدا رديعا . ولينهل  
 وانها لترتفع عن قميمير في كيد الزباء وعن خزيمه في مشاورية قصير . وما  
 اخالها الا وتدق على ابن العاص . وتغض على ابن عزم . ويكل عنها اخو ثقيف و  
 ويستسلم لها ابن سمية .) بهذا نكتفي من هذا المقال وكل ما نرجوه هو  
 ملاحظة حرص الرجل على توازن كلمات جملة ومقالات في ذلك . حتي يخيّل  
 الى المرء انه كان يُعِدُّها الا ثم يَزِنُ جَرَسَهَا ثانيا ثم يحاول ان يضع مجموع

هذا اقام مجموع ذاك ، ليتم له ما اراد مما يصعب على غيره . "يكل له اخو ثقيف ويستسلم له ابن سبيه" .

ب - موازنة الكلمات الاخيرة فقط = وهذا <sup>فقط</sup> النظم نفسه به من قبل . فهو لا يوازن جميع الكلمات انما يوازن اواخر الجمل ليتم له الجرس الذي يريده من الناحية الفنية . وهذا يسجع الى حد محدود . لكنه لا يتطلب القافية بقدر ما يتطلب الجرس . او بكلمة اخرى لا يتطلب الشكل بقدر ما يتطلب الوزن . ومن امثلته قوله في مطلع العداوة والحسد ( اصحب الله مدتك الصمادة والسلامة . وقرنها بالعافية والسرور ووصلها بالنعمة التي لا تزول ، والكرامة التي لا تحول<sup>٢</sup> ) وكل ما نرجوه ان تقابل ( السرور بلا تزول ) وان تلاحظ التوازن الموسيقي دون التطابق اللفظي وهو ما اراد الجاحظ . اما لو طابق اللفظ اللفظ ، فكان لدينا سجع لا توازن .

ج - موازنة الجمل عامة - ونعني بذلك جعل طولها متساويا لكي يتم الجرس والا فلتكن الثانية اطول من الاولى لذات العلة . وذلك لتتمكن النفس من الاستمرار فلا ينقطع دفعة فينتعب القارئ بتقطعه . واليك هذا المثل على تمام التوازن وطول الجملة الثانية فمن الجد والهزل ( ابقاك الله - انت شاعر وانا راوية وانت طويل وانا قصير . وانت اصلح وانا انزع . وانت صاحب برازين وانا صاحب حمير وانت ركين وانا عجول وانت تدبر لنفسك وتقيم اود غيرك وتنسج لجميع الناس وتبلغ بتدبيرك اقصى الرعية ، وانا اعجز عن تدبير نفسي ومن تدبير امتي وعبدى<sup>٣</sup> ) . انظر الى هذا الكلام ثم قل بريك الا يخيل لك ان ابا عثمان كان فحاشا ومناء في ذات الوقت . . .

هذا ما استطعنا ان نورده وصنفا لاسلوب الجاحظ او لتوازنه بهد ان عرفناه على وجه التخصيص وهو كما ترى اسلوب قريب من السجع جدا . بل تطور منه وزيادة عليه . نشأ السجع ورنه القدماء ورضخوا لقيوده ما داموا في ظلام الجهل ، حتى اذا ما جاء الجاحظ واطلع واطلع وجاء<sup>٤</sup> بهذا الاسلوب الخاص الذي لا هو سجع مقيد ولا هو ارسال . فتك بل وسط بينهما وخير الامور الوسط .

ثانيا مرافقات التوازن - هذه ليست من التوازن نفسه كالتي مرت ، بمعنى انها مكوناته التي بدون اجتماعها لا يكون هناك توازن ، او بكلمات اخرى يعتمد عليها التوازن في وجوده ، بل هي نواتج عنه و مرافقات له ، وجودها يعتمد على وجوده . فان وجد وجدت وان لم يوجد لم توجد . الا اننا

على العموم نقول ان الصلة بينها وبين مكوناته شديدة لدرجة لا يمكننا أن نفضلها والا كما كمن اخفى جانباً من الصورة . اشهر هذه المرافقات ما يلي =

١ - قلة الحسنات على انواعها = قلنا ان اسلوب التوازن ، اسلوباً قَصِدَ به التحرر من قيود السجع الصناعي ، والقرب جهد المستطاع من الواقع الطبيعي لا عطاء النفس حرية التعبير على سجيها لكن دون إسفاف . ولهذا قلَّت هذه الحسنات سواء منها اللطيفة او المصنوعة حتى لنستطيع ان نقول انها انعدمت بالرة . فانت اينما قلبت النظر وحسبنا نظرت في أدب ابي عثمان ، لن تجد منها شيئاً . فلا خيال سواء من المعتقد او البسيط ، ولا مجاز ولا كفاية ولا تورية ولا ... وكيف يكون عنده ذلك وهو الذي يطالب الكاتب بأن لا ينفج حتى لا يكتب الالب اللب . بل كيف يكون وهو الذي ما ترك فرصة يمكن اغتنامها الا واستعملها لرفع عفيرته بالول والثبور على التكلف والتصنع والبعث عن الواقع البسيط .

٢ - مطابقة القول للمقول - وهذه مرافقة ثانية بل وميزة دائماً يستنبطها القارئ لأدب ابي عثمان . وهي انه في كل ما كتب كان رجلاً عملياً . يستبسط حين اقتضى التبسيط . ويوجز حيث اقتضى الاجاز . يطيل عبارته ويستعمل المنطق في مواقف الحجاج . في حين يقصرها ويعتمد على العاطفة في المواقف العاطفية . خذ عبارته في الحيوان طويلة هادئة سلسلة لبنة لا ثورة فيها ولا عنفوان . ثم خذها في الترييح والتدوير او في الجد والهزل قصيرة سريعة لا ذعة . خذها في المطالع مثلاً سجعاً كاجمل ما يكون السجى لانه هناك يحلو . ثم خذها في البحث العلمي عن الذباب مثلاً إرسالاً في اجمل صورة . خذها عندما يصف الأعراب مثلاً بدوة خشنة جانبية ثم خذها عندما يكتب اميراً بمدحه مدنية رشيفة حلوة . حتى لم يستطع زكى مبارك الا ان يقول = ( لقد استطاع ابو عثمان ان يتخذ من النثر في كثير من الاحيان لغة للغزل ) ..

٣ - الوحى والاشارة - هذه المرافقة الثالثة لاسلوب الجاحظ . او هي ناتج احدى مقوماته نعني الاجاز . لقد كان يوجز لكن ليس اجاز المبي . بل اجاز القدير المتمكن من اللغة الذى سخرها لما يريد فهو يعرف متى وكيف يستعملها . يعطي طرف الحبل وترك لخيال قارئه او لعقل سامعه ان يكمل المقصود من عنده ويصل الى الهدف المطلوب بذاته . فيفجج ويعد نفسه مساهماً في البلوع . لذا يجيب ادب الجاحظ . وهذه لعمري ميزة قل من فطن اليها سوى الجاحظ عثمان .

والذى يهمنا هنا ان نقوله هو أن هذا لم يكن منه عفوا بل كان عن عمد وقصد وتصويب

نقد اطال في كثير من المواطن في مدح الايجاز وقد مدح في كثير غير غيرها ضرورة اخراج الكلام مخرج الوحي والاشارة .

الا اننا نحب ان نقول ان الجاحظ بهذا 'الخصوص' كان على طرفي نقيض . فهو عندما كان يطنب ويتبسط كان لا يدع للقارى شيئا يفكر فيه بل يعطيه كل شيء كما مر معنا . وهو عندما كان يوجز ويفصد الى الايحاء كان يفعل عكس ذلك بالضبط . اما رائده في اين يطنب واين يوجز فقد كان دائما - 'مقتضى الحال' وقد احسن لغوى تعرف تلك الحال حيث وجدت . وهذه هي العبقرية في الكتابة .

٤ - بروز شخصيته - لعل أهم عنصر أدخله الجاحظ في الكتابة ما لم يُعرف قبله هو عنصر الشخصية . فانت اينما طوح بك نظرك في ادبه تلمس شخصية بارزة قوية تكاد تعلن عن نفسها في كل بل فيها .

وقد اتخذ هذا سبيلين - الاول سبيل مباشر كقولهم "نحن نرى هاوانا اقول" او امثال ذلك . والثاني غير مباشر يستنتج من وراء كلماته ومن ثانيا سطوره ومن نوع معانيه . ولست اراني بحاجة للتدليل على ما اقول لان هذا مشهور عنه ومعروف لدى كل مطلع على ادبه . حتى ان ادبه أضغى صورة كاملة عنه . ولقد كتبنا ما كتبنا عن حياته . ونهمننا ما نهمننا من اموره وهرفنا ما عرفنا من نواته . لا مما كتب عنه - لان ما كتب عنه قليل - انما من كتبه . ومن كتبه على وجه الخصوص .

ثالثا مواطن التوازن - بالرغم من ان اكثر ما كتب كان بالتوازن الا ان هناك مواطن كان يبرز فيها هذا الاسلوب اكثر من غيرها لضرورة الحاجة اليه . واليك اهمها =

١ - في رسائله - قد يكون هذا غريبا . لانه ان لم يوجد في رسائله فابن يوجد؟ .

لكن لا غرابة اذا قلنا انه يكثر في رسائله على العموم ويقل بل ويندر في كتبه الرئيسية على الخصوص . وشتان بين رسائله وكتبه . والسبب المعقول الذي نراه لهذه الظاهرة هو ان اكثر الكتب كتبت للتعبير عن فكرة صغيرة خاصة محدودة في اكثر الاحيان كتبت الى قلبه بصلة . فهو في كل رسائله يكتب عن مسائل حيوية يشترك فيها اجتماعيا وتهمة في قرارة نفسه شخصيا . في حين انه في كتبه الرئيسية كان يكتب عن موضوعات قلما كان له بها دخل ذاتي . خذ في الاولى مثلا يكتب الى احدهم يستعجز وعدا ، او خذ مثلا يدافع عن العرب ضد الصهيونية .

او خذ مثلا يرد اتهامات النصارى او خذ مثلا يعتذر لابن الزيات او ~~خبره~~ يمدح ابن ابي داود وهما وليا نعمته . انظر منه ان يكون بذات البرود الذي يكتب فيه عن الذبان او عن الخنافس او عن تعريف البلاغة . كلا لا اظنك تنتظر ولا كان هذا الواقع . ولهذا قلنا ان توازنه كثر في رسائله دون كتبه لان في الاولى نصيباً كبيراً من الذاتية العاطفية .

## ٢ - في المقدمات او ما قد يسمى المطالع - سواء في رسائله او في كتبه

الكبيرة . وذلك لانها غالباً ما تكون نفثات روحية او تعبيرات ذاتية يسوقها بين يدي الكتاب او الرسالة . هذا من جهة واما من اخرى فلأن الكاتب غالباً يهتم بمطالعه فيُخَيِّ عليه بشيء من الصناعة . ولهذا نرى ان توازنه في هذه الماكن كثيراً ما انقلب الى سجع مث قوله في مطلع البيان مثلا ( اللهم انا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل . ونعوذ بك من التكلف لما لا تحسن كما نعوذ بك من العجب بما تحسن . ونعوذ بك من المعرفة والهذر كما نعوذ بك من العي والحصر . وقديما تعوذوا بالله من شرهما وتضرعوا الى الله في السلامة منهما ) .

## ٣ - في المواقف العاطفية أينما كانت - وهذا لا يحتاج لطول شرح فرسالة

الجدة ، والهزل رسالة التربيع والتدوير ، ودفاعه عن معتقده الدينية ، واثباتاته لجسج النبوة وغيرها كثير شواهدناطقة على كل هذا .

## ٤ - في المواقف الوصفية - التي قد تخلو من العاطفية . وما اظن هذا

كان الا لهدوء بال الرجل انذاك ، ولجوده الى حسن التصوير . واحسن مثال نأخذ وصفه للشيخ القاص في مسجد البصرة الذي ضايقه الذبان وما كانت النتيجة . ونأسف لعدم ايراد الوصف لطوله فليراجعه من اراد التوسع في الحيوان .

هذه اهم مقومات الاسلوب واشهر مراتقاته . لكن ترى هذا الاسلوب ~~مختص~~

بحد ذاته ، من مبتكرات الجاحظ ام انه سبق اليه . وان كان الثاني فما فضله فيه . ثم بعد ان مات الرجل . اى اثر ترك أسلوبه . هذا ما سنحاول القاء نور عليه في الصفحات التالية .

## رابعا رواد التوازن - انه لمن الجميل ان نقرر في هذه العجالة ان الجاحظ لم يكن <sup>مبتدع</sup> مبدع

التوازن وانما كان متبعاً فيه اثار كثيرين سبقوه . من افعال - احمد بن اسمعيل في اداب

الكاتب<sup>١</sup> وعبد الله بن طاهر في ادب الكتاب للصولي<sup>٢</sup> وسهل بن هرون في صبح الاعشى<sup>٣</sup>

والحسن بن سهل في الامالي . وابن المقز في زهر الحصرى . وابراهيم المولى<sup>٢</sup>  
في صبح الاغصان . ثم ابن المقفع في ادبه الكبير واخيرا عبد الحميد في  
رسالة الكتاب .

نقول هؤلاء الجملة في هذه المقطوعات التي يمكن  
الرجوع اليها للاشارة فقط . سيقوا الجاحظ الى التوازن . وللتدليل  
على ما نقوله واثباته بالحجة نورد المثل التالي (قال سهل بن هرون  
لو ان رجلين خطبا او تحدثا او احتجا او وصفا وكان احدهما جيلابيا  
ولباسا نبيلًا وذا حسب شريفًا وكان الاخر قليلًا قبيحًا وباز الهيئة دميمًا  
وخامل الذكر مجهولًا . ثم كان كلاهما في مقدار واحد من البلاغة  
وفي درب واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعاقبهما بعض للقليل الدميم  
على النبيل الجسم وللبارز الهيئة على ذى الهيئة ) .

الا انه يحسن بنا ان ننوه الى هؤلاء استعملوا التوازن  
في كثير من كتاباتهم ، لكنهم لم يتخذوه اسلوبا لا يحيدون عنه ، او  
اسلوبهم الغالب على كتاباتهم ، انما كانوا يطرقون في خطابات مناسبة .

خامسا - فضل الجاحظ في التوازن = نحن هو اتخذه اياه اسلوبه  
الخاص الذي لا يحيد عنه ، وخصوصا في رسائله . از كثيرا ما تجد  
رسائل برمتها قد كتبت بالتوازن ساو الأضله على هذا قد سبق . اما كتبه  
الكبيرة فقد خلت منه او بالاحرى قل فيها ، لانه كان جمعا اكثر منه  
منشعبا . وفرق بين اسلوب الجمع العلي وبين اسلوب الانشاء الادبي .

هذا هو فضل الجاحظ - اي انه عرفه ، واحبه ، وعلى  
به واتخذه اسلوبه العام ، وهَيْكَلُهُ وَجَسَّهُ وَبَلَّوْرُهُ وجعله اسلوبا قائما بذاته . له  
مقوماته وله مراتبه وله ميزاته واصح بالامكان مقارنته بخيره من الاساليب .

سادسا - أثباع التوازن = لقد رأينا انه كان هناك رواد للتوازن

ولا نقول كُتابا سبقوا الجاحظ اليه والقوا في طريقه عنه شيئا من النور . ثم جاء الجاحظ فاستمسك به وصقله حتى جعل منه اسلوبا قائما بذاته . مات الجاحظ مخلفا اسلوبه . او طريقته في الكتابة التي عرفت بالتوازن .

أغزم كثيرون بهذا الاسلوب وحاولوا تقليده نذكر منهم = محمد بن يحيى الصولي ٣٣٥ في ادب الكاتب<sup>١</sup> ولى الجرجاني ٣٩٢ في الوسطه<sup>٢</sup> وابو هلال المسكوي ٣٩٥ في الصلعتين<sup>٣</sup> ثم الثعالبي ٤٢٥ في البيه<sup>٤</sup> ثم ابن العميد في القرن الخامس في اكر رسائله خصوصا البيه<sup>٥</sup> . هذا ولن نسمي ابا حيان التوحيدي في القرن السادس خصوصا في مقالياته<sup>٦</sup> .

وللتمثيل فقط نورد القسم التالي من المقايسة الرابعة = ( سمعت ابن مقدار يقول لا بد من وضع الناموس الالهي الذي يتوجه به افاضة الخير ، وترتيب السياسة ، وما يورت جكون الببال ، وحسم مواد الشر ، وموطد دعائم السن ، وبعث على تشريف النفوس ، وترتيب الاخلاق ، ومقرب الطريق الى السعادة المطلوبة ، ومواصل اسباب الحكمة ، ويشوق الارواح الى طلب الحق وابتنار العقد ... ) وكلها على هذا النسق جعل قصيرة ونفس طويل ، وسهولة في اللفظ واطناب في المعنى ...

سابعا نقد التوازن - كثيره من الاساليب ، تَهَرَّضَ التوازن لكثير من عبارات المدح والثناء

من راق في اعينهم وكذلك لكثير من عبارات الذم والبذاء من لم يروا فيه ما ارادوا .

قال ابن الانير في مثله ( ان العدل في الموازنة بين الفواصل هو اخصر ميزان هذا الاسلوب ولى هذا فهو اخو السجع لكن ليس السجع بذاته<sup>٨</sup> ) وقال المسمودي في موجه ( لقد نظم الجاحظ كتبه احسن نظم وصفها احسن وصف وكساها من كلامه اجزل لفظ<sup>٩</sup> مشيراً الى جمال اسلوبه<sup>٩</sup> )

---

(١) ص ٢٥	(٢) ٢٨/٢٦ و ١٣٩ و ١٤٠ / ٢٣٩ و ٢٤٠	(٣) ٢٨١/٢٨٩ و ٤١
(٤) ٢٢٢/١ و ٢١٦/٢ و ١٤٦/٣ و ١٦٧/٤	(٥) ٢/٣ (٦) ١٠ و ١٧ و ١٠٥ و ١٤٢	
(٧) ص ١٤٢	(٨) ١٦٩	(٩) ٢٤/٨



لكن أُنِّي للرماني في صبح ~~الاعشى~~ ان يقف موقف الايجاب من التوازن . فهو  
 عندما حاول تسميته لم يزد على ان قال ( هو السجع العاطل<sup>١</sup> ) وكفى بهذا دليلا على حقيقة نظرت  
 اليه . ومثل الرماني كان الباقلاني . فهو عندما لم يستطع ان يجد فيه المغاير التي يمكنه  
 بها صرحه ترك الرماني يتهمه في التسمية وراح هو يقول في الاعجاز . ( واما كلامه في اثنا ذلك  
 نظور قليلة والناظر يسيره . فاذا احج الى تطويل الكلام - خاليا من شيء يستعين به  
 فيخلطه بقوليه من قول غيره . كان كلاما كلام غيره . فان اردت ان تحقق  
 هذا فانظر في كتبه في نظم القرآن وفي الرد على النصارى وفي خبر الواحد  
 وغير ذلك ما يجرى هذا المجرى . هل تجد في ذلك ~~كيفية~~ كنه ورقة  
 تستلح على الرّظم بديع او كلام طليح . على ان متأخري الكتاب قد ناووه  
 في طريقتهم وجاذبوه على منهجه فمنهم من ساواه حين ساماه . ومنهم  
 من ابر عليه حين اراه<sup>٢</sup> . الا انه من الجليل ان نضيف ان الاستاذ  
 القدسي في "تطور الاساليب" حين نقل هذا عن الباقلاني ما كاد يضع  
 النقطة الاخيرة حتى اردف معلقا = ( وفي هذا الكلام مع ميل صاحبه الى  
 تحقير شأن الاسلوب الجاحظي - تعظيما لنظم القرآن - نرى ما اشتهر به  
 هذا الاسلوب . مما جعل له مقاما خاصا بين الكُتبة . وهذا الباقلاني نفسه في مقام آخر من  
 كتابه يذكر من برع في صنعة الرسا ئل وتقدم في شأوها حتى جمع فيها بين طرق المتقدمين  
 وطريقة المتأخرين حتى خلص لنفسه طريقة واتشأ لنفسه منهاجا ( فسلك تارة طريقة الجاحظ وتارة  
 طريقة السجع وتارة طريقة الاصل ) . فهو يعترف ان الجاحظ امام طريقة ليست هي طريقة  
 المتقدمين ولا طريقة السجاعين<sup>٣</sup> .

هذه لمحة في موقف انصاره، ولمعة في موقف اعدائه كما ونبذه من رأى اديب متأخر  
 في اسلوب الجاحظ . اما نحن فنرى ان التوازن يحد ذاته اسلوب موسيقي جميل لا يحتاج  
 للجهد الذي يبذله كاتب السجع ولا ياتي بالسهولة التي يكتب بها كاتب الترسل . انما هو وسط  
 بين المنزلتين . وعلى هذا فهو خفيف على الكاتب جميل لدى القارئ . اما توازن الجاحظ  
 خاصة فقد كان الى الارسال الطبيعي اقرب منه الى التسجيع الصناعي . وهذا ما يقره خطوة الى  
 القلوب .

وفضل الجاحظ فيه واضح من حيث انه الكاتب الذي سهر عليه حتى جمع اطرائه وسهرها وقولها واخرجها للناس اسلوبا قائما بذاته

### ثانيا - الجاحظ والاساليب الاخرى

قد يخيل للقارئ ان الجاحظ استأنس بالتوازن فجعله ديدنه وتشيع له واغضى عينيه عن كل ما عداه . لكن الحقيقة غير هذا . فالجاحظ كان اوسع من ان يضيق صدره ~~في~~ بالاساليب الأخرى . وقلمه كان اسلس من ان يتقيد بواحد . ولهذا كان له فيها شطحات ومن طرفها سرحات وله منها مواقف نحسب ان لا نمر عليها بسكوت .

اولا الجاحظ والسجع - عرف الجاهليون السجع . واشتهر به ~~كلام~~ كهانهم . حتى ان اكثر ما وصلنا من نثرهم كان بهذا الاسلوب . لكن بعجي القرآن ودعوته للحرية من جميع نواحيها ، مال الناس للتعبير عن اراهم بطلاقة واخذوا يكسرون القيود الصناعية واحدا بعد الاخر . حتى انهارت دولة السجع . لكن هذا الانهيار جاء بالتدرج وعلى مر الازمان . وفيما يلي نذكر نبذاً من تلك الثورة على السجع محاولين ان نلقي نورا على تدرجها حتى انتهت بالتوازن الذي هو كما قلنا درجة واحدة اعلا من السجع في سلم حرية التعبير اللفظي

قال الرسول لمن اجابه سجعاً ﴿ اُسْجَعَا كَسْجَعِ الْكُهَانِ ؟ ﴾ . وهذا إن عني شيئاً فليس الا موقفاً سلبياً من السجع . ثم جُع الحديث فكان السجع فيه النادر . ثم جُمعت خطبُ الصحابة واقوالهم فكان السجع فيها ب مقام الملح من الطعام . ثم دُون التكنير من بعد ذلك فكان نصيب السجع تافها . وما يشير الى ان هذا الاتجاه كان مقصودا - ما نقل الجاحظ عن معاوية في رسالة " مدح التجارة " حيث قال ( حتى ان معاوية مع تخلصه عن مراتب اهل السابقة ، املى كتابا الى رجل فقال فيه = لهو اهون علي من ذرة او من كلب من كلاب الحرة . ثم قال = أَمُعُ " من كلاب الحرة " واكتب من الكلاب . كأنه كره اتصال الكلام والمزاوجة وما اشبه السجع <sup>٢</sup> ) .

أما سبب هذه الثَّوْرَة من السجع فنرجع في اساسها الى سببين كما استطعنا

ان نميز - اولاهما فني . وذلك لكثرة الكتاب التكلف . وما يدل عليه قول الجاحظ ( ونحن لن نسجع في كتابنا هذا <sup>١</sup> ) . وثانيهما - ديني . وذلك لان السجع كان لغة الكهانة . وما ان المسلمين حاولوا ان يحاربوا كل ما يمت للماضي "الأسود" بعلته ، لذا هاجموا حتى السجع . وشير الى هذا قول الجاحظ ايضا ( وما كره العرب بالسجع اتخاذ الكهان اياه لغة <sup>٢</sup> ) . بقيت الحال على هذا المنوال اي بُعِدَ عن السجع حتى جاء القرنان الثاني والثالث والنصف الاول من الرابع التي دالت في اثناها دولة السجع وان لم يستغن القيم عنه بالمرء . قال الخفاجي في سر الفصاحة ما ملخصه - ان السجع في القونين الثاني والثالث قل استعماله وان يكن ندر من استغنى عنه بالمرء <sup>٣</sup> .

هذا هو الموقف العام من السجع . لكن ترى ماذا كان موقف الجاحظ . - قال أبو عثمان [ان السجع جميل وقد احبه العرب لسهولة لفظه . الا انه لسوء الحظ كان الاسلوب الذي انتهجه الكهان . والكهان كما لا يخفى اصبحوا مكروهين . وتبعاً لذلك كره الناس قولهم <sup>٤</sup> . الا انني والحق يقال ارى ان السجع لا بأس به اذا لم يخرج عن الحد المعقول بحيث يصير الى الصنعة والتكلف . اذا كل تصنع وكل تكلف عندى <sup>منقوت</sup> ضغوت مهما كان نوعه <sup>٥</sup> ]

لهذا نجد الجاحظ في كل ما خلفه من تراث لم يقف موقفاً سلبياً صرنا من السجع ولا موقفاً ايجابياً كذلك . انما كان بين بين . ففي الكتاب الذي تراه فيه بهاجم السجع ومنفر منه - تراه اولاً ينقل مسجوعات كثيرة ويخصص للسجع ابواباً كاملة <sup>٦</sup> . ثم تراه هو نفسه يقول اقوالاً سريفةً واليك بعضاً من سجعه اولاً لاثبات صحة ما نقول - وثانياً لايراد قطعة نتعرف بها على اسلوبه المسجوع كما تمرقنا على اسلوبه الموزون . قال يصف القرآن ( حجة على الملحد وتبيان للموحد . فأنم بالحلال المنزل والحرام المنصل . وفاصل بين الحق والباطل وحاكم اليه يرجع <sup>٧</sup> العالم والجاهل وامام تقام به الفروض والنوازل . وسراج لا يخبو <sup>٨</sup> ضياؤه وسبحاب لا يخزن ذكاؤه . وشهاب لا يطفأ نوره وسحر لا يدرك غوره ومعدن لا تنقطع كنوزه . ومعقل يمنع من

(١) ح ٢/٣ (٢) ب ١٩٥/١ (٣) ٩٤ - ٩٢ (٤) ب ١٩٥/١

(٥) ب ٢١/٢ (٦) ب ١٩٢/١ - ١٩٨

الهلكة والبوار ومرشد يدل على طريق الجنة والنار . وزاجر يصد عن المحارم وجير  
يم التحاكم<sup>١</sup> .

ومن هذه القطعة نرى ان الجاحظ كان بإمكانه ان يكتب سجعاً وسجعاً من  
النوع الرنيع . لكنه لم يكتب كثيراً وانما كان ذلك منه بشكل فلتات لا ضابط لها وردت  
متناثرة هنا وهناك هذه اطول واحدة منها . اما البواقي فنفتات قصيرة في جملتين او  
ثلاث على الاقل . مثل قوله في الحيوان ( والحمام - ابرد ما يكون الانسان واقصره ، واقطع  
ما يكون واقصره<sup>٢</sup> ) ثم يقول تاركاً السجع ( هذا وفي الانسان ضروب من القوى احدها  
فضل الشهوة الخ )

ثانياً الجاحظ والترسل - لم يهاجم الجاحظ الترسل كما هاجم السجع . ولا مدحه  
كما مدحه . انما سكنت عن كل لا او نعم بخصوصه . ولن يظفر اى منقب عن مثل  
ذلك في كل ما بقي لنا من ادبه .

لكنه يستنتج من مجمل اسلوبه الانشائي الذي بين ايدينا ان الرجل كان يعيل  
اليه بل كان يمدّه اقرب اسلوب لروحه الحرة المطلقة الفيود بعد التوازن . لهذا نراه  
في كثير من المواقف يستعمله ويستعمله بكثرة حتى لقد ياقني على ثلاثة ارباع رسالة به .

واظهر ما يكون هذا الاستعمال للسجع ، في المواقف التي نحتاج لهدوء  
بال وحجاج ومنافسه . او وصف علي . اى في المواطن التي يصعب فيها استعمال  
السجع والتوازن . واليك بعد هذا مثلاً على ترسله . قال في الرد على النصارى ( فان  
سألونا عن انفسهم فقالوا - ما لنا لا نحرف ذلك ولم يبلغنا عن احد بته . اجبتناهم  
بعد اسقاط نكيرهم وتشنيعهم وتزوير شهودهم . جوابنا انهم انما قبلوا دينهم عن  
اربعة انفس = اثنان منهم من الحوارين بوجههم يوحنا ومثي . واثنان من المستجيبة  
وهما مارقوش ولوقنس . وهؤلاء الاربعة لا يؤمن عليهم الفلسط ولا النسيان ولا تعمد  
الكذب ولا التواطؤ على الامور والاصطلاح على اقتسام الرئاسة وتسليم كل واحد  
منهم لصاحبه حصته التي شرطها له . فان قالوا فانهم كانوا افضل من ان يعتمدوا  
كذباً واحفظ من ان ينسوا شيئاً واعلم من ان يغلطوا في دين الله تعالى او يضيعوا

يضيعوا عهدا . قلنا ان اختلاف رواياتهم في الانجيل وتضاد معاني كتبهم في نفس المسيح مع اختلاف ضرائعهم دليل على صحة قولنا فيسهم وغفلتكم عنهم . وما يفكر من مثل لوقس ان يقول باطلا وليس من الحوارين . وقد كان يهوديا قبل ذلك بايام يسيرة . ومن هو عندكم من الحوارين خير من لوقس عند المسيح في ظاهر الحكم بالطهارة والطباع الشريفة وبرائة الساحة ) .

هذا نمط من ترسله . الا ان <sup>ابن</sup>الخطير فيه يجد ان الجاحظ في الحقيقة لم يكن مترسلا بكل معنى الكلمة بل كان يخلط الترسل بالتوازن خصوصا في هذه المواقف . وعذره في هذا واضح . فله من موقف الحجاج خير دافع على الترسل . وله من موقف العاطفة خير دافع على الموازنة . وليس له في موقف يجمع بينهما الا ان يجمع بينهما .

والان اليك موقفا قصيرا من المواقف التي كان فيها مترسلا بكل معنى الكلمة . قال في الحيوان يتكلم عن الدجاج = (حدثني اعرابي كان ينزل البصرة . قال قدم اعرابي من البادية فانزلته . وكان عندي دجاج كبير ولي لينة وابنان وابنتان منها . فقلت لامراتي بادري واشوي لنا دجاجة وقدميها اليها نتغدها . فلما حضر الغداء جلسنا جميعا انا وامراتي وابنائنا وابنتاي والاعرابي . قال فدفعنا اليه الدجاجة نقلنا له اقسامها بيننا . نريد ان نضحك منه . فقال لا احسن القسمة ، فان رضيتم بقسمتي قسمتها بينكم . قلنا فانا نرضى . فاخذ راس الدجاجة فقطعها وتناولني وقال الراس للرأس . وقطع الجناحين وقال الجناحان للابنين . ثم قطي الساقين فقال الساقان للابنتين . ثم قطع الزمكي وقال المعجز للمعجوز . وقال الزور للزائر . قال فاخذ الدجاجة بأسرها وسخر بنا ) . هذا مثل من ترسله اوردناه على قصره ليكون شاهدا على ما ذهبنا اليه .

نائب الجاحظ والرمزية = قد يبدو المستوان غريبا . والا فهل كان هناك رمزية وهل عرفها الجاحظ ثم ماذا قال عنها اذا كان هناك شيء منها . الحق يقال ان الرمزية قديمة في الادب العربي . وقد عرفها حتى

الجاهليون واستعملوها في شمرهم . لكن لا على انها " رمزية " ولا على انها مذهب في الاسلوب وانما على انها نوع من الكلام الموجز المخطوم . وكم كان الجاهليون مفرمين بالقول المخطوم والكلام الموجز .

نقول هكذا عرفها الجاهليون . ثم جاء الاسلاميون وتلاههم العباسيون فتوسعت دائرة الادب <sup>باعتكافهم</sup> اذ احتك القوم بالاجانب <sup>وسبغهم</sup> اتسعت افكارهم ~~جست~~ فلك واخذوا ينظرون لكل ما بيث ايديهم نظرة اوسع في افاقها واعقب في ابحاثها مما تعودوا . " نالكلام المخطوم " و " القول الموجز " و " خير الكلام ما قل ودل " - كل هذه <sup>لغة</sup> تعابير <sup>لغة</sup> بهيمة لا بد وان تعني شيئا اعقب من هذا الظاهر . وكان اول من عرف هذا الشيء الصيق هو الجاحظ . اذ نوه به نظريا في البيان والتبيين واستعمله عمليا في كثير من المواطن نذكر من بينها رسالته في " الهزل والجدة " .

فالرمز هو المصدر العادي من رمز يرمز . الا ان عصر الصناعة كما يظهر - ~~لما~~ ان يعترف به ما لم " يتصنع " . ولهذا اضيف اليه " يا " و " تا " ودخل في حوزة العصر الحديث نصار " رمزية " . هذا هو الرمز . اما الجاحظ فهو ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ زعيم ادباء العصر العباسي ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة وصاحب القفا التنانيف الكثيرة المشهورة . واما العلاقة بينهما فملاقة كاتب بأسلوب عرفه وتكلم عنه وكتب فيه وله فيه آراء . تعد بحق من اجل الآراء .

والان ما هي رمزية الجاحظ خاصة . وبماذا تختلف عن او تأتلف مع ما يدعوا اليه بعض المحدثين ؟ - رمزية الجاحظ رمزية مؤدوجة هدفها إحكام العلاقة بين اللفظ والمعنى . يقول الجاحظ ما معناه ان السكينة تبقى سكينا وتبقى لها فضيلة السكن ما دامت تقطع . اما اذا وقفت عن ذلك فقد زالت عنها " السكينة " ويجب ان نعاملها على اساس آخر . وشمل السكن اللفظ . فقيمة اللفظ بانه واسطة او اداة للتعبير عن المعنى الذي يجول في صدر الكاتب . فان عبر فهو لفظ والا فقد زالت عنه " اللفظية " ويجب ان نعامله على اساس آخر .

وعند نسخ هذه الفكرة العامة او الموقف الخاص من اللفظ يقول = على

اللفظ ان يكون على قصد المعنى لا اكثر ولا اقل لانه اذا زاد كان من قبيل التخليط  
المكروه والتكرار المقنوت . وان نقص كان من قبيل المعنى الذى قد يؤدى الى  
الالتباس في اىصال المعنى . الا انه يستحسن من الكاتب القدير ان يقلل من الفاظه  
جهد استطاعته ويكثر من معانيه بمثل تلك الاستطاعة . بمعنى عليه ان يحمل اللفظ  
معاني اكثر مما يحمله اياها // بسطا الكتاب بشرط مراعاة الوضوح . وفي هذا ( اى في  
تقليل اللفظ وتكثير المعنى مع مراعاة الوضوح ) يتميز كاتب عن كاتب وتعرف قدرته على امتلاك  
ناصية اللغة . وليس التمثيل على صحة هذا بمموز . فانت اذا اعطيت فكرة بسيطة  
لطالب ابتدائي ولاخر جامعي وطلبت منهما ان يصوغاها في اقل عدد ممكن من الكلمات  
جاءت كلمات الابتدائي ثلاثة اضعاف كلمات الجامعي . وهذا ان دل على شيء فانما على ان  
الابتدائي لم يعرف لجهة اى الكلمات اذ لم يفرح . يخبط ويخلط ظاناً انه من " المتفلسفين " في  
الموضوع .

ومن هذا ترى ان رمزية الجاحظ تقوم على ثلاثة اسس = الاول اعتبار  
اللفظ واسطة لاجراج المعنى وقيمته في ذلك . الثاني التركيز على قاعدة " ما قل ودل " اى  
استعمال اقل عدد ممكن من الكلمات لاعطاء اكبر عدد ممكن من المعاني . الثالث الاهتمام  
بالوضوح وجعله مقياساً لكفاءة الكاتب ومقدرته على الكتابة . او بكلمات اخرى = رمزية  
الجاحظ تتلخص في اعطاء القارئ طرف الحبل وتركه يصل الغاية المنشودة بنفسه بشرط ان  
يكفل الكاتب له ذلك يضمن التوجيه عند اعطاء طرف الحبل . اذ عندئذ يشعر  
القارئ انه ساهم في الوصول فيخرج " ويحب الكاتب " لانه ساعده على ذلك . وهكذا  
يستفيد القارئ وتبقى العلاقة حسنة بينه وبين الكاتب . وهذه لعمري غاية الكتابة .

والان ما الفرق بين الرمز القديم والرمزية الحديثة ؟ بنض النظر  
من التذكير والتأنيث ، وبنض النظر ايضا عما يعنيه هذا التحوير - نقول ان القديم  
يعتبر اللفظ واسطة لغاية ، في حين يهتم به المحدثون اهتماماً يرنمه الى مقام  
الغاية ، حتى ان بعضهم وصف الرمز الحديثة بانها " اسلوب الالوان الصناعية " .  
هذا اول فرق . اما الثاني فهو انه في حين يهتم القديم بالاجاز وينسوه بكلمته  
بقيسته كثيراً ، لا يعيره المحدثون مثل هذا بل يقولون " قل وقل حتى تشفي غليلك " .  
وهذا لعمري ان دل على شيء فانما على ما تشير اليه قصة الطالبين الجامعي والابتدائي التي  
مر ذكرها . اما الفرق الثالث فهو الوضوح . ففي حين يهتم القديم بالوضوح ويجعله

الفضيلة التي تكسب اللفظة صفة اللغزية ، ينكروه المحدثون ويقولون لا = فالمسألة ليست مسألة حسابية (  $٥ \times ٦ = ٣٠$  ) انما هي مسألة شعور . والشعور غالبا غير واضح . ونحن لا نريد ان " نتصنع " = ولو درى القوم ان ما يمدحون اليه " غزبية " لا " رمزية " ، لكثروا عما هم بصدده ، ولعادوا الى ابي عثمان يستفتونه <sup>بجدي</sup> في حقيقة الامر .

وأخيراً اليك ضلين = الاول من الجاحظ القديم يرمز الى شجار نضب بينه وبين ابن الزيات واتخذ سبيل الرمز اليه المصحف وانتلاف ورقه . والثاني من سنجيد <sup>بشرقي</sup> المحدث يرمز الى شيء لسوء الحظ لما احرقه . فلعلك تكون يا قاري اسعد مني حظا فتكثفه .

قال الجاحظ = ( اني لاعجب من ترك دفاتر عظمه متفرقة مبنوثة . وكراريس درسه غير مجموعة ولا منظومة . كيف يمرضها للتخزم . وكيف لا ينعما من التفريق . وعلى الدفتر - اذا انقطعت حزامته وانحل شداذه وتخرمت رسطه ولم يكن دونه وقاية ولا جنة - تفرق ورقه ، واذا تفرق ورقه عسر جمعه واشتد نظمه وامتنع تأليفه وربما ضاع اكثره . والدفتران اجمع وضم الجلود لها اصون والحزم لها اصلح ... ) اقرا هذا القليل او ارجع الى مطوله في رسالة الهزل والجبد التي نشرها بول كراوس ، ثم قل لي اي رمز اجمل من هذا . مخضوب عليه يكلم غاضبا ويستعطفه فيقول ... اذا تفرق ورقه عسر ~~نظمه~~ نظمه وامتنع تأليفه و ... ربما ضاع اكثره .

وقال <sup>بشرقي</sup> ~~صنجيد~~ = من دهميد الى زماره :

لو كنت ناصحة الجبي	هيات تنفسي الزيار
ماروعة اللفظ الجبي	المرسه بها لعب
ظل على دهب المنية	سكنه معجزة الزمان
فظ تاقدها الحزبه	اخرى على البزم النكر
ما ذا بوجه المحصنه	صوت شج حلف النار
غصبت في العجا الرينه	معنى راحته البهار
درايفوة النافهيه	دلفنة الهدي بجاء
عظوات وسواس رزبه	دهب بقمه الطهار



### ثالثا - فلسفة الجاحظ في الأسلوب

الفلسفة هي البحث في أصول الأشياء التي بدونها لا تكون . وقد بحث الجاحظ في أصول الأسلوب التي بدونها لا يكون . وعلى هذا نبحث لنا ان نعنون الفقرة بهذا العنوان ما دما نحاول ان نوضح موقفه وارهء بهذا الخصوص . ملخص ما قال = ان الأسلوب نتاج عاملين مهمين اولهما الكاتب او الرجل . وثانيهما المكتوب او الموضوع . او بكلمات اخرى يقوم الأسلوب على دعمتين الاولى ذاتية Subjective . والثانية موضوعية Objective وبالاجتماع هاتين الدعامتين وعملهما متأزمتين يكون الأسلوب اسلوبا ويكتسب صفات خاصة تميزه عن غيره . ولتوضيح هذا نورد ما يلي =

اولا - الأسلوب هو الرجل = يرى الجاحظ ان الكاتب وهو وعاء وان كل ما يخرج منه لا بد وان يكون تصويرا جزئيا له . وعلى هذا يمكنك ان تاخذ الرجل لتعرف الصورة . كما يمكنك ان تاخذ الصورة لتعرف الرجل لانها كما يعتقد متعائلان الى حد كبير . الا ان تانلهما يتم وشبههما يقرب عندما يكون الكاتب مؤقفا وناجحا في كتابه اذ عند ذلك يصوغ شخصيته في اسلوبه .

وقد دلل الجاحظ على هذا الانباء اولا الرأى في الموضوع عن طريقين =  
اولا عن طريق نظرية بلرأى بعض الاقوال التي يستنتج منها هذا وثانيا عن طريق عليه بكتابة حسب الرأى . فمن النظرية قوله في البيان ( ما قرأت كتاب رجل قط الا عرفت عقلته<sup>(١)</sup> ) . وقوله = ( الأدب هو عقل غيرك تضيقه الى عقلك<sup>(٢)</sup> ) . ونقله ( ثلاثة اشياء تدل على عقل اربابها = الكتاب على عقل صاحبه ، والرسول على عقل مرسله والهدية على مقدار مهديها<sup>(٣)</sup> ) . وقوله ايضا في البيان ( كلام الناس في طبقات كما ان الناس انفسهم في طبقات<sup>(٤)</sup> ) . وقوله في مكان آخر = ( الكلام حسب التكلم ) فان كان بدويا وجب ان يكون خشنا جزلا وان كان حضريا وجب ان يكون لطيفا سهلا وان عكس ذلك هو المستغرب

## ثانيا - الجاحظ واللغة

× — — — — ×

لقد درس الجاحظ على الاصمعي وعلى ابي عبيده واستمع طويلا الى الاخفش . فهل غريب عليه ان يحب اللغة ويولع بدروبها . ام ان يقول في النحو ويكون له فيه آراء . ام ان يتعمق فيما اخذ يفتح بابا جديدا في الموضوع هو " فقه اللغة " . كلا ليس بغريب . انما الغريب ان لا يكون كذلك .

(١) . من مظاهر اهتمام الجاحظ في اللغة : اولا محاولته تفسير كل ما اشتم منه الصعوبة في اللفظ . ثانيا استطراده فيها دون ما سبب في كثير من الاماكن كان به هوسا الى موضوعاتها . ثالثا جعله اياها مقياسا حتى في المواقف الفقهية تتأمل .

اما عن محاولة التفسير فالشواهد في البيان والتبيين اكثر من ان تذكر . لكننا نورد واحدا وننوه بآخر . اما الذي نورده فهو تفسيره غريب ابيات بقوله ( الهجمة = القطعة من النوق فيها فحل . والكلكل = الصدر . والنصال = جمع نصيل والنصيل ولد الناقة اذا فصل عنها . والهوادل = العظام المشافر . والمقل = ههنا الدية . والعاقلة = اهل القاتل الادنون والابعدون . والصفة = جمع صفة وهي الصخرة ) . واما الذي نحب ان نشير اليه فهو تفسيره قصيدة لبشر بن المعتز استغرقت ثلث الجزر السادس من الحيوان واطن ان في هذا الكتابة من هذه الناحية .

اما عن استطراداته اللغوية ، وخصوصا في الحيوان ، فحدث عن البحر ولا حرج . فتارة كان يستطرد لمسبب لا بأس به . وتارة لمسبب ضعيف . واخرى بدون اي سبب . فلا ينيق القارئ الا وهو وسط بحث لغوي من اعماق البحوث . وللتفصيل فقط نورد ما يلي . قال = ( نظرت امرأة الى علي والزبير وطلحة رضي الله تعالى عنهم ، وقد اختلفت لعناق دوابهم حين التقوا . فقالت من هذا الذي كانه ارقم يتلمظ .. قيل لها الزبير . قالت فمن هذا الذي كسر ثم جبر .. قيل لها علي . قالت فمن هذا الذي كان وجهه دينار هرقلي .. قيل لها طلحة . وقال ابو زيد نهشت انهش نهشا . والنهش هو تناولك الشيء بفيك فتعضه فتؤثر فيه ولا تجرحه . وكذلك نهش الحية . واما نهش السبع نتاوله من الدابة بفيه ثم تقطيع ما اخذ منه فهو . ويقال نهشت اللحم انهشه نهشا وهو انتزاع اللحم بالثنايا للاكل . ويقال نشطت العقدة نشطا اذا عقدته بانشوطة ... الخ ) فتصور اية علاقة بين قول المرأة وبحث ابي زيد .

اما استعماله اللغة لحل المسائل الفقهية فاليك مثالا عليه . في رسالة " الرد على النصارى " حيث حاول ان يفسر مسألة خلة ابراهيم لله قال ( والخليل والمختل سو<sup>٤</sup> في كلام العرب . والدليل على ان يكون الخليل من الخلة قوله زهير بن ابي سلى وهو يمدح هرا =

وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا عاجز مالي ولا حرم وقال الاخر =

واني الى ان تسعفاني بحاجة الى آل ليلي مرة لخليل وهو لا يمدحه بان خليله وصديقه يكون فقيرا سائلا ياتي يوم المسألة ويبسط يده للصدقة والعطية . وانما الخليل في هذا الموضع من الخلة والاختلال ، لا من الخلة والخلال . وكان ابراهيم عليه السلام حين صار في الله مختلاً ، اضاف الله الى نفسه وابانه بذلك عن سائر الانبياء . فسماه خليل الله . نتأمل .

(٢) سعة اطلاعه : كل ما مضى يربنا اهتمام الرجل باللغة . وكانت النتيجة اولا ان اتسعت آفاقه فيها . ثانيا ان تنوعت معلوماته عنها . واخيرا ان كانت آرا<sup>٥</sup> استعمالاتها . واليك نبذة عن كل من هاته .

اما الاتساع فيدل عليه اولا كثرة غريبه ، ثم كثرة اجنبيه ، ثم كثرة عاميه ، ثم قدرته على التفاسير العديدة واخيرا خوضه في مواضيع صعبة من هذا القبيل ولولا اننا المعنا الى كل هاته ومثلنا عليها ، لتوسعنا فيها بعض الشيء .

اما التنوع فيدل عليه اولا تأثر مفرداته بمفردات الفلاسفة والمتكلمين . مما نكاد نصادفه في كل مواقفه التي تعرض فيها لمثل هذه المواضيع . وهذا لم يكن منه غفوا بل تعمده مجانسة للبيئة . واليك قوله في هذا الصدد ( ولكل صناعة كلام الفاظ قد حصلت لاهلها بعد امتحان سواها . فبج استعمال الكلام في المواقف العادية . كما انه فبج استعمال كلام الاعراب في المواقف الكلامية . اذ لكل مقام مقال<sup>٦</sup> ) والمفردات التي استعملها من هذا النوع كثيرة نذكر منها = الجوهر والعرض والحقيقة والتخييل<sup>٧</sup> والليسية والايسية<sup>٨</sup> والاخلاط<sup>٩</sup> والجزء الذي لا يتجزأ<sup>١٠</sup> والكيفية<sup>١١</sup> وغيرها .

اما الثاني الذي يدل على تنوع مفرداته فهو معرفته الدقيقة بروح اللغة . حتى

(١) نصارى ٣١ (٢) ح ١١٤/٣ (٣) ح ١٢٢ (٤) ب ١٠٢/١

(٥) ح ٩٨ (٦) ح ١٢٢ .

استخرج منها كلمات علمية كثيرة ، وحتى تمكن من ان يتكلم عن الحيوان وطبائعه وكل ما يتعلق به - بأسلوب سلس ولغة سهلة تظن ان القوم كتبوا فيها قبله كثيرا . واشهر هذه المفردات في باب التسمية ما لا ضرورة لتعدادها . انما نحبان نشير الى انه في كثير من الاحيان كان يحاول خلق كلمات جديدة اذا لم يجد ما يسد الحاجة . فقد قال السندوبي انه اول من استعمل كلمة " لبلأ " لما في داخل الحمار . وانه " اى السندوبي " قد فتش عنها في معاجم اللغة فلم يقع لها على اثر . مما يدل على ان الجاحظ خلقها من عندياته<sup>٢</sup> .

هذا من حيث سعة اطلاعه ومن حيث تنوع معلوماته في اللغة . اما من حيث آراؤه فله فيها صفحة جميلة نحسب ان ننسخ منها ولو اسطرنا - فالجاحظ ، كما عرف من سعة اطلاعه ورحابة صدره - لا يرى بأسا من استعمال الدخيل اما للتلميح والتظفر او لضرورة الحاجة اليه . ولهذا وردت كلمات فارسية كثيرة في مفرداته . لكنه اذا وجد ما يقوم مقامها من العربية فانه كان يحجم عنها ويبتعد عنها . هذه واحدة ، اما الثانية فهي ان اللغة واسطة لظهار المعنى ونضيلتها في انها كذلك . فاذا خرجت عن هذه النضيلة فعليها ان نعاملها على اساس آخر . ومن كل هذا يستنتج ان اللفظ قيمته في اداة المعنى لا في اى شيء آخر . ولهذا اتسعت آفاق قاموسه . واما الثالثة فهي ان النحو والاعراب وما اليهما لم يوجد الا لمساعدة اللفظ على الوصول الى هذه الغاية . فقيمتها في انها كذلك ، لا في حد ذاتها . ولهذا يتساهل مع الكاتب اذا لم يعرب نواذر العجمة ويتصاح مع الكواعد اذا لم يلاحظن الاعراب . كما يتساهل مع الآخرين الذين لم يبلغوا من القوة في الاعراب بحيث يستطيعون ان يعربوا كل ما يقولون ، لدرجة انه يغتفر لهم تسكين اواخر الكلمات ما دام الغرض الانهاء<sup>٤</sup> . وعلى هذا فقد سبق الجاحظ الكثيرين من المحدثين الذين يدعون لحركة التسكين . الا انه يقول ان كل هذه ترخيصات للضرورة والا فالنحو قوة للضعيف<sup>٥</sup> وهجنة للشريف<sup>٦</sup> .

تبقى نقطة اخيرة بخصوص لفته ، نحسب ان ننفذها . وهي = ترى هل كان يعرف الفارسية . قال احمد امين والغالب انه كان يعرفها<sup>٧</sup> وقال كرد علي نرجح انه كان قد ألم بها<sup>٨</sup> . والواقع الذي بين ايدينا بسويد كليهما . لكنه يقال من الناحية الاخرى

(٤) ب ١٦٢/٢

(٣) ب ١١/١

(٢) سندوبي ٨٠

(١) ح ١٥/٤

(٨) امراء البيان ٣١٧

(٧) ضحى الاسلام ٣٨٦/١

(٦) ب ١٥٩/٢

(٥) ب ١٦١/٢

## الفصل السادس - في علم الجاحظ -

-x-x-x-

بالرغم من ان الجاحظ لم يعرف الا كاديب ، فان له في كتاب الحيوان الذى خلقه في سبعة اجزاء ، وفي غيره من الرسائل المختلفة ، نظرات ، واشارات على غاية من الهمية . خصوصا اذا ذكرنا اهميتها اليوم وادعاء القوم انهم مكشفوها . وهذه القواعد قد توزعت على عدة علوم = اهمها علم الحياة ، علم النفس ، علم الاجتماع ، علم الاخلاق واخيرا علم التاريخ . نال نظرة في تلك الخطرات العلمية التي مرت او بالاحرى القواعد العلمية التي اوردها في كل من هاته نتوجه .

x x x x  
x x x  
x x

اولا - علم الحياة - BIOLOGY  
x ————— x

وهذا بالطبع اهمها كلها لان كتابا كاملا في سبعة اجزاء الق فيه خاصة . اما اهم القواعد التي كان يلح اليها ويورد الامثلة عليها فهي =

(١) - النشوء والارتقاء - EVOLUTION - اى تطور المخلوقات

صعدا في سلم النشوء والارتقاء . قال في الحيوان = بعد ان تكلم كثيرا عن الكلب ( ... ) وقد عرفت شبه باطن الكلب بباطن الانسان وشبه ظاهر الفرد بظاهر الانسان . ترى ذلك في طرفة وتغميض عينيه وفي ضحكه وفي حكايته وفي كفيه واصابعه وفي رفعها ووضعها وكيف يتناول بها وكيف يجهز اللقمة الى فيه وكيف يكسر الجوز ويستخرج لبه وكيف ... وكيف ا . ومن هذا نرى ان الرجل يقابل الانسان بالفرد لا من حيث التركيب الداخلي فقط بل ومن حيث الخارجي ايضا ، ومن حيث الطباع والعادات كذلك .

وهو لم يكتف بايراد الفكرة بل راح يشرح ومتعلقاتها سلبا وايجابا ويورد اقوال غيه بخصوصها فتكلم عن مسالة السلخ والتطور الايجابي ومسالة المسخ او التطور السلبي . اما عن "السلخ" او تكشف الحيوانات وترقيتها وتطورها من حالة الى اخرى فقد قال = ( زعم جماعة عن يحيى بن برمك ان البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ، وان البعوضة التي من سلخ دعوصل ربما تصلحت برغوثا . والنمل تحدث لها اجنحت ويتغير خلقها وذلك هو سلخها<sup>(١)</sup> . اما عن "المسخ" فقد قال موردا وجهتي نظر بخصوصها ( اما القول في المسخ فان الناس اختلفوا في ذلك . فاما الدهرية فهم في ذلك صنفان = فبعضهم من جحد المسخ واقرو بالخسف والريح والطوفان ... ومنهم من قال لا ننكر ان يفسد الهواء من تاخية من النواحي فيفسد ماؤهم وتفسد تربتهم فيعمل ذلك في طباعهم على الايام كما عمل ذلك في طباع الزنج ٢٠٠٠ )

من هذا نرى ان الرجل نوه و اشار الى هذه القاعدة العلمية الجليلة اولا . ثم اورد بعض الشرح عنها واقوال الاخرين فيها . لكنه لم يذكر رايه الخاص . وهذا ديدنه في اكر كتبه كما سبق وقلنا .

## (٢) - مجانسة البيئة Adaptation to Environnement = هذه هي القاعدة

الثانية ونعني بها ان يسمى المخلوق ( بالطبع تاني ما ) لموافقة ومجانسة ومناسبة البيئة التي يعيش فيها . فان كانت صالحة كان صالحا ، وان كانت طالحة كان طالعا كذلك . ان كانت سودا كان اسود كطيور اكر المناطق الحارة وان كانت بيضا كان ابيضا كالدب القطبي وان كانت خضرا كان كذلك مثل اكر حشرات الخضروات . - لقد عرف الجاحظ هذه الظاهرة وتكلم عنها واسهب فيها واستعملها حتى في المسائل الدينية . فاليك الشرح .

قال في المجموعة متكلمنا عن اثر الحرة في اهلها . ( وكل من نزل الحرة من غير بني سليم سود . وانهم لبيتخذون الماليك للبري والسقاء والمهنة .

والخدمة من الاشباةيين . ومن الروم نساؤهم فما يتوالدون ثلاثة ابطن حتى تنفلم  
 الحرة الى الوان بنى سليم . ولقد بلغ من امر تلك الحرة ان طبأها ونعامها وهوامها وذئابها  
 وشعالبها وشاهها وحميرها وخليها وطيرها كلها سود ( واردف معلقا ) والسواد  
 والبياض انما هما من قبل خلقة البلدة وما طبع الله عليه الماء والبرسة . ومن  
 قبل قرب الشمر وعدها وشدة حرها ولينها وليس ذلك من العفوة ولا تشويه ولا تفضيل  
 ثم قال في الحيوان ( ومن يسكن البحرين <sup>٢</sup> ) . وفي اخر قال معللا هذه الظواهر  
 ( ... وان اسود الحمار فان ذلك احتراق ومجازة لحد النضج ومثل به من الناس الزنج فان ارحامهم  
 تجاوزت حد الانضاج الى الاحراق وكشطت الشمس شعورهم فتقبضت والشعر اذا ادنيته من النار  
 تجعد ) <sup>٣</sup> .

الا ان البيئة في رايه لا يكون جسمانيا فحسب بل وحلقيا ايضا . قال  
 في الحيوان ( وقد راينا العرب وكانوا اعرابا حين نزلوا خراسان - كيف انسلخوا من جميع تلك المعاني -  
 وتروى طباع بلاد الترك كيف تطيع الابل والدواب وجميع ماشيتهم من سبع وبيمة على طبائعهم ) <sup>٤</sup> .  
 من هذا نرى ان البيئة تؤثر على موجوداتها فتطبعها بطابعها من  
 الناحيتين الجسمانية والعقلية . وقد مثل لنا الجاحظ على كل منها اجمل تمثيل  
 كما راينا وطلبها اجمل تحليل كما قرانا . الا انه زاد فراج يستغلها في اعراضهم  
 الادبية والدينية . اما في الادبية فهي معرنة هذا الامر على عقلية القوم ، ولذا  
 اختلفت تعاريف البلاغة عنده حسب افاليهم والبيئات التي تربوا فيها . فالبلاغة  
 عند العبري الايجاز لانهم صقلوا كل هم السرعة والاقتصاد وعند اليونان المنطق لانه  
 على هذا نشا . اما في الدينية فهو يرى ان اسمعيل تكلم العربية وان لم يكن عربيا  
 مناسبة لبيئة العربية التي وجد فيها ) <sup>٥</sup> .

٣ - التعاون = Symbiosis وهذه ظاهرة اخرى

عرفها الجاحظ . اي ظاهرة تعاون بعض المخلوقات على المعيش . وليس هذا  
 بغريب عليه وهو الذي كان حينئذ تعرض للموضوع يحاول اثبات وحدة الكون باجمعه وتعاون  
 افراده كلهم على انبات وجود قوة واحدة مدبرة <sup>٦</sup> .

(١) بخ ٧٨ (٢) ح ٤٧/٤ (٣) ح ٧٥/٣ (٤) ٢٤/٣ (٥) ب ١٧٠/١

(٦) ح ٣٨/٣

قال في الحيوان عندما كان يحاول اثبات هذه النظرية "أرى تحاول كل المخلوقات على وجود قدرة مدبرة" ( ... وأى شيء أعجب من طاشرين يراها الناس من أدنى حدود البحر من شق البصرة الى غاية البحر من شق السند . احدهما كبير الجنة يرتفع في الهواء مصعدا والاخر صغير الجنة يتقلب عليه ويعبث به . فلا يزال مرة يرزف حوله ويرتقى على راسه ومرة يطير عند ذناباه ويدخل تحت جناحه ويخرج من بين رجليه " فلا يزال بغمه وكربه حتى يتقيه بذرق + فاذا ذرق تحاماه فلا يخطئ اقصى حلقه حتى كأنه رمى به في بئر وحتى كان ذرقه محتاجا مدحاة بيد اسوار . فلا الطائر اصغير يخطئ في التلقى وفي معرفته انه لا رزق له الا الذي في ذلك المكان . ولا الكبير يخطئ التشديد ويعلم انه لا ينجيه منه الا ان يتقيه بذرقه . فاذا اوى ذلك الذرق واستوى في ذلك الرزق رجع شعبان ريان بقوت يومه ومضى الطائر الكبير لطيفته . وامرهما مشهور وثلاثهما ظاهر لا يمكن دفعه ولا تهمة المخبرين عنه لم " ومن مكان اخر ارد منظلا ثانيا على ذات الظاهرة فقال ( والتمساح يفتش فاه اذا غمه ما قد تعلق باسنانه حتى ياتي طائر فيناكل ذلك فيكون طعاما له واحة للتمساح ) (٢) .

هذه امثلة اردعها الجاحظ. وهي لعمري نعم الامثلة لتوضيح هذه القاعدة الحيوية القيمة . طبعا نحن لا نقول ان الجاحظ عرفها بحد ذاتها اى كما يعرفها علماء اليوم - انما نقول انه لاحظ واراد عليها امثلة . ومن هذا فضل كبير .

#### ٤ - التهجين = HYBRIDIZATION = والتهجين هو

تلقيح ابيون مختلفين لينتجا فلا يكاد يكون نالسا . مثل تلقيح الفرس مع الحمار لينتجا البغل او الكلب مع الضبع لينتجا العسبار على حد قول الجاحظ بذاته .

لهذه القاعدة ذيول طويلة وكثير . لم يعرف منها الجاحظ الا ان هذا الهجين يكون مختلفا عن ابيوه . فهو تارة ضعيف وتارة قوى ومن الصعب ان يكون مثلهما . بالطبع لم يعمل الظاهرة تعليلا علميا كما يعللها علماء الحياة اليوم - لانه لم يكن باستطاعته ذلك . انما اكتفى بالتببيه عليها والتمثيل لها .



في الجزء الاول من الحيوان قال مشيرا الى الظاهرة ( ) قالوا قد يعرض الذئب ( الضبع ) في تلك البلاد للناقاة الوحشية فيفسدها . فتلفح بولد يجي خلقه ما بين خلق الناقاة والضبع . فان كان انثى فيعرض لها النمر الوحشى فيضربها فيصير الولد زرافة (١) . ومن مكان اخر تكلم عن العسبار من حيث انه ولد الكلبة والضبع ومن ثالث تكلم عن البغل من حيث انه نتاج تسافد الرمكة والحصار . وكل هذه امثلة من حيوانه تشير الى انه لاحظ الظاهرة العلمية هذه .

لكنه لاحظ ايضا اشياء اخرى عنها . فقد عرف ان الهجين ( اى نتاج الابوين المختلفين ) يكون غالبا اقوى من ابيويه او قد يكون اضعف حسب حالتها ومعنى هذا المصداق قال ( ان البغل المتولد بين الحمار والرمكة لا يبقى لسله نسل . والزاغبي المتولد فيما بين الحمام والورشان يكثر نسله ويطول عمر ولده . والبخت والفولج ان ضرب بعضها بعضا خفي الولد منقوص الخلق لا خير فيه (٢) وهذه النتيجة التى توصل اليها الجاحظ في الفرن الدالت للهجرة اى ضرورة اختلاف الهجين عن ابيه ان سلبا او ايجابا هى التى توصل اليها مندل في الفرن النامن عشر للميلاد وملا النعم الدنيا مدحا لعبقريته .

#### ٥ - التوالد العذرى Parthenogenesis = وهناك

ظاهرة اخرى لاحظها الجاحظ هى ظاهرة التوالد العذرى . او البكرى . اى الولادة بدون سابق تلقيح ذكر لانثى . مما افرد العلم الجديد ومثل عليه بتكاثر الاميبا مثلا والى كذلك . نفول لاحظها وتكلم عنها بخصوص بيض الدجاج غير الملقح في الجزء الثالث من الحيوان ثم عاد يوكدها ويهاجم الذين انكروها بقوله في ذات الجزء ( وقد انكر ناس من العوام واشباه العوام ان يكون شئ من الخلق كان من غير ذكر وانثى . وهذا جهل بشأن العالم واقسام الحيوان . وهم يظنون ان على الدين من الافرار بهذا القول مضرة . وليس القول كما قالوا . وكل قول كذبه العيان فهو فحش خطأ (٣) . لذن لقد راي الجاحظ بعينه هذا ولذا فهو لا يقبل به بديلا ..

#### ٦ - تنافس البقاء Struggle for Existence هذا

ناموس طبيعى اجتماعى عام . لاحظته الاحظ وكتب عنه وانا في التمثيل عليه خصوصا في عالم الحيوان

نذكر تسلط بعض الحيوانات على بعض مثل الكب على القط والنقط على القار .  
 وذكر اسلحة كثيرة من الحيوانات التي تدافع بها عن نفسها مثل خرطوم النمل  
 وانياب القط وحيلة الثعلب ونسأ الضب . مما لا ضرورة لاعادته اولا لانه  
 معروف وثانيا لاني نقل اقل شيء منه اطالة لا مبرر لها . لكننا نعتقد  
 ان القطعة التالية لها قيمتها في هذا الصدد . قال في الحيوان =  
 (وهم صاحب المنطق ان العذاب تاكل الحيات . وان بينهما عداوة لان الحية ايضا  
 تطلب بيضها ونراخها . قال والعذاب تقابل ابومة لان العذاب يخطف بيض البومة  
 نهارا وتشد البومة على بيض العذاب ليلا فتاكله لان البومة ذليلة بالذات ار ردية  
 النعير واذا كان الليل لم يقو عليها شيء من الطير .... والعذاب يقاتل ابن عرس  
 ليأكل بيضه ونراخه . قال وبين العداوة والعذاب قتال لان العداوة تخطف بيض  
 العذاب لانها اشد مخالب واسرع طيرانا . وبين الاطردغالة والشقراق قتال  
 لانه يقتل الاطردغالة ومطالبه . وبين العنكبوت والعظاية عداوة ... وو ( ١ ) الى  
 كثير من العداوات التي اتى على ذكرها مما يدل على استحكام القتال ودوام النزاع في سبيل  
 الحياة .

## ٧ - علم الحياة الترتيبى = Systematic Biology هذه الطريقة

في مهاجة علم الحيوان لم تعرف الاحدينا . اى تقسيم الحيوانات الى عائلات مشتركة  
 في خصائص خاصة . ثم درس كل عائلة على ذلك الضوء . الا ان الجاحظ عرنها في القديم  
 وحاول ان يدرس حيواناته على ضوءها لكن ضرورة الاستمرار التي راي بها منفعته من  
 ذلك وحالت بينه وبينها .

قلنا عرف هذه الطريقة . والدليل على ذلك محاولته تطبيقها بجمعه  
 الحيوانات المتشابهة من مجموعة واحدة مثل قوله عن الحمام مثلا ( فالقمرى حمام  
 حمام والورشان حمام . والسفنين حمام ، وكذلك اليمام واليعقوب وضروب  
 اخرى كلها حمام ؟ ) ومثل قوله عن الزنابير ( وليس بين بنات وردان والزنايسير  
 فرق ولا بين الزنابير والدبر والخنافس فرق . ولا بين العصافير والزوايسر فرق ؟ ) .

وليس هذا بحسب بل راح ينتهها بالاستشهاد بعد ان تاكد بالعيان .  
 فقال ( والدليل على ان اجناس النحل والدبر كلها ذبان . ما حدث عباد بسن

صهيب واسماعيل المكي عن الاعسر عن عطية بن سعيد العمري قال قال رسول الله صلعم = كل ذباب في النار الا النحلة ( . وليس هذا وحسب بل رآه يستخرج الشاهد من القرآن ايضا بقوله ( زعم اناس ان جميع الحيوان على اربعة اقسام = شئ يطير وشئ يمشى وشئ يعم وشئ ينساح . وقد قال الله عز وجل = والله خلق كل دابة من ما فمهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجله ومنهم من يمشى على اربع يخلق ما يشاء (١) ومن هذا نرى اولا ان الجاحظ ادرك هذا الاختلاف بين حيوانات والتفارب بين اخرى فراح يجمعها في عائلات مقاربة . الا انه يقال اولا ان قاعدة تقيمه كانت ناقصة بالرغم من انها صحيحة . وثانيا انها لم تجب واضحة بالرغم من انها قصيرة لكن له من روح العصر الذي عاصر فيه ( اي عدم معرفة هذه الامور ) خير عذر ومن نزعته الادبية في بحثه احسن ملجأ .

هذه نظرة عامة وسريعة في المبادئ او القواعد او النواامير العلمية التي لاحظها الجاحظ في علم الحياة . كان هنا ابرازها كما وردت دون اي تعليق الا ما اقتضت الضرورة به . فنقول انه عرّس سنة النشوء والارتقاء . وعرف مجانسة البيئة وهرم ظاهرة التعاون وادرك مسألة التهجين . وم يغفل التوالد العذري . هذا الى كلام مفيد مختصر في تنازع البقاء ثم انقسام الحيوانات الى عائلات . - وكفاة فضيلة - ونحسبان نضيف انه كان ملاحظا اكثر منه باحثا .

## ثانيا - علم النفس - PSYCHOLOGY

في هذا الميدان طرق الجاحظ عدة نواحى من نواحى النفس البشرية والحيوانية . فاسهب في كل منها وفصل به وكتابه " البخل " بالاضافة الى " الحيوان " وراسائله الاخرى فمن " كتمان السر " و " الحاسد والحسود " بالاضافة الى " التربيع والتدمير " وفرق ما بين اعداوة والحسد " ، لم تعد في اكثرها كتب لدرس للنفسية البشرية وتحليلا وانما لها على ضوء الاختبار . ولو لم يكن قد طرق في هذا الموضوع سوى ناحية البخل وناحية الحسد وناحية التنبيل بالاضافة الى كثير من طبائع الحيوان لكفاء فضلا .

الا ان هناك قواعدا نفسية كان دائما يحاول الدوران حولها لتوضيحها نحب بدورنا ان نقد عليها بعض الشيء بعد ان جمعنا متفرقاتها من هنا وهناك - اهم هذه ما يلي =

#### ١ . وحب شيء الى الانسان ما منعنا = وقد مثل عليها تمثيلا جميلا في رمللة

كتمان السر حيث قال اذا اردت ان تفشى سرا فتعال لايهم وقل له = احب ان اقول لك سرا . لكن ارجوك كل الرجاء ان لا توصله الى احد . وكرر عليه كلمتي " سر " و " ارجوك ان لا توصله لاحد " . وانا الكليل بان كل البلد ستدرى به . ذلك لان النفس البشرية نزاعة للحرية وتكره كل قيد . فانت بقولك = لا تقله لاحد . فيدته بقيد سيبقى دائما وابدا نزاعا ليفلت منه ا .

#### ٢ . وشبه الشيء منجذب اليه = قال في الحيوان ( ... لان الشكل

انهم عن شكله واسكن اليه واصب به . وذلك موجود في اجناس البهائم وضروب السباع . والصبي عن الصبي انهم وله الفاء واليه انزع . وكذلك العلمم و العالم والجاهل والجاهل . وقال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام = " ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا " لان الانسان عن الانسان انهم وطباعه بطباعه انهم ( ٢ ) . والسبب عنده في كل هذا ان اخلاط الاشياء متشابهة في الاصل ورغائبها متقاربة ولهذا لنم ان تفاهم ( ٣ ) . هذا ان اخلاط الاشياء متشابهة في الاجل ورغائبها متقاربة ولهذا لنم ان تفاهم .

#### ٣ - والمرء يجهل عيب نفسه - وامثلة هذا تكاد تملأ النجلاء

والترجيع " فالبخيل لا يرى قبح نجلة بل لا يكاد يفقه . انما يرى ذلك في غيره ويهاجمه . وان عيب الوهاب لا يعرف نفسه ابدا ولهذا تاه وطر فاضطر الجاحظ " لان يوقفه عند حده كما قال . و غير توضيح لهذه القاعدة هو مراجعة كتاب التريع . اذ هناك تعرف رسوخ كعب الرجل في الموضوع ومعرفته الدقيقة بدخائل النفس البشرية .

#### ٤ - الانسان ميال للتأله - فهو لا يقر بعيب ابدا . واذا رأى

عيبا فانه يستره ويحاول ان يطمسه عن الناس باظهار عكسه . فالضعيف في اساسه تراه دائما يتظاهر بالقوة والغبى يتظاهر بالذكاء . واحسن الامثلة عنده رسالة في النبيل والتنبيل . واجمل ما جاء فيها قوله

والنبيل لا يتقبل لانه ليس بحاجة الى ذلك . انما الذى يتقبل هو من ليس عنده نبيل .

هـ - النفس الانسانية ضعيفة فلا تنسى هذا = لذلك لا تكثر عليها

من الجد لئلا تحترق ، ولا تكثر عليها من الهزل لئلا تموت . ولهذا كان تنويهه في ادبه كله . واحسن مثال عملي قدمه بهذا الخصوص قوله في رسالة التجارة لا تعط الدرس بكامله للتلميذ . بل اعطه منه قليلا قليلا وتدرج من الصعب الى الاصعب وشوقه انهاء ذلك فان التشويق في النفس انرا كبيرا . ص ١٥٩

٦ - متفرقات = هذه المتفرقات تجدها في كلامه عن طبائع الحيوان التي اوردها منجمه في ثانيا كتابه . وللتفصيل على هذا راجع (١) ما لن نذكره خوفا من التطويل .

ثالثا - علم الاجتماع - SOCIOLOGY  
x ————— x

اما في باب الاجتماع فلاجل اراءه هي مزيج من اراء عصره التقليدية واءاء عقله الجبر . واليك اشهرها بكل اختصار =

١ - الجاحظ والمرأة = لقد اورد الجاحظ في كتبه كثيرا من الاقتباسات كلها الى انحطاط النظرة الى المرأة في ايامه وقبل ايامه . بل هي بحق تمثل نظرة العرب التقليدية الى هذا المخلوق . واليك جانباً منها = نقل في البيان . قول خالد ( وما عسى ان اقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد . دل عليهم هدهد . وغرقتهم نأرة . وملكتهم امرأة<sup>(٢)</sup> . يشير الى قوم سبأ وملكتهم بلقيس ونقل فيه كذلك من خطبة لعبدالله بن مسعود قوله ( النساء حباله الشيطان<sup>(٣)</sup> ) وفي ذات الكتاب نقل قولهم الشائع ( لا تستشيروا معلما ولا راعي غنم ولا كثيرا العقود مع النساء<sup>(٤)</sup> . وكذلك قول عمر بن الخطاب ( اكثروا لهن من قول لا . فان قول نعم يضر بهن على المسالة<sup>(٥)</sup> .

واما في الثالث فقد كاد يعطي الصورة الكاملة لهذا الموقف التقليدي بنقله  
هذا الحديث ( كتب الحجاج الى الحكم بن ايوب = اخطب على عبد الملك بن عبد العزيز <sup>الحجاج</sup>  
امراة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها امة لبعلمها .  
نكتب اليه . قد اصبتها لولا عظم نديها . نكتب اليه الحجاج = لا يحسن نحر المرأة  
حتى يعظم نديها . قال المرار بن منذ الحدي =

صلته الحذ طويل جيرا ضمة الندي ولما ينكر

نقال علي بن ابي طالب بن ابي طالب كرم الله وجهه = لا ، حتى تدني الضجيج وتروى  
الرضيع . - هذه هي نظرة القوم اليها . هو آخر ما استطعوا ان يرفعوها  
اليه = ان تدني الضجيج وتروى الرضيع .

والجاحظ قد ضرب على هذا الوتر كثيرا في كتبه . نذكرها تارة بخفة

العقل مع النوكي <sup>١</sup> . وتارة بالظيتر مع الاولاد . وتارة باشياء اخرى كثيرة من هذا  
النوع .

الان في الحق كان يثور على التقاليد ويعطي تعلمه حرية التبصير عن  
عقله الحر . فقد وقف مواقف مشهورة بهذا الصدد واليك بعضها . فالجاحظ لم ير  
بالحجاب = اولا لانه لم يكن في الجاهلية <sup>٢</sup> وثانيا لانه نزل على نساء النبي خاصة في  
الاسلام <sup>٣</sup> وثالثا لان الكيرات من مشهورات العباسيات لم يعترفن به <sup>٤</sup> . ورابعا لانه غير  
طبيعي انما خلقت غير الرجل وحسب انثرت بالمرأة <sup>٥</sup> . هذا بخصوص الحجاب اما  
بخصوص الاختلاط فقد دافع عنه كل دافع وقال انه طبيعي الذي لا بد منه لولا  
الفساد الاجتماعي <sup>٦</sup> . وله موقف ثالث بخصوص المرأة وهو اعتراضه بمساواتها بالرجل في  
كل الميادين وقد رهب <sup>٧</sup> على ذلك عمليا بنقله عن كيرات منهن في الادب وفي الزهد وفي  
الحيوان حتى ، وليس هذا فحسب بل فضلها عليه في مواقف خاصة كما نرى في (النساء  
والعشق)

٢ - الامامة = وللجاحظ اراء في الامامة . فهو كما يشتم من كلامه  
لا يؤمن بما يسمى اليوم حكم الشعب . لان هذا الشعب اكر من العامة . والعامة  
في ~~صالحها~~ نظره لا تفهم صالحها . اذا اجتمعت فانها للشعب وان تفرقت فالخير كل الخير

في تفرقها تطلب الرزق". ولهذا هاجمهم كثيرا حيث تعرض لهم واعلن عن عدم ثقته بهم في كثير من المواطن .

ورايه هو ان يقوم جماعة ممن تتوفر فيهم شروط خاصة يستلزمون زمام الحكم ويديروا الدفة باحكام . وبهذا لا يغيره يسير المجموع في طريق النجاح . اولا لكفاءة هؤلاء في عملهم ، وثانيا لانصراف العامة الى اشغالهم . وهو يرى الى جانب هذا ان القلة في عدد هؤلاء الرؤساء هي المطلوبة . حتى انه اوصى بامام واحد فقط . وصحبته في ذلك ثلاثي الخلاف . وهو في الوقت الذي يعترف فيه بان راى اثنين احسن من راى واحد يقول = ولا بد للخير من شر حتى يتم كيانه<sup>٢</sup> .

هذه الاراء مستفاد من رسالة في الامانة . ومن الاماكن الاخرى التي ورد فيها ذكر للموضوع في مختلف كتبه . ومن مجموعها يستنتج ان الرجل كان نزاع للحكم الفرد لا بغيره .

### ٣ - نظام الطبقات = يرى الجاحظ ان اختلاف الناس في مواهبهم

ومقدراتهم وكفائتهم امر طبيعي . بل هو لضروري لصالح المجتمع . والخير كل الخير في بقاء تلك الفوارق . والشر كل الشر في محاولة ازالتها او تجاهلها . فالعالم لا يمكن ان يكون كالجاهل . ولا الخاصة كالعامة . ومن جميل قوله في هذا الصدد = تصور ان جميع الناس خلقوا اوهم بعقلية واحدة وجنانية واحدة بلا فرق ولا تمييز . تصور لهم هذا ثم تصور منهم الاضطراب والفوضى في المجتمع . فسبحان من الهم فلانا ان يسى ابن محمدا والهم غيره ان يسميه شيطانا<sup>٣</sup> .

هذه اهم نظراته في الموضوع . الا ان له غيرها كثيرا مما لا نستطيع ايراده في هذه العجالة اولا لضيق المقام وثانيا لقلة بروزه في كتبه .

(١) هامش الكامل الثاني ٣٣ (٢) هامش الكامل الثاني ٥٠

(٣) هامش الكامل الثاني ١٢٢

### رابعاً - علم الاخلاق

لقد نصب الجاحظ نفسه محامياً عن الاخلاق الحميدة . فكتب ايجابياً يدعو اليها وكتب فيها سلبياً ينقد وينفر من ~~ال~~ الرذيلة = كما ترى في لائحة كتبه عن " الاخلاق " ما يمكن الرجوع اليه . وللتلخيص فقط نقول انه = كتب في البخل ناقداً ، وكتب في حيل اللصوص منفصلاً . وكتب في الجوارى مهكماً . كما انه نقل كثيراً من الزهديات في البيان ، واستخلص شيئاً جليلاً من اخلاقيات الحيوان . هذا بالإضافة الى تذود كثيرة في السلوك وآداب المعاشرة وتجدها مفردة في الحيوان .

وخلاصة آرائه في كل هذه رأيان يكادان يكونان متناقضين = الاول هو ترك الدنيا والتوجه للآخرة بمثلها العليا . والثاني هو ترك الآخرة والانكباب على الدنيا بمثلذاتها وملاهيها . وليس بغريب على الجاحظ هذا التطرف فقد عرفنا فيه من قبل .

اما الاول فيستنتج من منقولاته في الزهد واقوال الزهاد وما اليهم ما اكثر منه في البيان والتبيين . واما الثاني فمن رسائله المتعددة مثل رسالة " الشارب والمضروب " التي دافع فيها عن شرب النبيذ ومثل " رسالة القيان " التي ذمهن فيها لعدم اخلاصهن في حبهن ومثل رسالة " المغنين " التي حبذ فيها الغناء ومثل رسالة العشق والنساء " التي دافع فيها عن المرأة اولا وارانا اختبارات عيسقه وشقتها نانيا .

### خامساً - علم التاريخ

× ————— ×

في هذا الميدان كان الجاحظ مؤرخاً اجتماعياً اكثر من سياسياً . وادبياً اكثر من علمياً . فهو عندما يتناول شخصاً لم يكن يتناوله من حيث مركزه السياسي بل كان يأخذه من حيث انه رجل اجتماعي فيتكلم عن علاقاته بغيره وعن آرائه في النظام وعن اقوال الناس فيه وهكذا . لكن الضرورة تضطرننا لان نقسم الموضوع لقسمين = اولاً التاريخ السياسي الذي يساير العصور السياسية ويتكلم عن رجال الدولة وان لم يصبغه بتلك الصبغة . وثانياً التاريخ



الادبي الذي ركز فيه على جملة من رجال الادب .

١ - التاريخ السياسي = كان الجاحظ فقيرا فيه . وما يلي مما جمعناه ، قد وقع منه بقصد غير القصد المعروف من مثل هذا الموضوع . واليك نظرة في التراث التي تكلم عنها =

اولا - تكلم عن التاريخ القديم للجزيرة فذكر اقواما غابرة وتحدث عن نشو النصرانية فيها منذ القديم  
ثانيا - تكلم عن عهد الراشدين ثم ينفرد الشخصيات الاربعة قال بعض الشيء عن كل منهم .  
ثالثا - " " " الامويين بذات الاسلوب  
رابعا - " " " العباسيين بذات الاسلوب ايضا .

٢ - التاريخ الادبي = واكثره تراجم لشعراء وكتاب وخطباء وتنويهات خاصة برجال بارزين لا يمكن جمعها في صفحات لانا واسعة التفرق .

ولكن هذا فتكون برفسته التاريخيه مقصودة على هذا الكم القليل والنوع الضئيل الا اننا يجب ان لا ننكر انه اذا لجمعت متفرقاته وخصوصا تلك الاخبار الصغيرة ، وعطبه المنقوله ، وكتبه التي نسخها فان مجموعها شيء قيم . هذا بالاضافة الى مفهومه الاجتماعي للتاريخ وسبقه الكثيرين الى هذه النظرية .

### نظرة وتقدير

اذا القينا نظرة عامة على كل ما مر وجدنا ان الرجل كان سبانا الى كبير من القواعد العلمية التي يفتخر بها العصر الحاضر . فسبقه الى التنويه بوجود شيء اسمه التطور لا يعد مفخرة لانه سبق اليه فحسب وانما لانه تجاسر ان يقول به ايضا لا سيما وهو يتبع لدين تقول اصوله ان الله خلق كل شيء ولا تطور . واما اراؤه في المرأة خصوصا في حجابها فشيء اقل ما يقال فيه انه جميل جدا . لكن الاجمل منه هو نظرته للعامة وموقفه ا

التنكرى منهم . واذا عرفنا ان ذات موقفه وقفه هتلر من العامة وقال به في كفاحه عرفنا الى اى مقدار كان الرجل دقيق النظر في امور المجتمع . ولنتخط اراءه في نظام الطبقات لانه يكاد يعلن عن نفسه بنفسه لنتنقل الى رايه في الاخلاق ذاك النظر الذى ان كان ليمنل شيئا فانما واقعية باجلى معانيها . " ساير البيئة وجار المجتمع ولايس الدهر الذى تعيش فيه " . ان كانت اخلاقا فاضلة فادع . لافضل منها . وان كانت رذيلة فمرحبا بالرزائل . واما رايه في تدوين التاريخ فقد كاد يتميز به . التاريخ عنده ليس مجرد سرد حوادث . انما هو نتاج اعمال رجال . فلا يمكن تدوينه الا على هذه الحاب . تاريخا اجتماعيا . والجغرافية عنده مثل التاريخ بالضبط . الجغرافية ليست جبالا وسهولا وانهارا . هي جغرافية انسانية . هي وصف للعلاقة المكيئة بينها وبين اهلها .

الا انه يؤخذ عليه      اولا      انه كان ملاحظا اكثر منع باحثنا  
 ثانيا      انه كان وصافا      واكتفى بذلك ولم يستنتج قوانين عامة  
 ثالثا      ان اكثر مادته كانت قليلة ابتدائية .

الا ان له من البيئة التي عاش فيها كما فلنا خير مجن . وعلى العموم  
 فله دره . فكم كان سببا لعصره بعصور . حتى ان كل مدح فيه اضحى بعد كل  
 هذه الدراسات نجا من التكرار .

### المقالة الثالثة في دين الجاحظ

انه لمن المؤسف حقا ان تضع اكثر كتب الجاحظ في الدين ومثاله . والعقل ومثاله . نتظلم امامنا الطريق ومختفي كل نجم نستطيع ان نستعين به في هذه المفازة . فاحالة القدرة على الظلم التي تتعلق بمسألة القضاء والقدر ، والاستطاعة وحلق الانعام التي تعالج مشكلة حرية الانسان ، رسالة خلق القران التي تعرضت لقضية طالما كثر فيها الاخذ والرد ، رسائل الردود على المشبهه والقولية وغيرهما مما تجده في قائمة سرد كتبه كلها ضاعت ولم يبق لنا منها شيء .

اما كيف ضاعت . فاغلب الظن ان ذلك كان عن احدى طريقين = الاولى تغلب اعداء الجاحظ عليه وعلى نرفته منذ ايام المتوكل ومن ثم اغارتهم على كل ما خلفت بهذا الصدر ومحاولتهم الخلاص منها على اى وجه كان . والثانية حرق المكاتب الذى تكرر وقوعه في اواخر العصر العباسي عندما سادت الفوضى وتحكم في الناس جهالهم .

نقول بهذا عدما كد كتب الجاحظ في الدين الا القليل النادر . وليست الامر وقف عند هذا الحد ، اذن لا استطعنا ان نعتمد على من جاء بعده في استقاء مادتنا عنه بهذا الخصوص منهم . لان هؤلاء الذين جاؤوا بعده سادتهم روح سنية منزقة ، انكرت كل اثر للعقل ومن ثم انكرت كل اثر للجاحظ نصيره . وان كان هناك اى اثر بقي ولم يستصيعوا محوه راحوا يعملون فيه معاول التشويه من نقد مر الى سخيرة لاذعة الى تهكم يذل امامه كل متشامخ ومن امثلة هذا قول ابن الراوندى يسخر من قول الجاحظ بخلق القران ( ودعي الرجل ان القران مخلوق يستحيل تارة في شكل امرأة واخرى في شكل رجل ) .

نقول لكل هذا عزمنا على عدم التعرض لهذه الناحية من ادب الجاحظ . لكننا وجدنا ان الموضوع لا يتم بدون ايراد ولو لمحة قصيرة عنه . فمن اين ناتي به . واخيرا هدتنا الحيلة الى الاعتماد على الشذرات القليلة التي نرفها في باقي كتبه ومثاله ما قد سلم ، وعلى الشهرستاني الذى يعد احسن مرجع قديم عرفناه في الموضوع . لكن هذه الشذرات المتفرقة وما

أورد الشهرستاني وغيره كان من الفلة والغموض بحيث لم نفهم منه شيئا . ولهذا اضطررنا الى ان نستعين بمفهم بعض المحدثين لها مثل احمد امين وغيرهم .

اما الذى سنحاول ان نبينه في هذه المقالة ، او بالاحرى ان نلقى عليه ضوءا فهو اولا موقفه من القرآن وثانيا موقفه من الحديث وثالثا موقفه من الفقه ومشاكله بخصوص علاقة الدين بالعقل .

### اولا الجاحظ والقرآن

كمسلم عادى ابن الجاحظ بان القرآن من عند الله . لكنه كمتزلي انكر ان يقر له بالفدمية كما يقول السنيون . ولذا راح يقول بانه مخلوق كباني مخلوقات الله واليك قوله بالحرف ( ... ثم زعم اكثرهم ان كلام الله حسن ... وان الانجيل غير القرآن . والبقرة غير ال عمران . وان الله تولى توليفه . وجعل برهانه على صدر رسوله . وانه لو شاء ان يزيد فيه زاد . ولو شاء ان ينقص منه نقص ... ولو شاء ان ينسخه كله بغيره نسخه . وانه انزله تنزيلا . وانه فصله تفصيلا . وانه بالله كان دون غيره . ولا يقدر عليه الا هو غير ان الله مع ذلك لم يخلقه ... فاعطوا جميع صفات الخلق . ومنعوا اسم الخلق ... والعجب ان الذى منعه - برحمته - ان يرمى انه مخلوق انه لم يسمع ذلك من سلفه و هو يعلم انه لم يسمع ايضا من سلفه انه ليس بمخلوق ) .

هذا من حيث موقفه من مسألة خلق القرآن التي لعبت كره دورا كبيرا . اما من حيث مسألة اعجازه فالغريب من امر الجاحظ انه يقول بالصرفة اى ان العرب يمكنهم ان يأتوا بمنزله ولكن الله صرنهم عن ذلك . قال ( فانا نقول بالصرفة في عامه هذه الاصول والابواب ... وقد ذكرنا ... وذكرنا ... وذكرنا من صرف من صرف او هام العرب عن محاولة معارضة القرآن )<sup>٢</sup> .

اما من حيث تفسيره فقد وفق موقفنا يشكر عليه اذ جعل العقل هو مدار

كل تفسير . تفسر احيانا تفسيراً منطقياً معقولاً وتند احيانا تفاسير غيره الخرافية وسخر منهم على حسب عادته التي عودنا . واليك بعضاً من هذه اللحات من كتاب الحيوان .

لقد انكر الجاحظ الخرافة من اصلها وهو لم يعتقد بحديث الجن واشعار الجن وما اليه . ولذا نفى كل خبر عيان عنهم رايها اياه بلانه " حديث خرافة " . وقد طبق هذا المنطق في التفسير فقال في تفسير ( انها شجرة نخس في اصل الجحيم . طلعتها كانه رؤوس الشياطين = وليس ان الناس راوا شيطاناً قط على صورة . ولكن لما كان الله قد جعل لها في طبع طباع جميع الامم استنباح جميع سم الشياطين واستمجاها وكراهته واجرى على السنة جميعهم ضرب به المثل في ذلك . رجع بالايحاش والتنفير وبالاخافة والتفريع الى ما قد جعله الله في طباع الاولين والآخرين عند جميع الامم على خلاف طباع جميع الامم<sup>(١)</sup> .

هذا مند على استعمال العقل الحر في التفسير . اما الثاني فعلى استعمال العقل الواسع الاتاق فيه . قال في تفسير ( ربنا لا تحملنا مالا صاقة لنا به واعف عنا = يجوز ان يكون انما يريدون صرف العذاب . ويجوز ان يكون انما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز على قوس من قال " لا استطيع النظر الى فلان " على معنى الاستقبال<sup>(٢)</sup> .

اما المثل الثالث فعلى سخرته بالمفسرين الآخرين في قولهم ان اصل القط من عطسة الاسد . وان الخنزير من سلح الفيل . وذلك انه عندما جمع نوح مخلوقات كثيرة ليس سفينته ولا بهم الموج واخذ الفار يعبت بالمتاع وكاد يخسر السفينة اوحى الله للاسد بان يعطس فخرج من منخره زوج سنابير . فغار الفيل وسلح فكان زوج خنازير . وبعد ان اردت هذه الحكاية اردت معلقا وهذا مما تتلهم به النساء والاولاد ومحبي الخرافات من المفسرين<sup>(٣)</sup> .

واذا اردت الزيادة من هذا فراجع ح ٢٢/٤ ح ٢٩/٤ ح ١٢٩/٣ ح ٨٣/٦ ح ١٦٩/٦ . ومن هذا نرى ان البلحظ كان يقول بخلق الفران اولا وكان من القائلين بالصرفة في اعجازه ثانياً وكان من مؤيدي استعمال العقل في تفسيره ثالثاً .

### ثانياً الجاحظ والحديث

... على العموم يقال ان موقف الجاحظ من الحديث لم يتخذ صفة الجد . ولهذا نراه

تارة يطيل اسناده ويحذف فيه ، وتارة يقصره او يهمله ، واخرى يورد احاديث ضعيفة وفي غيرها  
كاد يندى بمجمل هذا الموقف واليك الامثلة .

كان الجاحظ في كثير من الاحيان يطيل السند علما منه بان ذلك نوع من التحقيق  
في المسنود مما يخصوص به خصة نحو الحقيقة التي كانت غايته في كل ما كتب واليك مثلا على ذلك =  
( فضيل بن عياض . عن المطر بن يزيد . عن عبد الله بن زحر . عن علي بن يزيد . عن  
القاسم مولى يزيد بن معاوية . عن ابي امامة الباهلي . قال قال رسول الله " ادبوا الخيل .  
وتسوكوا . واقعدوا في الشمس... " )

وفي غيرها كان يختصره اي يورده باقصر اسناد ممكن . من امثال ذلك قوله ( عوف  
عن الحسن قال . قال النبي صلعم " بالمسلم على اخيه ست خصال . يسلم عليه اذا  
لقيه . ومنص له اذا غاب . ومعه اذا مرض ~~و~~ وشيع جنازته اذا مات . وجبيه اذا  
دعا . وشتمه اذا عطس ) .

وفي كثير منها كان يروي الاسناد بالمرة كقوله ( قال النبي صلعم " اذا كتب  
احدكم فليترب كتابه فان التراب مبارك " (٣) .

وفي اماكن اخرى كان لا يديل ولا يقصر ولا يذكر سنداً وانما كان لا يهتم  
بالسند ايا كان نوعه . انما كان يهمه ان يروي والسلام . مثل قوله ( اسماعيل بن عياض . عن الحسن  
بن دينار عن الخفيف جحدر " عن رجل " عن معاذ بن جبل عن النبي صلعم قال = ليس من  
اخلاق المؤمنين الملق الا في طلب العلم ) . فاسمع كيف يروي " عن رجل " ثم يطمئن الى صحة  
الحديث .

وليس هذا فحسب بل ان من عدم العلمية لم يراع في الاسناد فقط وانما لم  
يراع في المسنود كذلك . قال ( رسول الله صلعم اللهم اذهب ملك غسان وضع مهم كنده ) .  
وكذلك ( قال رسول الله صلعم عمران بيت المقدس خراب ينرب . وخراب ينرب خروج الملحمة .  
وخروج الملحمة فتح قسطنطينة . وفتح قسطنطينة خروج الدجال ) .

وكل هذا ان كان ليدل على شيء فعلى عدم اعطاء نصيب كبير من الاهتمام بالحديث. ولعل فيمايلي محاولة لتبرير هذا الموقف . اما لتبرير موقفه في حذف السند فقد قال ( كان يزيد بن هبيرة يقول احذنوا الحديث كما يحذنه مسلم بن قتيبة<sup>(١)</sup> . فلعله اعجب بطريقة مسلم فاتبعها . اما لتبرير موقفه في عدم الدقة في المستفاد فقد قال ( قلت لحباب انك تكذب في الحديث . فقال وما عليك اذا كان الذي ازده فيه احسن منه<sup>(٢)</sup> .

الا ان اعداءه لم يقنعوا بهذه البررات . ولهذا راحوا يتهمونه بكل تهمة . فقال نعلب بالرغم من انه من تلايمذه ( امسكوا عن الاخذ بحديث الجاحظ . فانه ليس بثقة<sup>(٣)</sup> . واراد صاحب الميزان بذاته ( وانا افول = لقد كان الجاحظ من اهل البدع<sup>(٤)</sup> . اما البغدادى فحدث عن اتهاماته ولا حرج .

الا ان الحق مهما توالى عليه الغمزات وتكافئت عليه الغيم - لا بد وان يظهر . فالجاحظ لم يكن " ليس بثقة " وانما كانت له نظرة خاصة في الحديث هي نظرة اكر المعتزلين الذين يعطلون العقل في كل ما لديهم . وهذا مما تضيق صدر المتزمتين . فيتعجلون الامر بالتهجم . ولصدق دعوانا - اى ان لوجد كان مخلصا في نظيرته العلمية العقلية الى كل شيء - وان كان يخطئ احيانا نورد ما يلي = اولا كان يشك في الحديث ولا يقبله حتى يحقق فيه . ثانيا كان ينسب الى الوضع فيه . واخيرا كان قد وضع قاعدة عامة لقبوله او رفضه .

كان يشك . في البيان قال ( على اننا لا ندرى اقال ذلك رسول الله صلعم ام لم يقله . لان مثل هذه الاخبار يحتاج فيها الى الخبر المكشوف . والحديث المعروف<sup>(٥)</sup> . وفي الحيوان بعد ان اورد طائفة من الاحاديث عن الوزغ التي لا يمكن لعقل سليم ان يقبلها قال ( وهذه الاحاديث كلها يحتج بها اصحاب الجهالات<sup>(٦)</sup> .

كان ينسب الى الوضع . مما يظهر من قوله في الحيوان بعد ان اورد حديثا في العقرب ملخصه ان من قتل حية او عقرا فكأنما قتل كافرا - فعلى هذا المعنى يكون تأليف الحديث<sup>(٧)</sup>.

(١) ب ٢٢ / ٢	(٢) ب ٢ - ٢٣٥	(٣) ميزان الذهبى ٢٨٨ / ٢	(٤) نفس المصدر
(٥) ب ٣ / ٢٨٨	(٦) ح ٤ / ٩٦	(٧) ح ٤ / ٩٨ .	

واخيرا - كذاب المعتزلة - راح يهاجم المحدثين لعدم دقتهم وبأنهم جملعون  
 يهمهم الجمع والجمع فقط . اما اعمال العقل فليس له الى ما يعملون سبيل . ( ولو كانوا يرون  
 الامر على عللها وبرهاناتها خفت المؤونة . ولكن اكثر الروايات مجردة . وقد اقتصروا على  
 ظاهر اللفظ دون حكاية العلة ، ودون الاخبار عن البرهان<sup>١</sup> ) .

وليس هذا فحسب بل راح يقرر القاعدة العامة في مثل هذه المشاكل . وهي  
 الاجماع . فاذا اختلف الناس في الحديث كان يصححه قم وضعفه اخرون . او كان يروى حديث  
 اخر ينافضه بل افسد عدم الاخذ به لذلك . اعلى المهتمين بالامر ان يعملوا فيه العقل  
 لغرض النظر على الاسناد . ولهذا ترب الاحاديث الواردة في التبيذ لاني بعضها يفيد الحل  
 وبعضها يفيد الحرمة مرجع الى عقله يحكمه .

ولكي تطلع على تفاصيل هذا راجعه في اماكن مختلفة من رسالة التبيذ المنشورة  
 في هامر الكامل الثاني سنة ١٣٢٣ - ٢٥١ وما بعدهلا .

ومعد هذا - اى بعد ان يشك ، وينبه على الوضع ، ويهاجم عدم الدقة ،  
 وضع قاعدة واضحة في قبول او رفض اى حديث ، ولخيرا تحكيمه العقل تحكيما مطلقا - لا نستطيع ان  
 نجارى الراى السابق بانه لم يكن نفة . وانما نقول انه حاول القرب من الحقيق ولكن ذلك كان  
 احيانا يفوته . وليس ذلك بغريب عليه ما دام انسانا معرضا للخطا والنسيان .

هذا هو موقفه من القرآن ومن الحديث . ومحسن بنا ان نضيف ان مادته في  
 كتبه تدل دلالة واضحة على ان اطلاعه وتفروسه بكليهما كانا من درجة منلى . حتى لو ان جامعا  
 يجمع متفرقاتهما لتجمع لديه مقدار يعتد به في الكم والنوع .

### ثالثا الجاحظ والفقه

والفقه في الاسام هو استخراج الاحكام من القرآن والحديث والسنة وما  
 تجمع الى جانبها من المعلومات والجاحظ كمعتزلي اولا وكرئيس للجاحظية ثانيا كانت له اراء  
 في الموضوع اكثر من ان تحصر في مقالة تعد بصفحات. الا اننا سنقتصر على الاله والاشهر .



١ - في الأجتماع - لقد راينا من قبل ان الجاحظ لا يرى بالحجاب قط . وقد استشهد على ذلك بالقرآن وغيره . ولم يقل بالتفريق بين الجنسين كما راينا في القيان . ودعا الى الشيوعية النسائية بتحفظ في ذات الرسالة . اما الغناء فقال انه لا بأس به بل وحيد في ثم افاض في الرقيق وقال انه نوع من التجارة تقع عليه المساومة والمشاركة بالثمن . وهذه ناحية سوداء من نواحي فقهه . وتعرض لمسالة اللحم واكله فقال ان لحم الخنزير حرم لا لانه خنزير انما لوساخة في طبعه<sup>١</sup> . وتكلم عن بيع القمامة<sup>٢</sup> . وحوام الصيد<sup>٣</sup> . فحللها ونادى بالويل والتبرير على من حرمها . اما النبيذ وتحليله في نظره فحكاية قد عال البحث فيها حتى انه كتب رسالة كاملة في ذلك .

٢ - في الفلسفة الدينية - قال ان المعارف كلها طباع ضرورية وليس منها واحد بالاختيار<sup>٤</sup> . وقال ان لا فعل للانسان الا الارادة<sup>٥</sup> . وقال ان طبائع الاجسام ثابتة ولا يمكن ان تتغير<sup>٦</sup> . وقال غيرها كثير الا ان هذه اهم ارائه الخاصة . الا ان هناك اراء اخرى حرة شارك فيها باقي المعتزلة لا يهمنا ايرادها ولا اطالة البحث فيها بهذا الصدر . لانها تخرجنا عن موضوعنا من ناحية وتطيل بحثنا من اخرى .

يقول ان معرفة الانسان لا شيء لا تكون باختياره وانما هي مفروضة عليه . ولذلك لا يحاسب عليها . انما يحاسب على ما فعل باختياره . وكل هذا محاولة لحل مسألة الغضا<sup>٧</sup> والقدر وعدل الله في ادخال الاشقياء النار<sup>٨</sup> . ولتفسير هذا قال = لان يفتح الانسان عينه امر اختياري . اما ان يرى فامر اضطراري . ولى هذا فهو يحاسب على فتح العين لانه كان حر التصرف به لكنه لا يحاسب على ما راي لانه كان مضطرا اليه . ومثل ثاني اورد احمد امين لتوضيح الفكرة هو ( لان يحاول انسان ان يفكر امر اختياري . اما ان يعلم فامر اضطراري<sup>٩</sup> ) ومثل ثالث اورد الغزالي في المستصفى ( ان الجاحظ لا يرى بان الكفار كلهم سيذهبون للنار . ذلك لان اعتقاداتهم اضطرارية . والاضطرار لا حساب عليه . هم احرار في التفكير او عدمه . فان وصلوا الى ان الاسلام حق وكفروا بذلك فانهم يحاسبون . اما اذا لم يصلوا فانهم لن يحاسبوا<sup>١٠</sup> الى هذا الحد من النظر الحر وصل بالجاحظ عقله النير .

(١) ج ٢٤/٤ (٢) ج ١٠٢/٢ (٣) ج ٥٩/٣ (٤) منية الامل ٣٤

(٥) مقالات الاسلاميين ٤٠٢ (٦) بغدادى ١٢٦ شهرستاني ٨١/١ (٧) امين ١٣٣/٣

(٨) غزالي ٣٥٩/٢

هذا عن مسألة الارادة وعلاقتها بالمعركة . اما مسألة الجوهر النابت فلم يقل فيها تنورا عما سبق . فهو يرى ان الجوهر نابت لا يعتريه الفناء . وهذا هو نفسه القانون الكيماوي المشهور " المادة لا تتغير وانما تتغير صفاتها . تنقص وتزداد في الكم . وتتغير وتتبدل في النوع . اما ان تنفلا " وقد غضب عليه المشايخ من اجل هذا . تذكر منهم الشهرستاني الذي قال وعلى هذا فالجاحظ يرى بان الله قادر على الخلق لكنه غير قادر على الانفا .

٣ - نظرات اخرى - نعني انه كان يرى في هذا الكون وحدة لا تتجزأ يعمل افرادها كل من محيطه وضمن دائرته للوصول الى هدف عظم مشترك فيه الخير للجميع . ورسالته الدلائل والاعتبار الى جانب الشذرات الكثيرة التي وردت في الحيوان خصوصا الفكرة التي طالما ردها في الدناع عن درس صنار الحيوانات ( نعني ان لكل مقامه ) ادلة دامغة على هذا الرعم .

ونعني ايضا انه كان يرى في الدين عنصرا متما للدنيا وانه لا خوف بينهما كما يخيل لبعضهم . وان الذي يجمع بينهما هو العقل الواعي . قال في الحيوان ( وكلم ) وقد انكر ناس من العوام واشباه العوام ان يكون شيء من الخلق كان من غير ذكر وانثى . وهذا جهل بشأن العالم وطاقسام الحيوان . وهم يظنون ان على الدين من الافرار بهذا مضرة . وليس القول كما قالوا (١) . وفي المعاد قال ما معناه ان الدين هو الدنيا وان كلا منهما متم للآخر . ( واعلم ان الاداب انما هي الات تصلح ان تستعمل في الدين وتستعمل في الدنيا ) . انما وضعت الاداب على اصول الطبائع . وانما اصول امور التدبير في الدين والدنيا واحدة . فما فسدت فيه المعاملة في الدين فسدت فيه المعاملة في الدنيا . وكل امر لم يصح في معاملات الدنيا لم يصح في الدين . وانما الفرق بين الدين والدنيا اختلاف الدارين ؟ .

ونعني ايضا انه كان يرى في العقل شيئا يمكن الاعتماد عليه والايان به لحل كل المشاكل . فالعقل في الادب . والعقل في العلم . والعقل في الدين . والعقل في كل معضلة كان ديدنه . ولهذا قال ابن العميد . كتب الجاحظ تعلم العقل اولا والادب ثانيا .

### رابعاً موقف الجاحظ في الدين

لقد قال صاحب النزعة ان الجاحظ كان اماماً من ائمة المعتزلة<sup>(١)</sup>. كما قال الخياط لقد كان امة في الدين<sup>(٢)</sup>. لكن اذا هذين القولين نجد قول ثعلب انه لم يكن ثقة وقول صاحب الميزان . لقد كان الجاحظ من اهل البدع كما مر معنا . ولكن من الفريقين بالطبع براهينه وادلته المستقاة والتي نعلمها تمام العلم . وامام هذا نرانا في حيرة . ترى هل كان زنديقا مارقا ام انه مظلوم .

ان الجواب على هذا من الصعوبة بمكان . فدفاعه عن الدين الاسلامي عامة ضد اليهود ضد النصارى<sup>(٣)</sup> ، ودفاعه عن فكرته خاصة ضد كل الفرق الاخرى خاصة مثل الدهرية والجبرية والمنازية والمجوسية والمعتزلة والرافضة والزنادقة وغيرهم . هذا بالإضافة الى تعجيد الدين من الناحية الايجابية - كلها تشير الى اخلاص وتفاني لا يشوبهما شك . - الا ان قوله بالحرية العقلية مثلاً ومخلق القرآن وغيرها كثير في نظر الآخرين كثر لا يشوبه شك ايضاً . ترى ما حقيقة الامر . وما السبب في كل هذا التلاعب .

الجواب بقدر ما استطعنا ان نحسنه هو ان الرجل كان مسلماً حراً يعتمد على العقل في بيئة مسلمة مقيدة تعتمد على النقل . والعقل دائماً متجدد في حين ان النقل دائماً محافظ . ومن ينظر الى الراء لا يمكنه ان يتفق مع من ينظر الى الامام . ولهذا كان ~~الفتن~~ التكثير والاتهام .

هذه واحدة . اما الثانية فهي لن في الجاحظ حيناً ادبياً تكلمنا عنه . لا يقول رايه بصراحة وانما يدور ولفد ومعني حتى انه في كثير من الاحيان كان يقول عكس ضميره فيمدح الحامة وهو الذي اتخذ ديدنه مهاجمتهم ومدح السلطان بالرغم من انه نفر الناس من خدمته ومدح حتى النوكي بالرغم من انه كان دائماً يسخر منهم .

هذا هو الجاحظ المعتزلي الجاحظي . اردنا اكر ما نستطيع ابراده في صفحات اسفين اولاً لقلتها وثانياً لضياح مصادرها الجاحظية الاصلية .

(١) نزعة الانباري ص ٢٥٨ (٢) انتصار الخياط من ياقوت ٥٢/٦ (٣) نصارى ١٣ الح

### نظرة و تقدير

من هذا نرى ان الجاحظ كان فريدا في حياته من حيث جمعه المتناقضات سواء في خلقه او خلفه او تدرجه في سلم الحياة . ومنه نرى انه كان مكتابا اى كثير الكتابة واديبا خلف ما لا يقل عن ١٥٠ كتابا مما لا يمكنها معه الا ان نصفه بانه غير عادى حتى ولو كان موضوع كتابته ضربا على وتر واحد . ومنه نرى انه كان ذا اسلوب خاص به سواء في التأليف او في الانشاء او في البحث العلبي مما لم يعرف قبله وان كان عرف فان له الفضل في بلورته . ومنه نرى ايضا ان له في موضوعات الادب كالنقد واللغة والشعر وما اليها اراء تحلت بالسبق من ناحية وبالقيمة العلمية اخرى حتى انه لا يزاحم فيها بعض علماء اوروبا المحدثين . واما الدين فللعقل كلما جار الزمان على الجاحظ صرخه لانه كان اكبر انصاره ايام سيادة دولة النقل .

نقول كل هذا نراه من دراسة سنة واحدة لكن ترى ما الذى بقي مما لم نره . لحد الان . او بكلمات اخرى = ترى لو طال بنا الوقت ما الذى كان يمكننا ان نخرجه بللسوق من دوحه ابي عثمان او من بحر بن بحر . نحن لا يخالفنا شك في ان الدوحة ملأى بالثمار ولا في ان البحر زاخر بالجواهر . لكن ما هي . وكيف يمكننا استخراجها . هذا هو السؤال الذى بقي يجول في الصدر . وهو الذى نرجو ان يوفقنا الله لجوابه في المستقبل القريب - هذا ان لم يتم " احد الذين لا يعملون ... " فيعمل ، وسبقنا اليه .

الملحق الاول      في مصادر الدراسة

(١)	عيون ابن كتيبة	.....	٢٧٦	.....	القاهرة	١٣٤٦
(٢)	تاويل بن قتيبة		٢٧٦		القاهرة	١٣٢٦
(٣)	مختصر بن الفقيه		٢٨٠		لايدين	١٨٨٥
(٤)	كامل المبرد		٢٨٥		لايينج	١٨٦٤
					القاهرة	١٣٢٤
(٥)	محاسن مساوي البيهقي	.....	٣٢٠	.....	لايدين	١٩٠٣
(٦)	عقد ابن ربه		٣٢٨		القاهرة	١٢٩٣
(٧)	وزراء الجهشيارى		٣٣١		القاهرة	١٢٣٨
(٨)	مروج المسعودى		٣٤٦		باريس	١٨٧٢
(٩)	تنبيه المسعودى		٣٤٦		لايدين	١٨٩٣
(١٠)	اغاني ابي الفرج		٣٥٦		القاهرة	١٢٩٣
(١١)	نهرس ابن التديم		٣٨٥		لايينج	١٨٧١
(١٢)	مقابسات التوحيدى	.....	٤٠٣	.....	القاهرة	١٣٤٧
(١٣)	اعجاز الباقلاني		٤٠٣		القاهرة	١٣١٥
(١٤)	نرق البغدادي		٤٢٩		القاهرة	١٣٢٨
(١٥)	يتيمة التعالبي		٤٣٠		بيروت	١٣٠٤
(١٦)	ملل بن حزم		٤٥٦		القاهرة	١٣١٧
(١٧)	ملل الشهرستاني	.....	٥٤٨	.....	القاهرة	١٣١٧
(١٨)	تاريخ بن عساكر		٥٧١		دمشق	١٣٢٩
(١٩)	نزهة الانبارى		٥٧٧		القاهرة	١٢٩٤
(٢٠)	ادباء ياقوت	.....	٦٢٦	.....	القاهرة	١٩٣٠
					القاهرة	١٩٣٧
(٢١)	بلدان ياقوت		٦٢٦		لايينج	١٨٦٦
(٢٢)	مثل ابن الاثير		٦٣٧		القاهرة	١٢٨٢
(٢٣)	حكماء الفظي		٦٤٦		القاهرة	١٣٢٦
(٢٤)	طبقات ابن ابي اصيبعة		٦٨٨		القاهرة	١٣٠٠

١٣٢٥	...	القاهرة	.....	٧٣٢	.....	تاريخ ابي الفداء	(٢٥)
١٣٢٥		القاهرة		٧٤٨		ميزان الذهبي	(٢٦)
١٢٨٥		القاهرة		٧٤٩		تاريخ بن الوردى	(٢٧)
١٢٢٥		القاهرة		٧٦١		وفيات ابن خلكان	(٢٨)
١٣٠٥	...	القاهرة	.....	٨٨٨	.....	حيوان الديميرى	(٢٩)
١٣٣٧		القاهرة		٨٢١		صبح الفلقشندى	(٣٠)
١٣٠٦		القاهرة		٨٥٠		مستطرف الابنهي	(٣١)
١٣٢٦	...	القاهرة	.....	٩١١	.....	بخية السيوى	(٣٢)
.....		القاهرة		١٠٦٩		طراز الخفاجي	(٣٣)

ب - كل هذا بالاضافة الى كتب الجاحظ نفسه التي سبق وتكلمنا عنها  
 مسهباً ومنصلاً في الفصل الذى خصصناه لهما في الرسالة ما بين ص ٥٠ - ١١٨ .

ج - وبلاضافة ايضا الى ما يلي من كتب الصحدثين .

١٨٨٢	بيروت	معارف البستاني	(٣٤)
١٩١٣	القاهرة	تاريخ اللغة العربية لزيدان	(٣٥)
١٩١٣	لايدى	الموسوعة الاسلامية	(٣٦)
١٩٢٨	بيروت	مجلة المشرق	(٣٧)
١٩٣٢	دمشق	مجلة المجمع العلمي	(٣٨)
١٩٣٢	القاهرة	رسائل السندوي	(٣٩)
١٩٣١	القاهرة	ادب السندوي	(٤٠)
١٩٣٤	القاهرة	نور زكي مبارك	(٤١)
١٩٣٥	بيروت	تطور المقدسي	(٤٢)
١٩٣٥	كالكونا	فهرس شفيق للعقد	(٤٣)
١٩٣٦	القاهرة	ضحى امين	(٤٤)
١٩٣٦	دمشق	الجاحظ مردم	(٤٥)
١٩٣٧	القدس	مختار النشاشيبي	(٤٦)
١٩٣٨	دمشق	جاحظ جبرى ش.	(٤٧)
١٩٣٨	لايدى	ملحق بروكلمن	(٤٨)

الملحق الثالث - في الذين اخذوا عنه

لقد قال القاضي الناضل ان ما منا احد معاصر الكتاب الا وتطفل على ترات الجاحظ .  
ان نقلا او استفاده او تعليقا . ولعلي في القائمة التالية احاول او بالاحرى ادم قول القاضي  
بمراجع موضوعه استطعت ان افق عليها في اثناء الدراسة .

(٤) ابو الفرج في اغانيه

٣٥٤/٨	٨/٢
١١٦/١٠	٤١٣/٢
١٨٠/١٠	١٤٥/٣
٢٣٦/١٠	١٧٧/٣
٤٣/١٦	٢١٢/٣
٤٥/١٨	٢٢٤/٣
...	٣٦/٤

(٥) الجهشيارى في وزرائه

١/١٦٤	٦/١١٠
١/١٩١	٥/١١٦
...	١٢/١٢٧

(٦) المبرد في كامله

٧/٣٥٢	٥/١٧١
٥/٣٦٤	٣/١٦٦
٢/٤١٩	١/٢٣٧
١٥/٤٧٢	١٧/٢٨٣
١٠/٧١١	١٥/٣٢٠
٣/٧٣٧	٥/٣٣٨

(٧) اخرون = معجم يافوت ٢١/١ ١٠٨/٧

١٦٥/٧ ابن الفقيه في المختصر ٦/١١٦  
١١/٢٥٣ ابن عساكر ٧٧/١ ابن  
النديم ١٤٤ . محاسن البيهقي = كله .

(١١) المسعودى في مروجيه

٢٢٢/٧	٤/٣
٢٢٣/٧	١٧/٣
٢٢٥/٧	٢٢/٣
٢٢٧/٧	١٣١/٦
٣٢٦/٨	٣٦٦/٦

(٢) ابن عبد ربه في عفته

٢١٢/١	٢٦/١
٢٤٣/٢	٩٣/١
٢٤٤/٢	١٨٤/١
٢٦/٣	٢٧٠/١
١٨٧/٣	٢٨٢/١
٣٣٥/٣	٣١١/١
٣٤٣/٣	٢٢/٢
٣٤٦/٣	١٢/٢
٣٨٦/٣	١١٦/٢

(٣) ابن قتيبة في عيونيه

١٩٩/٣	٢١٩/١
٢١٦/٣	٣٣/٢
٢٤٩/٣	٥٦/٢
١٠٨/٤	٢٠٤/٢
...	١٣٧/٣

## الملحق الرابع - اولا في شعره

لقد حاولنا جهدنا ان نجمع اكبر عدد ممكن من شعر الجاحظ لنطلع على نفسه  
الشعري ومفهومة الخاص للشعر . الا اننا لسوء الحظ لم نجد كثيرا من ذلك فاضطررنا ان  
نكتفي بما يلي بعد ان جمعناه من مصادر متفرقة . والناظر فيه يرى ان اكثره شعرا ميكانيكيا  
ضعيف الخيال وسقيم العاطفة ، اغلظه مدح وبقائه شعر مناسبات .

### (١) - كتب الجاحظ الى احمد ابن ابي دؤاد

لا تتراني وان تطاولت عمدا	بين صفيهم وانت تسير
كلهم فاضل علي بمال	ولسانه يزينه التعبير
ناذا ضمتنا الحديث وبيت	وكاني على الجميع امير
رب خصم ارق من كل روح	ولفرط الذكا يكاد يطير
ناذا رام غايقتي فهو كساب	وعلى البعد كوكب مهور
- -	ياقوت ٦٠/٦

### (٢) - ويقال ان الابيات التالية مدح بها ابن ابي دؤاد وابن ريلح وابن الهيثم

بدا حين ائرى باخوانه	فقل عنهم شاة العدم
وذكره الدهر صرف الزمان	فسادر قبل انتقال النعم
فتى خصه الدهر بالمكرات	فمازج منه الحيا بالكرم
ولا نيكث الارض عند السؤال	ليقطع زواره عن نعم
	ياقوت ٦٠/٦

### (٣) - قال يموت هجا خالي ابو عثمان الجمار بابيات منها :

نميب الجمار مقصور اليه منتهاه  
تنتهي الاحساب بالناس ولا تعدو قفاه  
ياقوت ٦٠/٦

### (٤) - قال المبرد انشدنا الجاحظ في مرضه

اترجو ان تكون وانت شيخ	كما قد كنت ايام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب	دريس كالجديد من الثياب





(٩) - قال ابو العيناء انشدني الجاحظ لنفسه في ابراهيم بن رباح .  
 وعهدى به والله يصلح امره رحيب مجال الراى منبلج الصدر  
 فلا جعل الله الولاية سبة عليه فاني بالولاية ذو خبــــــــــــر  
 فقد جهدوه بالسؤال وقد ابى به المجد الا ان يلج ويستشري  
 ياقوت ٦٦/٦

(١٠) - قال الجاحظ في ابي الفرج يساله اطلاق رزقه من فضيدة طويلة  
 اقام بدار الخفض راض بخفضه وذو الحزم يسرى حين لا احد يسرى  
 يظن الرضى شيئا يسيرا مهونا ودون الرضى كاس امر من الصبر  
 سواء على الايام صاحب حنكة واخر كاب لا يريش ولا يبرى  
 ياقوت ٧٩/٦

(١١) - قال ابو العيناء انشدني الجاحظ لنفسه .  
 يطيب العيش ان تلقى حليما غذاء العلم والراى المصيب  
 ليكشف عنك صلة كل راسب وفضل العلم يعمره الارب  
 سقام الحرص ليس له شفاء ودا البخل ليس له طبيب  
 ياقوت ٦٥/٦

(١٢) - وقال ابن خلكان في وفياته انشد الجاحظ معتبرا .  
 لقد قدمت قبلي رجال فظالما مشيت على رسلي فكنت المقدما  
 ولكن هذا الدهر تاتي صروفه فتبرم منقوضا وتنفض مبرما  
 ابن خلكان ٥٥٥/٨

(١٣) - روى له ابن خلكان ايضا قوله في الاصحاب .  
 وكان لنا اصدقاؤنا تنانوا جميعا وما خلدوا  
 تساقوا جميعا كؤوس المنون فمات الصديق ومات العدو  
 ابن خلكان ٥٥٥/٨

(١٤) - روى ياقوت قوله في مرضه .  
 مريض من مكانين من الافلاس والدين  
 ياقوت ٦٢/٦

(١٥) - روى له المبرد في كامله قوله .

فاذا بلختم ارضكم فتحدثوا      ومن الحديث متالف وخلود  
فانتوا علينا لا ابا لايكم      بانعالتا ان الثناء هو الخلد  
الكامل للمبرد ٢١٣/١

(١٦) - روى له ايضا قوله .

اما رايت بني بحر وقد حفلوا      كانهم خبىز يقال وكاب ...  
هذا طويل وهذا حنبل جحد      يمشون خلف عمير صاحب الباب  
الكامل للمبرد ٢١١/٨

(١٧) - نقل له السندوي في مقدمة البيان والتبيين قوله .

بخدى من قطر الدموع ندوب      والقلب مني مذ نابت وجيب  
ولي نفس حتى الدجى يصدع الحشا      مرجع حنين للفؤاد مذيّب  
ولي شاهد من غر نفسي وسقمها      وسخبر عني انني لكثيب  
كاني لم افجع بفرقة صاحب      ولا غاب عن عيني سواك حبيب  
مقدمة البيان ١٢/٢

(١٨) - روى السندوي ان ابا العينا قال الجاحظ .

زرت فتاة من بني هلال      فاستعجلت الي بالسؤال  
مالي ارك قاني السبال      كانما كوعت في جريال  
ما يبتغي منك من امالي      تنحى قداي ومن حيالي  
مقدمة البيان ١٥/١

(١٩) - ونقل السندوي ايضا قوله في الجمار .

نسب الجمار مقصور اليه منتهاه  
تنتهي الاحساب بل للناس ولا يعدو قناه .  
يتحاجى من ابو الجمار فيه كاتباه  
ليس يدري من ابو الجمار الا من يراه  
مقدمة البيان والتبيين ١٥/٨

اذا قارنا هذه بما ورد في نمره ثلاث نلاحظنا ان السندوي قد اضاف البيتين الاخيرين على  
رواية يافوت . اما من اين اتى بهما فالله اعلم .